نسخة جديدة

Agatha Christie®

أجاثا كريستي

طالما استمر الضوء

قصص متنوعة

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

طالما استمر الضوء

قصص متنوعة

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ... ليست مجرد مكتبة

Agatha Christie®

While the Light Lasts

Background notes by Tony Medawar

للتعرف على فروعنا في
المملكة العربية السعودية – قطر – الكويت – الإمارات العربية المتحدة
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **bpublications@jarirbookstore.com**

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان
هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونُخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠١٦
حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى .

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاءً شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاءً عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

Translation entitled **طالما استمر الضوء** © 2016 Agatha Christie Limited. All rights reserved.

While The Light Lasts copyright © 1997 Agatha Christie Limited. All rights reserved.
AGATHA CHRISTIE® and the Agatha Christie Signature are registered trademarks of Agatha Christie Limited in the UK and elsewhere.
All rights reserved.
www.agathachristie.com

طالما استمر الضوء

تُعد أجاثا كريستي أكثر الروائيات انتشارًا، حيث نُشرت أعمالها على نطاق واسع على مر العصور وبكل اللغات، ولم يتفوق عليها في المبيعات سوى مؤلفات شكسبير؛ فلقد بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة أجنبية. كتبت أجاثا كريستي ثمانين رواية من أدب الجريمة ومجموعات قصصية قصيرة وتسع عشرة مسرحية وكتابَيْ سيرة ذاتية وست روايات أخرى كتبتها تحت اسم مستعار، هو "ماري ويستماكوت".

حاولت في البداية تأليف القصص البوليسية في أثناء عملها في مستوصف طبي في أثناء الحرب العالمية الأولى، مبتكرة الشخصية الأسطورية "المحقق هيركيول بوارو" في روايتها الأولى *القضية الغامضة في مدينة ستايلز**. وفي رواية جريمة *قتل في المعبد* ** التي تم نشرها في عام ١٩٣٠، قدمت محققة محبوبة هي الآنسة جين ماربل. ومن بين شخصيات سلسلة الروايات فريق مكافحة الجريمة المكون من الزوج والزوجة تومي وتيوبنس بيريسفورد، والمحقق الخاص باركر باين، ومحققي إسكوتلانديارد: المراقب باتل والمفتش جاب.

والكثير من روايات كريستي وقصصها القصيرة تم تحويلها إلى مسرحيات وأفلام ومسلسلات تليفزيونية. ومن أشهر مسرحياتها على الإطلاق مسرحية *The Mousetrap* التي كانت بداية عرضها في عام ١٩٥٢، وقد استمر عرضها على

* متوافرة لدى مكتبة جرير

** متوافرة لدى مكتبة جرير

www.liilas.com/vb3
uploaded and scanned
by :
THE GHOST 92

خشبة المسرح لأطول فترة عرض في تاريخ المسرح. ومن بين أشهر الأفلام المأخوذة عن رواياتها جريمة في *قطار الشرق السريع** (١٩٧٤) وجريمة *قتل على ضفاف النيل*** (١٩٧٨)؛ حيث لعب دور المحقق هيركيول بوارو الممثلان "ألبرت فيني" و"بيتر أوستينوف" في الفيلمين على التوالي. وعلى شاشة التليفزيون، لعب الممثل "ديفيد سوشيه" دور المحقق بوارو على نحو لا يمكن نسيانه أبدًا، ولعبت الممثلة "جوان هيكسون" دور الآنسة ماربل، ثم تبعتها في تأدية هذا الدور كل من الممثلة "جيرالدين ماكإيوان" و"جوليا ماكنزي".

تزوجت كريستي لأول مرة من أرشيبالد كريستي، ثم تزوجت من عالم الآثار السير ماكس مالوان، الذي رافقته في رحلاته الاستكشافية إلى البلدان التي استعانت بها في أحداث العديد من رواياتها. وفي عام ١٩٧١، تسلمت كريستي واحدًا من أرفع الأوسمة البريطانية حين حصلت على لقب سيدة الإمبراطورية البريطانية. توفيت كريستي في عام ١٩٧٦ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين. وتم الاحتفال بعيد ميلادها المائة والعشرين في مختلف أنحاء العالم في عام ٢٠١٠.

www.AgathaChristie.com

* متوافرة لدى مكتبة جرير

** متوافرة لدى مكتبة جرير

مجموعة روايات لأجاثا كريستي

١. أبجدية القتلى
٢. الأصابع المتحركة
٣. الموعد الدامي
٤. تحريات بوارو
٥. تحريات باركرباين
٦. الجواد الأشهب
٧. خداع المرايا
٨. لغز الكاريبي
٩. الأربعة الكبار
١٠. السبانيد الساطع
١١. القتل السهل
١٢. جريمة وانتقام
١٣. محنة البريء
١٤. بيت الرجل الميت
١٥. جثة في المكتبة
١٦. واختفى كل شيء
١٧. شركاء في الجريمة
١٨. لغز القطار الأزرق
١٩. كلب الموت، أصوات الأرواح
٢٠. ساعة الصفر، الجريمة الكاملة
٢١. العدو الخفي، المهمة المشئومة
٢٢. ليلة لا تنتهي، المنزل الملعون
٢٣. من الذي قتل السيد روجر أكرويد
٢٤. المنزل الأعوج، جريمة قتل في منزل آل ليونيدز
٢٥. الجريمة النائمة، عندما يعود الماضي لينتقم
٢٦. قطة بين الحمام، جثة في صالة الألعاب
٢٧. القضية الغامضة في مدينة ستايلز
٢٨. ثلاثة فئران عمياء وقصص أخرى
٢٩. لماذا لم يسألوا إيفانز؟
٣٠. أوراق لعب على الطاولة، قصة لبوارو
٣١. المرآة المتصدعة من جانب لآخر، رواية للآنسة ماربل
٣٢. الشاهد الصامت، مقتل الآنسة إميلي أروندیل
٣٣. واحد اثنان اربط حذائي، جريمة غامضة تجمع بين أشخاص لا صلة لهم ببعض
٣٤. جريمة في شارع هيكوري دوك، انتشار هوس السرقة في بيت الشباب
٣٥. الستارة، القضية الأخيرة للمحقق بوارو، العودة إلى قضية سمايلز
٣٦. القهوة السوداء
٣٧. جريمة في قطار الشرق السريع
٣٨. الأجوف، جريمة قتل على المسبح، أسرار عائلية غامضة
٣٩. طالما استمر الضوء، قصص متنوعة
٤٠. مشكلة في خليج بولينسا، المكالمة الغامضة
٤١. ركوب التيار، انجرف مع الفيضان
٤٢. القضايا الأخيرة للآنسة ماربل، قضايا مثيرة
٤٣. اللورد إدجوير يموت، إطلاق النار في المكتبة
٤٤. قطار ٤:٥٠ من بادينجتون، ماذا رأت السيدة إلسبيث؟
٤٥. الساعات، جثة في منزل الآنسة العمياء
٤٦. الفتاة الثالثة، الجريمة المنسية
٤٧. أعمال هرقل، اثنتا عشرة قضية
٤٨. موت السيدة ماجنتي، المستأجر المراوغ
٤٩. بوابة المصير، الرسالة الغامضة
٥٠. لغز سيتافورد، جريمة قتل في منزل هازلمور
٥١. قضايا بوارو الأولى، الحنين للماضي
٥٢. احتفال هيركيول بوارو بالعام الجديد، جريمة قتل في يوم العطلة
٥٣. مغامرة كعكة العام الجديد، قضايا في المنزل الريفي
٥٤. الخمسة المشتبه بهم، القرود الخمسة الصغيرة

مقدمة

ما زالت أجاثا كريستي - الملكة الأصلية للجريمة - تتربَّع على عرش القصص البوليسية الكلاسيكية كأعظم وأفضل كاتبة لهذا النوع من الروايات. وتُعد رواية "*من الذي قتل السيد روجر أكرويد*"* التي كتبتها عام (١٩٢٦) أشهر رواية لها، وربما أشهر رواية على الإطلاق في عالم الروايات البوليسية، ولقد أعجبت هذه الرواية كثيرًا من النقاد، ولكنها وضعت أجاثا في الصفوف الأولى بين مؤلفي هذا النوع من القصص. قام بحلّ لغز هذه الرواية المحقق هركيول بوارو، الذي ظهر بعد ذلك في ٣٣ رواية أخرى منها: *جريمة في قطار الشرق** (١٩٣٠)، *أبجدية القتل** (١٩٣٦)، *Five Little Pigs* (١٩٤٢)، *بعد الجنازة** (١٩٥٣)، *Haloween Party* (١٩٦٩)، و *Curtain: Poirot's Last Case* (١٩٧٥). وتعد الآنسة جين ماربل المحققة المفضلة لأجاثا، ولم يسبق لماربل الزواج رغم كبر سنها، وظهرت في اثنتي عشرة رواية، منها: *جريمة قتل في المعبد** (١٩٣٠)، *جثة في المكتبة** (١٩٤٢)، *جيب مليء بالحبوب** (١٩٥٣)، *لغز الكاريبي** (١٩٦٤)، و *جريمة وانتقام** (١٩٧١)، وأخيرًا رواية *الجريمة النائمة**

---

* متوافر لدى مكتبة جرير

(١٩٧٦)، التي كُتبت خلال فترة قصف لندن، أي قبل نشرها بحوالي ثلاثين عامًا، وواجهت ظروف رواية *الستائر نفسها*. ومن بين روايات أجاثا كريستي الواحد والعشرين التي لا يظهر بها هيركيول بوارو أو الآنسة ماربل" *واختفى كل شيء**، التي نُشرت أيضًا باسم عشرة عبيد *صغار (١٩٣٩)*، وهناك أيضًا روايات لم يظهر بها أي محقق على الإطلاق ومنها، *المنزل الأعوج** *(١٩٤٩)*، *ومحنة البريء** *(١٩٥٩)*، *وليلة لا تنتهي** *(١٩٦٧)*.

في خلال مسيرتها الأدبية التي استمرت لأكثر من نصف قرن، كتبت أجاثا ستًا وستين رواية وسيرة ذاتية، وستة كتب تحت اسم ماري ويستماكوت، ومذكرات عن بعثتها إلى سوريا، وكتابَيْ شعر، وأشعارًا أخرى، وقصص أطفال، وأكثر من اثني عشر لغزًا للراديو والمسرح، وحوالي ١٥٠ قصة قصيرة. تحتوي هذه المجموعة التي بين يديك على تسع قصص لم يتم إعادة طبعها مرة ثانية بعد نشرها لأول مرة (منذ حوالي ٦٠ أو ٧٠ عامًا). يظهر المحقق بوارو في قصتين هما لغز *صندوق بغداد*، *ومغامرة عيد الميلاد*. تعد هاتان القصتان من النسخ الأصلية للروايتين القصيرتين اللتين ظهرتا في المجموعة القصصية *مغامرة كعكة العيد* (١٩٦٠). توجد في المجموعة أيضًا قصة "الحافة"، وهي قصة تحليل نفسي قوية، وقصة "المُمثّلة" التي تتضمن خدعة ذكية. هناك أيضًا القصتان الرومانسيتان "ما وراء الجدار"، و"الإله الوحيد"، وهما من أوائل ما كتبته أجاثا. سوف تجد نفحات من الظواهر الخارقة في قصتي "منزل الأحلام"، و"ما بقي النهار". وأخيرًا هناك "ذهب جزيرة مانكس"، وهي قصة فريدة من نوعها وقت نشرها؛ نظرًا إلى أسلوبها الفريد والأفكار الجديدة التي حوتها، وقد حققت انتشارًا كبيرًا في جميع أنحاء العالم.

هذه القصص التسع تُبرز الأسلوب التي تفردت به أجاثا كريستي، وهي بمثابة مأدبة كبيرة لمتذوقي الأدب!

توني مدور

لندن

ديسمبر ١٩٩٦

* متوافر لدى مكتبة جرير

شكر وتقدير

أتوجه بخالص الشكر والتقدير لكل من جون كوران، وجاريد كيد، وكارل بايك ومؤلف كتاب *Agatha Christie: The Collector's Guide* وجيف برادلي محرر مجلة *Crime and Detective Stories*

توني مدور

المحتويات

منزل الأحلام ١

الممثلة ٢٩

الحافة ٤٥

مغامرة العيد ٧٣

التمثال الوحيد ٩٧

ذهب جزيرة مان ١٢١

ما وراء الجدار ١٦١

لغز صندوق بغداد ١٩١

ما بقي النهار ٢١٧

المحتويات

منزل الأحلام ١

الممثلة ٢٩

الحافة ٤٥

مغامرة العيد ٧٣

التمثال الوحيد ٩٧

ذهب جزيرة مان ١٢١

ما وراء الجدار ١٦١

لغز صندوق بغداد ١٩١

ما بقي النهار ٢١٧

منزل الأحلام

١

تتناول هذه القصة حياة جون سيجريف، تلك الحياة غير المرضية. وتتناول كذلك حبَّه المفقود، وأحلامه وموته، ولو أنه وجد في الحلم والموت ما لم يجده في الحب والحياة، لربما استطعنا أن نقول إنه عاش حياة سعيدة. من يدري؟

ينحدر جون سيجريف من عائلة كانت أحوالها المعيشية تزداد سوءًا على مدار القرن الماضي؛ فلقد كان أفراد عائلته من كبار المُلَّاك منذ عهد الملكة إليزابيث، إلا أنهم قد باعوا كل ممتلكاتهم. لقد كانوا يعتقدون تمام الاعتقاد أن أحد أبناء العائلة لابد أن يمتهن مهنة يكسب منها المال. ويا للحظ! لقد وقع الاختيار على جون ليَكُونَ الابن الذي يجب عليه فعل ذلك.

لم يكن من المنطقي أن يصبح جون - ذلك الرجل ذو الفم الدقيق، والعينين الزرقاوين الداكنتين الضيقتين اللتين كانتا تشبهان أعين الأقزام - الشخص المناسب لكي يتم التضحية

بـه مـن أجل الحصول علـى الأموال. لقد كان عليـه أن يودع تلك الأشيـاء التـي أحبهـا: رائحـة الأرض، وطعـم ملـح البحـر علـى شفتيه، وتلك السماء الصافية الممتدة من فوقه.

عمـل جـون مُوظفًـا مبتدئًـا فـي إحـدى الشـركات التجارية الكبرى، ولم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره، وبعد مرور سبـع سنـوات، كان جـون لا يـزال موظفًا - ربما لم يبـقَ مبتدئًا - لكنَّ رتبتـه الوظيفية لم تكن قد تغيرت كذلـك. إن فكرة "إحراز التقـدم في الحيـاة" لم يكن لها أي مكان فـي قاموس جون. لقد كان يحيا حياة الموظفين؛ حيث الانضباط والاجتهاد في العمل وليس أكثر من ذلك.

إلا أنه كان بمقدوره أن يصبح ... ماذا؟ كان من الصعب على جـون نفسـه أن يجيب عن هذا السؤال، لكنه لم يستطع التخلص من فكرة أنه ربما يكون شخصًا فعالًا ذا قيمة في حياة أخرى في مـكان ما؛ لقد كان بداخله قوة، ورؤية عميقة، لم يتسنَّ لزملائه الكادحيـن أن يلاحظوها. لقد كانوا يحبونـه كثيرًا، وربما يرجع ذلـك إلـى ميله لتكوين صداقات عابرة معهـم، ولم يفهم زملاؤه أنه كان يقصد بذلك الأسلوب عدم تكوين أي صداقة حميمة مع أي شخص.

لقـد راوده فـي منامه حلم مفاجئ، ولـم يكن كتلك الخيالات الطفوليـة التـي تَكبُـر وتتطور خـلال السنوات. لقـد حلم بذلك الحلـم فـي إحـدى ليالي الصيـف، أو بالأدق في صبـاح يوم باكر. استيقظ جون من حلمه وهو يشعر بوخز خفيف في جميع أجزاء جسـده، وحـاول التشبـث بالحلـم قبـل أن يتلاشـى من ذهنـه، أو يتسـرب بتلـك الطريقـة المراوغة التي تتسرب بهـا الأحلام من العقول.

تشبَّـث جـون بهذا الحلم باستماتة. لا يجـب أن ينسى ما رَأى - لا يجب أن ينساه - لابد أن يتذكر المنزل. كان *المنزل* هو ذلك الشـيء الـذي رآه في منامه! ذلـك "المنزل" الـذي عرفه جيدًا. تُـرى هـل كان ذلـك "المنـزل" حقيقـة أم أنـه عرفه فـي أحلامه فقـط؟ لـم يكن متأكدًا من هذا الأمـر، كل ما كان متأكدًا منه هو أنه يعرفه جيدًا.

كان الضـوء الرمـادي الخافت للصبـاح الباكـر يتسلـل إلـى الغرفـة، وخيَّـم سكون رائع علـى الأجواء، وفـي الرابعة والنصف صباحًا نعمت لندن المرهقة بلحظة قصيرة الأمد من السكينة

رقـد جـون سيجريـف ساكنًـا فـي سريـره، مُلتحفًـا بالفرحة والروعة الشديدتين اللتين أثارهما جمال حلمه. لابد أنه شديد الـذكاء ليذكـر ذلك الحلم جيـدًا! فالحلم، بطبيعتـه، يتسلل من الأذهـان سريعًـا، ويمر من أمامـك بسرعة خاطفـة بينما تحاول أن تمسكـه بأصابعـك الخرقاء قبل أن تعـود إلى وعيك، لكنه كان أسـرع مـن هذا الحلم! واستطـاع أن يُسيطر عليه قبـل أن يتسلل منه بسرعة.

لقـد كان هـذا الحلـم رائعًـا حقًّا! لقـد رأى في حلمـه منزلًا. انتابتـه القشعريـرة وهـو يفكـر فيـه؛ فقـد أدرك فـي محاولتـه لاسترجـاع الحلـم أنـه لا يتذكـر منـه سوى ذلـك المنـزل، أدرك فجـأة - وقـد انتابه شعور كبير بالإحباط - أن المنزل كان غريبًا بالنسبة له؛ فهو لم يره من قبل، ولا في أحلامه أصلًا.

كان منـزلًا أبيـض اللـون، مشيد علـى أرض مرتفعـة تجاوره بعض الأشجار، وعلى مسافة منه بعض التلال المغطاة بالزهور الزرقـاء، إلا أن ذلك المنزل قـد اكتسب سحره الخاص من كونه منزلًا جميلًا حقًّا، وليس من تلك المناظر المحيطة به! (وكانت

هذه النقطة هي التي جعلت الحلم مثيرًا). تسارعت نبضات قلبه وهو يسترجع مرة أخرى ذلك الجمال الغريب الذي يحظى به هذا المنزل.

ولكنه لا يتذكر سوى الجمال الخارجي لهذا المنزل؛ فهو لم يدخله من قبل، ليس هناك شك في هذا الأمر، ليس هناك شك على الإطلاق في أنه لم يدخله من قبل.

وبعد أن ظهرت أمامه ملامح غرفته السكنية الحقيرة، بفعل ذلك الضوء المتسرب للغرفة؛ استفاق جون شاعرًا بخيبة أمل الحالم. ربما لم يكن الحلم في غاية الروعة، وربما تفلّت منه الجزء الرائع، ولم يستطع اللحاق به. منزل لونه أبيض، يستقر على أرض مرتفعة، لا يوجد شيء مثير في هذا، أليس كذلك؟ تذكّر جون أن المنزل كان كبيرًا إلى حد ما، وله نوافذ كثيرة ستائرها مغلقة، ليس لأن أصحاب المنزل لم يكونوا موجودين به (لقد كان متأكدًا من وجودهم بداخله!)، لكن يرجع ذلك إلى أن الوقت كان مبكرًا للغاية لكي يستيقظ أحدهم.

سخر جون من تلك السخافات التي يصورها له خياله، وتذكر أن لديه موعد عشاء مع السيد ويترمان هذا المساء.

٢

كانت مايسي ويترمان الابنة الوحيدة لرودولف ويترمان. تعودت مايسي طوال حياتها أن تحصل على ما تريد. وقد لاحظت وجود جون سيجريف حين ذهبت في زيارة إلى مكتب والدها ذات يوم. كان جون قد أحضر لوالدها بعض الخطابات التي طلبها، وبعد

أن غادر جون غرفة المكتب سألت مايسي والدها عن هوية ذلك الشاب؛ فأجابها والدها بوضوح قائلًا:

"هذا جون، أحد أبناء السيد إدوارد سيجريف، إنه ينحدر من عائلة عريقة، لكنَّ أحوالهم قد تدهورت الآن. لن يستطيع هذا الولد أن يحقق في حياته شيئًا عظيمًا، أو أن يعيد أمجاد العائلة. إنني أحبه، لكنه لا يستطيع تحقيق شيء. إنه لا يمتلك عزيمة على الإطلاق".

ربما لم تهتم مايسي بوجود صفة العزم لديه. كانت هذه صفة ذات قيمة بالنسبة لوالديها، أما هي فلم تكن تأبه بذلك. لقد استطاعت أن تقنع والدها - بعد مرور أسبوعين - أن يدعو جون سيجريف إلى العشاء. كان عشاءً وديًا يجمع كلًا من مايسي ووالدها وجون وإحدى صديقاتها التي كانت تقيم معها في ذلك الوقت.

أبدت صديقة مايسي بعض الملاحظات.

"هذه مجرد تجربة، أليس كذلك يا مايسي؟ قريبًا سيضعه والدك في لفافة صغيرة رقيقة ويحضره للبيت من المدينة كهدية لابنته الصغيرة المُدللة - بعد أن يدفع الثمن المناسب بالطبع".

"أليجرا! كوني مؤدبة!".

ضحكت أليجرا كير وقالت:

"أنت دائمًا تحصلين على ما تريدين يا مايسي؛ فعندما تعجبك أي قبعة، لابد أن تحصلي عليها! ولِمَ لا تتبعين الأسلوب نفسه للحصول على زوج؟".

"لا تكوني سخيفة، فأنا لم أتحدث معه حتى الآن".

قالت الفتاة الأخرى: "كلا. لكنَّك قد عقدت العزم لفعل ذلك. ما الذي أعجبك فيه يا مايسي؟".

قالت مايسي ويترمان ببطء: "لا أعرف، إنه شخص مختلف".

"مختلف؟!".

"نعم، إنني لا أعرف كيف أشرح هذا. إن وسامته غريبة، لكن ليس هذا هو السبب. إنه من النوع الذي لا يلتفت إليك. في الواقع، لا، أعتقد أنه نظر إليّ ولو لمرة واحدة في ذلك اليوم حين كنت في مكتب أبي".

أطلقت أليجرا ضحكة وقالت:

"هذه حيلة قديمة، إنه شاب ماكر حقًّا".

"أليجرا، كم أنت حقودة!".

"ابتهجي يا عزيزتي، سوف يشتري أبوك ذلك الحمل اللعبة لابنته المُدللة".

"لا أريد أن يكون الأمر كذلك".

"تريدين منه أن يحبك، أليس كذلك؟".

"ولِمَ لا يحبني؟".

"ليس هناك سبب على الإطلاق كي لا يحبك. أعتقد أنه سيفعل".

ابتسمت أليجرا وهي تتحدث، وأخذت ترمق الفتاة الأخرى بنظراتها. كانت مايسي ويترمان قصيرة القامة، وبدينة بعض الشيء، ذات شعر أسود فاحم مُموج ومهذب بعناية، كما عززت مساحيق التجميل وأحمر الشفاه جمال بشرتَها الجميلة الطبيعي. كانت ذات فم جميل وأسنان منمقة، وكانت عيناها

سوداوين صغيرتين متلألئتين، وكان ذقنها ممتلئًا بعض الشيء، ولقد كانت ترتدي فستانًا جميلًا.

أنهت أليجرا تفحصها لصديقتها وقالت: "بالتأكيد، ليس عندي شك في أنه سيحبك؛ فمظهرك بالكامل جيد جدًا يا مايسي".

نظرت إليها مايسي بارتياب.

قالت أليجرا: "إنني أعني هذا حقًّا، أقسم لك، لكن دعينا نفترض جدلًا أنه لم يفعل، أعني أنه لم يقع في حبك. لنفترض أن مشاعره تجاهك كانت صادقة، لكنها أفلاطونية، ماذا عساك أن تفعلي حينئذ؟".

"ربما لا أحبه عندما أتعرف على شخصيته أكثر وأكثر".

"قد يكون ذلك صحيحًا، وقد يحدث العكس وتحبينه أكثر، فما الحل في هذه الحالة؟!".

هزَّت مايسي كتفيها بلا مبالاة وقالت:

"أتمنى أن يكون لديَّ ما يكفي من الكبرياء لكي...".

قاطعتها أليجرا قائلة:

"قد يكون الكبرياء مفيدًا في إخفاء مشاعرك، لكنه لا يمنعك من الإحساس بها".

قالت مايسي وقد توردت وجنتاها: "حسنًا، أنا لا أفهم لماذا لا ينبغي لي قول ذلك. إنني مناسبة له. أعني من وجهة نظره، فأنا ابنة رئيسه".

قالت أليجرا: "تقصدين أنه سيكون شريكًا لوالدك في العمل؟ نعم يا مايسي، إنك ابنة رئيسه بالفعل، أنا مسرورة بهذا للغاية. أحب أن يتصرف أصدقائي على النحو الذي أتوقعه منهم!".

لم تشعر مايسي بالارتياح حيال لهجة صديقتها الساخرة.

فقالت: "كم أنت حقودة يا أليجرا!".

"لكنني مثيرة كذلك يا عزيزتي؛ لهذا أحضرتني إلى هنا. إنك تعرفين أنني أدرس التاريخ، ودائمًا ما كنت أتساءل عن سبب ذلك التشجيع الذي يتلقاه المهرج الخاص بالملك، وسبب السماح له بالوجود في الأماكن الفاخرة. الآن وقد أصبحت مثله، فقد فهمت السبب. إنه دور جيد، كما ترين. كان لابد أن أفعل شيئًا. فها أن ذي، فخورة ومعدمة، مثل بطلة رواية قصيرة... تلك الفتاة التي نشأت وسط عائلة غنية، لكنها لم تربى جيدًا. "*ماذا تفعلين أيتها الفتاة؟ الله أعلم*"، هكذا تسأل البطلة نفسها دائمًا... تلك البطلة التي عادة ما تكون من الفرع الفقير في العائلة... والتي عادة ما ترضى بالبقاء في غرفة بدون مدفأة... وتقبل بالقيام بأعمال غريبة، و "تساعد ابنة عمها التي لا تحبها كثيرًا... تلك لا يلتفت أحد إليها، رغم أنها تستحق ذلك. لا أحد يريدها سوى أولئك الذين لا يستطيعون الاحتفاظ بخَدَمهم، ويعاملونها كخادمة.

"وهكذا أصبحت مهرج القصر، أتحدث بوقاحة وصراحة وحكمة من وقت لآخر (دون أن أكثر من الحكمة حتى لا يؤخذ كلامي على محمل الجد)، وإلى جانب هذا كله، أراقب طبائع البشر مراقبة شديدة. إن الناس يحبون أن تخبرهم كم هم سيئون؛ ولهذا يذهبون إلى الواعظين المشهورين. لقد حققتُ نجاحًا كبيرًا في هذا؛ فدائمًا ما يدعوني الناس إلى بيوتهم. يمكنني أن أعيش عالة على أصدقائي بسهولة شديدة، وأنا حريصة على ألا أتظاهر بالامتنان".

"ليس هناك مَن هو مثلك يا أليجرا. أنتِ لا تجدين حرجًا في التصريح بما يجول في خاطرك".

"إنك مخطئة في هذا، بل أفعل وأفكر جيدًا وأحرص على اختيار كلماتي. إن صراحتي المزعومة دائمًا ما تكون محسوبة. لابد أن أكون حريصة؛ فهذه الوظيفة يجب أن تساعدني على أن أمتلك قوت يومي".

"ولِمَ لا تتزوجين؟ أعرف أن الكثير تقدموا لخطبتكِ".

تغير وجه أليجرا فجأة وقالت:

"لا يمكنني الزواج أبدًا".

"لأن ..." لم تُكمل مايسي الجملة، منتظرة أن تكملها. لكن أليجرا اكتفت بأن أومأت برأسها تأكيدًا لتصريحها السابق.

سمعت الفتاتان وقع أقدام على الدَرَج. فتح كبير الخدم الباب وقال:

"لقد حضر السيد سيجريف".

دخل جون بدون أية حماسة؛ فهو لم يكن يعرف سبب دعوة رئيسه له للحضور إلى بيته، ولو كان باستطاعته التملص من الزيارة، لَفَعَلَ بلا تردد. أصابه المنزل بالكآبة بفخامته الواضحة وبذلك السجاد ذي الوبر الناعم المفروش على أرضيته.

تقدمت إليه الفتاة وصافحته. لقد تذكر بصعوبة أنه رآها في يوم ما بمكتب والدها.

"كيف حالك يا سيد سيجريف؟ دعني أقدم لك الآنسة كير".

انتبه لنفسه فجأة وتساءل: من هذه الفتاة؟ من أين جاءت؟ بدت الفتاة كأنها لا تنتمي للغرفة، بردائها الفضفاض ذي الألوان الصارخة الذي بدا كأنه يطفو من حولها، والقبعة الريش التي تضعها حول رأسها اليوناني الصغير. بدت الفتاة كأنها هاربة من

مكان ما، أو أنها عبرت هنا بالصدفة، بل لقد كانت بارزة بشدة وسط الخلفية الباهتة المحيطة بها، حتى بدت أمام عينيه غير حقيقية.

دلف رودولف ويترمان إلى الغرفة وكان يرتدي قميصًا لامعًا تصدر فتحة صدره الواسعة صريرًا حينما يمشي. وعلى الفور، صحبهم ويترمان إلى غرفة تناول الطعام بالطابق الأسفل.

تحدثت أليجرا كير إلى مضيفها، واضطر جون ريف للحديث مع مايسي، لكن عقله كان مشغولًا بتلك الفتاة التي تجلس قبالته. فقد كانت رائعة بشكل لا يصدق؛ لكنه ظن أن روعتها هذه كانت متعمدة وليست فطرية. فخلف كل هذا المظهر الرائع، كان هناك شيء دفين... وكأن هناك نارًا متقطعة ومتقلبة بداخلها... أو كأنها أشبه بوهج المستنقعات الذي كان يغري الصيادين ويقودهم إلى هلاكهم في الأزمنة القديمة.

أخيرًا سنحت له فرصة لكي يتحدث معها، عندما ذهبت مايسي لتعطي والدها رسالة من صديق له قابلته اليوم. ولكن عندما حانت اللحظة، شعر كأن لسانه قد انعقد. وأكتفى بأن ألقى عليها نظرة صامتة.

قالت ببساطة: "هل حان الوقت لتبادل أحاديث مائدة الطعام . هل نبدأ بالمسرح؟ أم نبدأ بأحد الأسئلة الكثيرة التي تبدأ بـ "هل تحب كذا؟".

أرسل جون ضحكة.

"وإن وجدنا أن كلينا يحب الكلاب ويكره قطط الرمال، أفلا يشكل ذلك "رابط" بيننا؟".

قالت أليجرا بجدية: "بلا شك".

"ماذا عن الحديث في الأمور الاجتماعية؟ أعتقد أن من المُحزن البدء بشيء كهذا".

"لكنَّ هذا الموضوع يجعل الجميع يشاركون في النقاش".

"هذا صحيح، لكن ستكون نتائج ذلك النقاش كارثية".

"من الجيد أن تعرف القوانين؛ على الأقل حتى نستطيع خرقها".

ابتسم لها جون.

وقال: "لا مفر إذن من الانغماس في موضوعاتنا الشخصية الغريبة ، بالرغم من أننا بهذه الطريقة نظهر عبقرية تصل إلى حد الجنون".

أطاحت يد الفتاة - على نحو مفاجئ - بكأس من الشراب فوقع على الأرض. أحدث الزجاج المتهشم صوتًا جعل مايسي وأبيها يتوقفان عن الحديث.

"أنا آسفة يا سيد ويترمان؛ لقد أوقعت الكأس على الأرض".

"عزيزتي أليجرا، لا بأس، لا بأس على الإطلاق".

قال جون بصوت خافت:

"زجاج مُهشَّم. هذا فأل سيئ، ليت هذا لم يحدث".

قالت أليجرا: "لا تقلق، فالقول المأثور يقول: لا يمكنك أن تجلب الحظ السيئ إلى بيت يقيم فيه الحظ السيئ".

التفتت أليجرا مرةً أخرى إلى ويترمان، بينما شرع جون في إكمال حديثه مع مايسي، وهو يحاول أن يتذكر أين قيلت هذه الجملة المقتبسة التي قالتها أليجرا. فَهِمَ جون العبارة أخيرًا، لقد قيلت هذه الكلمات على لسان سيجليند في مسرحية فالكيري حينما عرض سيجموند مغادرة البيت.

فكر مليًّا وقال: "هل كانت تقصد ... ؟".

لكنَّ مايسي كانت تسأله عن رأيه في آخر مسرحية هزلية. فاعترف على الفور بأنه محب للمسرحيات الموسيقية.

قالت مايسي: "سنطلب من أليجرا أن تعزف لنا شيئًا بعد تناول العشاء".

وبعد العشاء، ذهب الجميع إلى غرفة الصالون معًا. بشكل سري،كان ويترمان يعد هذه العادة غير حضارية؛ فهو يفضل قضاء الوقت في النادي الاجتماعي وتناول الشراب والسيجار بصحبة أصدقائه من رجال الأعمال، علاوة على أنه لن يجد أي شيء يتحدث بشأنه مع سيجريف. إن مايسي سيئة جدًّا في اختيار نزواتها. فهذا الرجل لم يكن وسيمًا - على الإطلاق - ولم يكن مُسليًا كذلك. شعر ويترمان بالارتياح عندما طلبت مايسي من أليجرا أن تعزف بعض الموسيقى. إن هذا من شأنه أن يجعل تلك الليلة تنتهي سريعًا؛ فذلك الشاب الأحمق لم يكن حتى يجيد لعبة البريدج.

كان عزف أليجرا جيدًا، رغم افتقاره إلى لمسة المحترفين الواثقة. عزفت أليجرا موسيقى حديثة، كما عزفت مقطوعات لديبوسي، وشتراوس، وبعض مقطوعات سكريابين. بعد هذا بدأت في أول مقطوعة من لحن *باثيتيك* لبيتهوفن، تلك الكلمة التي من المفترض أن تشعرك بأسى وكآبة لا تنتهي، لكن المقطوعة من بدايتها إلى نهايتها تعبر عن روح لا تقبل الخسارة؛ ففي جلال المحنة العاتية، يتحرك الإيقاع واصفًا خطوات المحتل إلى مثواه الأخير.

قرب نهاية المقطوعة، تعثرت أليجرا وصدرت عنها بعض النغمات النشاز، ثم توقفت فجأة. نظرت أليجرا إلى مايسي وضحكت في سخرية.

وقالت: "هل ترين؟ لن يتركوني".

ودون أن تنتظر ردًّا على عبارتها الغامضة، انهمكت في عزف مقطوعة غريبة ومخيفة. كان اللحن عبارة عن إيقاعات غريبة، ونغمات عجيبة بها تناغم غريب لم يشبه شيئًا سمعه سيجريف في حياته من قبل. كان لحنًا رقيقًا يشبه رفرفة طائر متزن محلق، وفجأة وبدون سابق إنذار تحول اللحن إلى مجموعة إيقاعات متنافرة، وتركت أليجرا كرسي البيانو ضاحكة.

برغم ضحكتها، بدت أليجرا مضطربة وخائفة قليلًا. جلست بجانب مايسي، وسمع جون مايسي وهي تهمس إليها قائلة: "لا يجب أن تفعلي هذا. لا يجب أن تفعلي ذلك".

سألها جون بفضول: "ما هذا اللحن الأخير؟".

"أحد ألحاني الخاصة".

كانت تتحدث بحدة واقتضاب، فقام ويترمان بتغيير الموضوع.

في تلك الليلة حلم جون بذلك المنزل مرة أخرى.

٣

كان جون تعيسًا؛ فلم تكن حياته بهذا الملل من قبل، حتى هذه اللحظة، لقد تعود جون - حتى الآن - أن يتقبل حياته بصبر، لقد كان ذلك شرًّا لابد منه، لكنه لم يكن يتقبل تلك الأشياء التي تكبت حريته. لكنَّ هذا كله قد تغير الآن؛ لقد امتزج عالم جون الخارجي بعالمه الداخلي. لم يستطيع أن ينكر سبب هذا

التغيير عن نفسه، هو يعرف أنه قد وقع في حب أليجرا كير من النظرة الأولى. ماذا عساه أن يفعل حيال ذلك؟

في تلك الليلة كان مرتبكًا للغاية؛ فلم يفكر في أية خطط، حتى أنه لم يحاول أن يراها مرةً أخرى، وبعد مرور وقت قصير، عندما وجهت إليه مايسي ويترمان دعوة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في بيت والدها بالقرية، وافق جون وهو يشعر بحماس شديد، لكنه شعر بالإحباط حينما لم يجد أليجرا هناك.

سأل مايسي عنها بتردد، فأخبرته أنها تزور بعض أصدقائها في أسكتلندا. لم يسأل عنها مرة أخرى. كان يريد أن يكمل الحديث عنها، لكنَّ الكلمات قد تحشرجت في حلقه فلم يستطع التفوه بها.

كانت مايسي في حيرة من أمرها بشأن جون في هذه العطلة. كيف لا يرى ما بدا واضحًا للجميع؟ كانت مايسي فتاة صريحة، لكنَّ صراحتها لم تعنِ شيئًا لجون. كان يعتقد أنها لطيفة، لكنها تميل إلى السيطرة بعض الشيء.

لكنَّ الأقدار كانت أقوى من مايسي؛ فقد شاءت أن يتقابل جون مع أليجرا ثانيةً.

تقابلا بالصدفة في الحديقة في مساء يوم الأحد. لمحها جون من بعيد، وازداد خفقان قلبه. كان قلقًا من أن تكون قد نسيته.

لكنها لم تَنْسَه، لقد توقفت وتحدثت إليه.

وفي غضون دقائق قليلة، كانا يسيران جنبًا إلى جنب فوق الحشائش الخضراء. كان جون يشعر بسعادة غامرة.

قال جون فجأة وبدون أي مقدمات:

"هل تؤمنين بالأحلام؟".

"أؤمن بالكوابيس".

اندهش جون من تلك الحدة التي ظهرت في صوتها.

قال ببلاهة: "كوابيس؟! أنا لم أقصد الكوابيس".

نظرت إليه أليجرا وقالت:

"أعرف، لا يبدو أن هناك كوابيس في حياتك، أستطيع فهم هذا الأمر".

جاء صوتها رقيقًا ومختلفًا هذه المرة.

أخبرها جون متلعثمًا عن ذلك المنزل الأبيض الذي يراه في أحلامه. لقد رآه ست مرات الآن، لا، بل سبع مرات؛ الشكل نفسه الذي يراه كل مرة، كان هذا المنزل جميلًا، جميلًا جدًّا.

استطرد جون قائلًا:

"هل تعرفين؟ إن هذا الحلم له علاقة بكِ، بشكل ما، لقد رأيته أول مرة في الليلة السابقة لرؤيتي لك".

أرسلت ضحكة بها شيء من السخرية وقالت: "له علاقة بي؟ هذا مستحيل، قلت إن البيت كان جميلا".

قال جون سيجريف: "وأنت كذلك".

تورد وجه أليجرا، وبدا عليها بعض الانزعاج، وقالت:

"أنا آسفة، لقد كنت حمقاء في تصرفي هذا، لقد بدا كأني أطلب منك إطراءً، أليس كذلك؟ لكنني لم أقصد هذا على الإطلاق، إن مظهري الخارجي ليس سيئًا، أعرف هذا".

قال جون سيجريف: "إنني لم أرَ البيت من الداخل بعد، لكنني متأكد أنه جميل من الداخل كما هو من الخارج".

قال هذه الكلمات ببطء، وبشيء من الجدية؛ ما جعل المقصد من حديثه يزداد وضوحًا، لكنَّ أليجرا قررت تجاهل كلامه هذا.

استرسل جون قائلًا: "أريد أن أخبرك بشيء آخر، إذا أردتِ".

قالت أليجرا:

"سأستمع إليك، تفضل".

"سأستقيل من وظيفتي، كان يجب أن أفعل هذا منذ وقت طويل، أنا أرى أنه يجب عليَّ فعل ذلك الآن؛ لطالما عشت حياتي وأنا أشعر بأنني لست إلا مجرد شخص فاشل، لم أكن أهتم كثيرًا بهذا، كنت أعيش يومًا بيوم، لا ينبغي للرجل الحقيقي أن يفعل هذا. إن مهمة الرجل أن يجد شيئًا يستطيع فعله وأن ينجح فيه. سأترك وظيفتي، وأتجه إلى شيء آخر، شيء مختلف. من الممكن أن يكون هذا الشيء هو ذهابي في بعض البعثات إلى جنوب أفريقيا، لا أستطيع أن أخبرك التفاصيل. لا ينبغي أن يعرفها أحد، لكن إذا سارت الأمور على ما يرام في هذه البعثة، فسوف أصبح ثريًا".

"إذن، أنت كذلك تقيس مدى النجاح بالقدر الذي تجنيه من الأموال؟".

قال جون سيجريف: "إن المال لا يعني إلا شيئًا واحدًا بالنسبة لي - أنتِ! حينما أعود، سوف ..." ثم توقف جون.

مالت أليجرا برأسها. كان وجهها شاحبًا.

"لن أدَّعي أنني لا أفهم ما تعنيه؛ لهذا يجب أن أخبرك شيئًا ما، لأول وآخر مرة: أنا *لن أتزوج أبدًا*".

صمت قليلًا وفكر مليًّا، ثم قال بلطف شديد:

"هل يمكن أن تخبريني عن السبب؟".

"نعم يمكنني، لكنني لا أريد أن أخبرك أبدًا".

عاد جون لصمته ثم رفع بصره إليها فجأة! ونمت على شفتيه ابتسامة جذابة أضاءت وجهه الذي ارتسمت عليه علامات المكر.

قال لها: "فهمت، إذن فلن تتركيني أدخل البيت؟ ولو ثانية؟ سوف تظل الستائر مغلقة إذن".

مالت أليجرا إلى الأمام ووجهت إليه كلامًا يتسم بالعنف قائلةً:

"لن أخبرك أكثر من هذا: أنت تحلم بذلك المنزل الذي تراه، أما أنا فلا أحلم، أحلامي ليست إلا كوابيس!"

ثم تركته فجأة، وشعر حينها بالإحراج.

في هذه الليلة أتاه الحلم مرة أخرى. لقد أدرك - منذ وقت قصير - أن هناك أشخاصًا تعيش في هذا المنزل؛ فلقد رأى في أحد أحلامه يدًا تمتد لتزيح الستائر، ولمح بعض الأشخاص يتحركون بالداخل.

في هذه الليلة بدا المنزل أجمل مما رآه من قبل؛ فلقد بدت جدرانه البيضاء ساطعة بفعل ضوء الشمس، لقد اكتمل جماله بروح السلام التي ملأت أرجاءه.

اجتاحته - فجأة - فرحة شديدة حينما رأى شخصًا يقترب من النافذة. امتدت يد ما - إنه يعتقد أنه قد رأى تلك اليد من قبل - وأزاحت الستائر تمامًا، في دقيقة واحدة رأى ...

استيقظ جون وهو يرتجف من الرعب لشدة قبح ذلك *الشيء* الذي نظر إليه من نافذة هذا المنزل.

كان شيئًا مُريعًا بشكل لا يوصف. اعترى جون شعور بالتقزز لمجرد تذكره قبح ذلك الشيء وبشاعته، لكنَّ الشيء الأكثر

بشاعة في هذا الحلم، هو وجود ذلك الشيء في هذا المنزل الجميل.

لابد أن يكون المكان الذي يسكنه هذا الشيء مكانًا مرعبًا، ذلك الرعب الذي طمس معالم السلام والسكينة اللذين كانا أول انطباع تكوَّنَ لديه عن هذا البيت. إن جمال المنزل، جمال البيت الذي خلد في لبه، قد ذهب بلا رجعة، فقد انعكس خيال ذلك الشيء البغيض على جدرانه البديعة!

كان سيجريف يعلم أنه إن حلم بهذا المنزل مرة أخرى، فسوف يستيقظ وهو يشعر برعب شديد، مخافة أن ينظر إليه ذلك الشيء البغيض فجأة من نافذة هذا المنزل الأبيض الجميل.

في مساء اليوم التالي، ذهب جون إلى منزل السيد ويترمان بعد أن أنهى عمله مباشرةً. يجب أن يرى أليجرا كير. لابد أن مايسي تعرف مكانها.

لم يلحظ جون أبدًا وجود تلك اللمعة التي كانت تظهر في عيني مايسي عندما كانت تراه، ثم هبت واقفة لمصافحته. قال جون متلعثمًا، بينما كانت يده لا تزال تطبق على يدها:

"لقد قابلت الآنسة كير بالأمس، لكنني لا أعرف أين تسكن".

لم يشعر جون بارتخاء يد مايسي في يده حينما سحبتها، ولم يلحظ كذلك تلك البرودة المفاجئة التي ظهرت في صوتها.

"أليجرا هنا، إنها تعيش معنا حاليًا، لكن أخشى أنك لن تتمكن من مقابلتها".

"لكن ...".

"لقد توفيت والدتها هذا الصباح. لقد وصلنا الخبر للتوّ".

قال في دهشة: "يا إلهي!".

ترددت مايسي قليلًا ثم استطردت قائلة: "إن الأمر مؤسف حقًا، لقد توفيت والدتها في أحد مستشفيات الأمراض العقلية، وهناك مرض نفسي في العائلة؛ فقد انتحر جدُّها بإطلاق النيران على نفسه، وأصيبت عمتها بحالة من الجنون، وانتحرت عمة أخرى بإغراق نفسها".

تمتم جون سيجريف ببعض الكلمات غير الواضحة.

استطردت مايسي قائلةً: "ظننت أن عليَّ أن أخبرك بهذا الأمر. في النهاية نحن أصدقاء، أليس كذلك؟ إنني لا أستطيع أن أنكر أن أليجرا جذابة للغاية. لقد تقدم الكثيرون لخطبتها إلا أنها لن تتزوج أبدًا بطبيعة الحال، لا يمكنها، أليس كذلك؟".

أجاب سيجريف قائلًا: "إنها بخير، ليس *بها* أي *شيء*".

بدا صوته أجش، لدرجة أنه كان غريبًا على أذنيه.

"لا يستطيع أحد التأكد من هذا، لم تكن والدتها تعاني شيئًا أيضًا في شبابها، لقد كانت غريبة الأطوار بعض الشيء فقط، لكنَّها أصيبت بالهذيان؛ حيث كانت تتصرف بشكل غير عقلاني. إن الجنون لشيء بغيض".

"نعم، إنه لأبغض *شيء* في الوجود".

فهم جون الآن ماهية الشيء الذي نظر إليه من نافذة المنزل.

كانت مايسي مسترسلة في حديثها، حينما قاطعها جون بفظاظة قائلًا: "على أية حال، أتيت لأودعكم وأشكركم على لطفكم معي".

قالت مايسي، بينما بدا في صوتها بعض الذعر:

"هل ستغادر؟".

بشاعة في هذا الحلم، هو وجود ذلك الشيء في هذا المنزل الجميل.

لابد أن يكون المكان الذي يسكنه هذا الشيء مكانًا مرعبًا، ذلك الرعب الذي طمس معالم السلام والسكينة اللذين كانا أول انطباع تكوَّنَ لديه عن هذا البيت. إن جمال المنزل، جمال البيت الذي خلد في لبه، قد ذهب بلا رجعة، فقد انعكس خيال ذلك الشيء البغيض على جدرانه البديعة!

كان سيجريف يعلم أنه إن حلم بهذا المنزل مرة أخرى، فسوف يستيقظ وهو يشعر برعب شديد، مخافة أن ينظر إليه ذلك الشيء البغيض فجأة من نافذة هذا المنزل الأبيض الجميل.

في مساء اليوم التالي، ذهب جون إلى منزل السيد ويترمان بعد أن أنهى عمله مباشرةً. يجب أن يرى أليجرا كير. لابد أن مايسي تعرف مكانها.

لم يلحظ جون أبدًا وجود تلك اللمعة التي كانت تظهر في عيني مايسي عندما كانت تراه، ثم هبت واقفة لمصافحته. قال جون متلعثمًا، بينما كانت يده لا تزال تطبق على يدها:

"لقد قابلت الآنسة كير بالأمس، لكنني لا أعرف أين تسكن".

لم يشعر جون بارتخاء يد مايسي في يده حينما سحبتها، ولم يلحظ كذلك تلك البرودة المفاجئة التي ظهرت في صوتها.

"أليجرا هنا، إنها تعيش معنا حاليًا، لكن أخشى أنك لن تتمكن من مقابلتها".

"لكن ...".

"لقد توفيت والدتها هذا الصباح. لقد وصلنا الخبر للتوّ".

قال في دهشة: "يا إلهي!".

ترددت مايسي قليلًا ثم استطردت قائلة: "إن الأمر مؤسف حقًا، لقد توفيت والدتها في أحد مستشفيات الأمراض العقلية، وهناك مرض نفسي في العائلة؛ فقد انتحر جدُّها بإطلاق النيران على نفسه، وأصيبت عمتها بحالة من الجنون، وانتحرت عمة أخرى بإغراق نفسها".

تمتم جون سيجريف ببعض الكلمات غير الواضحة.

استطردت مايسي قائلةً: "ظننت أن عليَّ أن أخبرك بهذا الأمر. في النهاية نحن أصدقاء، أليس كذلك؟ إنني لا أستطيع أن أنكر أن أليجرا جذابة للغاية. لقد تقدم الكثيرون لخطبتها إلا أنها لن تتزوج أبدًا بطبيعة الحال، لا يمكنها، أليس كذلك؟".

أجاب سيجريف قائلًا: "إنها بخير، ليس *بها* أي *شيء*".

بدا صوته أجش، لدرجة أنه كان غريبًا على أذنيه.

"لا يستطيع أحد التأكد من هذا، لم تكن والدتها تعاني شيئًا أيضًا في شبابها، لقد كانت غريبة الأطوار بعض الشيء فقط، لكنَّها أصيبت بالهذيان؛ حيث كانت تتصرف بشكل غير عقلاني. إن الجنون لشيء بغيض".

"نعم، إنه لأبغض *شيء* في الوجود".

فهم جون الآن ماهية الشيء الذي نظر إليه من نافذة المنزل.

كانت مايسي مسترسلة في حديثها، حينما قاطعها جون بفظاظة قائلًا: "على أية حال، أتيت لأودعكم وأشكركم على لطفكم معي".

قالت مايسي، بينما بدا في صوتها بعض الذعر:

"هل ستغادر؟".

ابتسم لها نصف ابتسامة - ابتسامة غير كاملة - حزينة لكنها كانت جذابة.

وقال "نعم إلى أفريقيا".

"أفريقيا؟!".

كررت مايسي كلامه في دهشة، وقبل أن تستجمع شتات أمرها، كان جون قد صافحها وغادر. كانت لا تزال واقفة هناك، ويداها مضمومتان إلى جنبيها، وقد اندفعت الحمرة إلى وجنتيها في غضب.

عندما هبط جون إلى أسفل وعند عتبة الباب، رأى أليجرا قادمة من الشارع. كانت ترتدي رداءً أسود اللون، وبدا وجهها شاحبًا وخاليًا من النضارة والحيوية. ألقت إليه نظرة ثم أخذته إلى غرفة ضيوف صغيرة بالداخل.

قالت أليجرا: "لقد أخبرتك مايسي بالأمر. أنت تعرف كل شيء الآن؟".

أومأ جون برأسه وكأنه يصدق على كلامها، ثم قال:

"ولكن ما أهمية ما قالته؟! *إنك* بخير، لن يصيب الجنون جميع أفراد العائلة".

نظرت إليه وكانت ملامح الكآبة والحزن قد ارتسمت على وجهها.

كرر كلامه قائلًا: "*إنك* بخير".

همست أليجرا قائلة: "لا أعرف، لا أعرف، لقد أخبرتك عن تلك الأحلام التي تراودني، إنني أشعر أحيانًا وأنا أعزف على البيانو أن هناك *أشخاصًا آخرين* يأتون ويمسكون بيدي".

في هذه اللحظة كان جون يمعن فيها النظر، وهو يشعر بالعجز عن أن يفعل لها شيئًا. بدا في عينيها - للحظة وهي

تتحدث - شيء غريب. اختفى ذلك الشيء في وهلة، لكنه كان يعرفه، لقد كان ذلك *الشيء* الذي نظر إليه من نافذة المنزل.

لاحظت أليجرا علامات الاشمئزاز التي بدت على وجهه في هذه اللحظة.

همست إليه قائلة: "أترى، أتمنى لو أن مايسي لم تخبرك بشيء؛ فهي بذلك قد جردتك من كل شيء".

"كل شيء؟!".

"نعم، حتى ذلك الحلم؛ فلن تجرؤ على رؤية منزل الأحلام بعد اليوم".

٤

اشتد لهيب شمس غرب أفريقيا وأصبحت الحرارة لا تُطاق.

كان جون سيجريف يهذي وهو نائم قائلًا:

"لا أستطيع أن أجده ... لا أستطيع أن أجده".

تجهم الطبيب الإنجليزي الشاب ذو الوجه الأحمر والفك الكبير، ونظر إلى مريضه بطريقته المعتادة، ثم قال:

"إنه يردد هذا الكلام بدون توقف، فما معنى هذا؟!".

قالت الممرضة المتطوعة بصوت رقيق:

"أعتقد أنه يقصد منزلًا ما يا سيدي".

قالت ذلك الكلام بلين ورفق، بينما كانت تنظر إلى ذلك الرجل المصاب بضربة شمس.

"منـزل؟ حسنًـا، عليـه أن ينسـى أمر ذلـك المنـزل، وإلا فلن نستطيـع مساعدتـه، لن نستطيع ما دام ذلـك المنزل في خياله. سيجريف! سيجريف!".

أفاق جون سيجريف وتبين وجه الطبيب الواقف أمامه.

قـال الطبيـب: "اسمع، سوف تكون على ما يـرام. سأعالجك، لكـن عليـك أن تتوقف أولًا عـن التفكير في ذلك المنـزل، إنه لن يذهب إلى أي مكان كما تعرف؛ فلا تجهد نفسك في البحث عنه الآن".

قـال جـون فـي استسـلام: "حسنًـا، أعتقـد أنه لـن ينجح في الهروب مني؛ فإنه لم يكن موجودًا في الحقيقة من البداية".

ضحك الطبيب منتشيًا، وقال: "بالطبع، إنه لن يهرب، هكذا ستتحسن سريعًا"، ثم غادر الغرفة بلا مبالاة.

بـدأ سيجريف فـي التفكير بينما كان مستلقيًـا على السرير. كانـت الحُمَّـى قد هدأت، واستطاع أن يفكـر بوضوح وصفاء ذهن، لابد أن يجد ذلك المنزل.

لطالمـا شعـر بالذعر - لمدة عشر سنـوات كاملة - خوفًا من أن يجده. إن فكرة أن يراه على حين غرة كانت تخيفه للغاية، ثم تذكـر - بعـد أن سكنت مخاوفه - أنـه قد صادف هذا *المنزل* يومًا مـا، تذكـر الخوف الـذي اجتاحه فـي البداية، ثم تذكـر ارتياحه المفاجئ، حين وجد أن المنزل كان خاليًا!

كان المنزل خاليًا وهادئًا على نحو رائع. كان الأمر يبدو كأنه قد رآه الآن على الصورة نفسها التي رآه عليها منذ عشر سنوات. إنـه لـم ينسَه أبـدًا، كانت هناك عربة سوداء ضخمـة لنقل الأثاث تتحـرك ببطء فـي طريقها لمغـادرة ذلك المنزل. يبـدو أن ذلك الشخـص الذي كان يقطن هذا المنزل مؤخـرًا، يستعد للمغادرة

ويحمل أثاثه ليأخذه معه، ذهب إلى الرجال الذين كانوا يرفعون الأثـاث إلى إحـدى العربات وتحدث معهم. كانـت العربة شديدة السواد، كما أن تلك الخيول التي تجرها كانت سوداء أيضًا، كانت لهـا أعـراف وذيـول سـوداء. كان الرجال يرتـدون ثيابًـا وقفازات سـوداء. لقـد تسبب كل هذا في ورود شيء مـا على باله: شيء لم يستطع تذكره.

نعـم، لقـد كان محقًا، لقد غـادر الساكن الأخير هـذا المنزل وانتهـى تعاقده، صار البيت خاويًا فـي هذه اللحظة، إلى أن يعود صاحبه من الخارج.

استيقـظ جـون، وكان يشعـر بهـدوء وسـلام يجتاحانه جراء شعوره بأن هذا المنزل كان خاليًا.

بعـد مرور شهـر، تلقى جون خطابًا من مايسي (التي واظبت علـى الكتابـة إليه مـرة كل شهر) أخبرته في الخطـاب أن أليجرا كير ماتت في المكان الذي ماتت فيه والدتها. أليس هذا مؤسفًا؟ رغم أن الموت كان رحمة لها.

لقـد كان من العجيـب أن يحدث ذلك الشيء بعد هذا الحلم، لقد فهم تأويل هذا الحلم تمامًا، لكن هذا الأمر كان عجيبًا حقًا.

الأسوأ من ذلك أنه لم ينجح في رؤية المنزل مرة أخرى منذ ذلك الحين، لقد نسي الطريق إليه.

عـادت الحُمَّـى إليه مرة أخرى، وأخـذ يتقلب في السرير وهو يشعـر بعـدم الراحـة، كيـف نسي أن هـذا المنزل قائـم على أرض مرتفعـة؟! لابـد أن يتسلق حتى يصل إليـه، لقد كان من الصعب جـدًا عليه تسلق هذا المنحدر؛ فما يصعد إلى أعلى أكثر، وأكثر، حتـى ينزلق! ثـم يبدأ من القاع ثانية، ثم يصعـد مرة أخرى إلى

الأعلى أكثر وأكثر. لقد مرت عليه أيام وأسابيع وهو على هذه الحال، وربما تكون قد مرت عليه سنوات كذلك، وهو مستمر في التسلق.

ذات مرة سمع صوت الطبيب، لكنه لم يستطع أن يتوقف عن التسلق ليستمع لكلامه، كما أن الطبيب سيخبره أن يتوقف عن البحث عن هذا المنزل؛ فقد كان يظنه منزلًا عاديًا، ولم يكن يعرف حقيقة هذا المنزل.

تذكر فجأة أنه يجب عليه أن يكون هادئًا، هادئًا للغاية؛ حيث إنه لا يمكنه أن يجد ذلك المنزل إلا إذا كان هادئًا للغاية. لن يجدي البحث عن هذا المنزل شيئًا إذا تم ذلك في عجالة أو انفعال.

ليته يستطيع أن يبقى هادئًا! إن الحرارة مرتفعة! هل الحرارة مرتفعة حقًا؟ لا، بل كان الجو *باردًا*، نعم، كان باردًا. لا توجد هناك أي منحدرات، بل توجد جبال جليدية متعرجة وباردة.

كان مُتعبًا للغاية، لن يُجدي بأية حال من الأحوال أن يستمر في هذا البحث للأبد. ما هذا؟! يوجد هناك ممر، هذا أفضل من الجبال الجليدية بالطبع. كم كان الجو مبهجًا ومثيرًا للريبة في هذا الممر البارد المليء بالأشجار الخضراء. يا لروعة هذه الأشجار! هذه الأشجار تشبه... ماذا تشبه؟ لم يستطع أن يتذكر، لكنَّ ذلك لا يهم.

يا إلهي! هناك أزهار أيضًا. كلها ذهبية وزرقاء! يا لجمالها! إنها تبدو مألوفة بشكل غريب. لا شك أنه قد جاء إلى هذا المكان من قبل. لمح المنزل هناك من بين هذه الأشجار، كان قائمًا على هذه الأرض المرتفعة. يا له من منزل

جميل! إن جمال الممر، وما به من أشجار خضراء وزهور لم يكن ليُقارن بجمال ذلك المنزل الذي يبعث الهدوء والراحة في النفس.

أسرع من خطواته. كيف لم يدخل إلى هذا المنزل من قبل! كم كان غبيًا، لقد كان المفتاح في جيبه طوال الوقت!

بالطبع لا يمكن مقارنة جمال المنزل الخارجي بذلك الجمال الموجود بين جدرانه، خاصةً أن صاحب المنزل قد عاد من الخارج. أسرع خطاه عبر الدرج إلى ذلك الباب الكبير.

هناك يدان قويتان تجذبانه للخلف بقسوة! أحكمت اليدان قبضتها عليه، كانتا تجذبانه للأمام والخلف.

كان الطبيب يهزه، صارخًا في أذنه: "تشبث يا رجل، أنت تستطيع فعل ذلك، لا تستسلم، لا تستسلم". كانت عينا الطبيب مشتعلتين في ضراوة كأنه يرى عدوًا. تساءل سيجريف عمن يكون هذا "العدو". وكانت تلك السيدة المتطوعة المتشحة بالسواد تتضرع إلى الله. كان هذا غريبًا أيضًا.

كل ما أراده سيجريف هو أن يتركوه وحده، يجب أن يعود إلى ذلك المنزل، الذي يكاد يتلاشى بمرور الوقت.

كان هذا بسبب قوة الطبيب بالطبع، لم يكن جون قويًا بشكل كافٍ ليقاوم دفع الطبيب له. ليته كان قويًا!

لكن مهلًا! هناك طريقة أخرى، طريقة نستطيع بها تذكر الأحلام عندما نستيقظ من النوم؛ فلا توجد أي قوة تستطيع أن توقف *تلك الأحلام*، إنها تبتعد قليلًا فقط. لا يستطيع الطبيب أن يمسك به بيديه القويتين، إذا استطاع أن ينسل من بين يديه، أن ينسل فقط!

نعم، كانت هذه هي الطريقة الصحيحة! استطاع أن يرى جدران المنزل البيضاء مرة أخرى، وبدأ صوت الطبيب في التلاشي، ولم يعد يشعر بيديه كذلك، لقد فهم الآن كيف تسخر منَّا الأحلام حينما تهرب!

لقد وقف لتوّه أمام باب ذلك المنزل، وكان يسود جو من الهدوء الرائع الذي لا ينتهي. وضع المفتاح في القفل وأداره.

لم يستغرق جون أكثر من دقيقة حتى غمرته سعادة لا توصف، سعادة مُرضية لا مثيل لها.

حينئذ، تجاوز جون سيجريف عتبة الباب.

نبذة عن القصة

نُشرت قصة "منزل الأحلام" لأول مرة في مجلة سوفيرين في يناير عام ١٩٢٦، وتعد هذه القصة نسخة منقحة من قصة "منزل الجمال" التي كتبتها كريستي قبل الحرب العالمية الأولى، وقالت عنها في سيرتها الذاتية: "إن هذه القصة هي أول شيء أكتبه، ويشعرني أني موهوبة". بينما جاءت القصة الأصلية أكثر غموضًا وكآبة، جاءت قصة "منزل الأحلام" بأسلوب شبيه لقصص الأشباح المخيفة التي تمت كتابتها في عهد الملك إدوارد السابع، وبخاصة قصص الكاتب إدوارد فريدريك بينسون. إن قصة منزل الأحلام أكثر وضوحًا وأقل تعمقًا من القصة الأصلية؛ حيث قامت كريستي بتنقيحها بشكل كبير ليتم نشرها، وقد قامت بتخفيف حدة العوامل الغيبية التي كانت توجد في شخصية أليجرا، وابتكرت دور مايسي حتى يكون للقصة شخصيتان أنثويتان. وقد تناولت أجاثا كريستي الفكرة نفسها في قصة أخرى وكانت من أوائل كتاباتها، واسمها "دعوة الأجنحة"، نُشرت في المجموعة القصصية "كلب الموت" التي نشرت عام ١٩٣٣.

في عام ١٩٣٨، تحدثت كريستي عن قصة "منزل الأحلام" قائلة: "بينما كان تخيل القصة مبهجًا وكتابتها متعبة، فإنها كانت بذرة الكتابة التي نمت وترعرعت بداخلي. كنت أقضي أوقات فراغي في الأيام التي لم يكن لديَّ فيها شيئًا لأفعله، في التفكير في قصة. كانت معظم نهايات تلك القصص حزينة، وكان لبعضها دروس أخلاقية نبيلة". إن من أكثر من أثر في كريستي في سنواتها الأولى كأديبة، هو إيدن فيلبوتس، أحد جيرانها في مدينة دارتمور، ذلك الأديب المشهور والصديق المقرب لأسرة أجاثا كريستي. قدم إيدن الكثير من النصح لأجاثا كريستي - أجاثا ميلر في ذلك الوقت - وأوصاها بالقراءة لبعض الكُتَّاب الذين ساهموا في إلهام أجاثا بسبب أساليبهم ومفرداتهم التي كانوا يستخدمونها. في الأعوام التالية، حينما طغت شهرة أجاثا على شهرته، وصفت أجاثا كيف أمدها فيلبوتس باللباقة والعطف اللذين كانت في حاجة إليهما؛ مما ساهم في بناء ثقتها بموهبتها ككاتبة، حيث تقول: "إنني أتعجب من فهمه لي، وكيف أنه لم يقدم لي سوى التشجيع، وابتعد عن النقد"، وفي رثاء فيلبوتس عام ١٩٦٠، كتبت أجاثا: "لا يمكن أن أصف امتناني لطيبته وعطفه عليَّ كفتاة صغيرة مبتدئة في الكتابة".

الممثلة

١

مال ذلك الرجل ذو الثياب الرثة، الذي كان يجلس في الصف الرابع إلى الأمام، وأخذ يحدق إلى خشبة المسرح بشدة، وكأنه يشك فيما يراه. ضاقت حدقتا عينيه الماكرتين في خبث.

تمتم قائلاً: "نانسي تايلور! يا إلهي! إنها نانسي تايلور الصغيرة!".

ألقى نظرة على برنامج الليلة الذي كان يمسك به بين يديه، فرأى اسمًا مطبوعًا بخط أكبر من بقية الأسماء.

"أولجا ستورمر! هذا اسمها الجديد إذن! أتظنين نفسك نجمة يا سيدتي؟! لابد أنك تجنين الكثير من المال كذلك. أظن أنك قد نسيت أن اسمك كان نانسي تايلور. إني أتساءل كيف سيكون رد فعلك، إن ذكرك جايك ليفيت بحقيقتك؟".

أُسدل الستار بانتهاء الفصل الأول. هزَّ أرجاء القاعة تصفيق حاد. لقد أضافت أولجا ستورمر، تلك الممثلة العظيمة مرهفة المشاعر، التي أصبح اسمها مشهورًا في سنوات قليلة، انتصارًا

آخر لقائمة نجاحاتها هذه المرة بتجسيدها لشخصية "كورا" في مسرحية *الملاك المنتقم*.

لم يصفق جايك ليفيت، بل انفرجت شفتاه ببطء وارتسمت على وجهه ابتسامة رضا. يا إلهي! يا له من حظ! لقد أتته الفرصة، وهو في حالة يرثى لها. سوف تحاول أن تنكر معرفتها به، لكنها لا تستطيع أن تفعل ذلك معه. إذا نجح في القيام بما يريد، فسوف تكون تلك الفتاة بالنسبة له كمنجم ذهب!

٢

في صباح اليوم التالي، بدأت أولى ألاعيب منجم الذهب الخاص بجايك ليفيت في الظهور. جلست أولجا ستورمر في غرفة الاستقبال الخاصة بها - ذات الطلاء الأحمر والستائر السوداء - تقرأ الخطاب بتمعن مرة بعد الأخرى. بدا وجهها الشاحب، ذو الملامح المعبرة، أكثر جدية من المعتاد. كانت تقطب حاجبيها بين الحين والآخر وتضيق حدقة عينيها الرماديتين المائلتين إلى الخضرة، وكأنها تفكر في التهديد الذي تحمله كلمات هذه الرسالة.

نادت أولجا بصوتها الرائع الذي يفيض بالمشاعر أحيانًا ويصبح حادًا كنقر الآلة الكاتبة أحيانًا أخرى قائلةً: "آنسة جونز!".

حضرت على الفور شابة أنيقة، ترتدي نظارة طبية، وتمسك بلوحة صغيرة وقلم رصاص في يدها، من إحدى الغرف المجاورة.

"اتصلي بالسيد دانهان من فضلك، واطلبي منه أن يأتي إلى هنا في الحال".

دخل سيد دانهان، مدير أعمال أولجا ستورمر، إلى الغرفة وهو يتوجس خيفةً وكان ذلك أمرًا معتادًا بالنسبة لرجل وظيفته أن يتعامل مع فنانة متقلبة المزاج؛ فقد كان روتينه اليومي يتنوع بين تملق أولجا أو تهدئتها أو موافقتها في آرائها، أو كل هذا معًا. شعر بالارتياح حينما رأى أولجا هادئة ومتزنة. مررت له ورقة على الطاولة، وقالت:

"اقرأ هذه الرسالة".

كانت الرسالة مكتوبة بخط سيئ، على ورق رخيص، وكأن من كتبها شخص لا يجيد القراءة والكتابة:

"سيدتي العزيزة،

أعجبني كثيرًا أداؤك في مسرحية الملاك المنتقم، أظن أن لدينا صديقة مشتركة اسمها الآنسة نانسي تايلور من شيكاغو، سوف يُنشر مقال عنها قريبًا. إن أردت أن نناقش هذا الأمر معًا، فيمكنني زيارتك في أي وقت تختارينه.

مع كامل احترامي،

جايك ليفيت"

بدا دانهان محتارًا بعض الشيء، وقال:

"لا أفهم شيئًا من هذا الكلام، من تكون نانسي تايلور؟".

أجابته قائلة: "فتاة من الأفضل أن تظل في عداد الموتى يا داني". كانت هناك مرارة في صوتها، وإنهاك فضح عمرها الحقيقي الذي يبلغ أربعة وثلاثين عامًا، ثم استطردت: "لقد ظلت تلك الفتاة ميتة لسنوات طويلة حتى أعادها هذا الغراب القذر إلى الحياة".

"آوه! إذن ...".

"نعم يا داني، هذه الفتاة هي أنا".

"هذا ابتزاز واضح بكل تأكيد!".

أومأت برأسها قائلة: "بالطبع، إن هذا الرجل يجيد فن الابتزاز".

قطب دانهان حاجبيه، وهو يفكر في هذا الأمر. وضعت أولجا يدها النحيلة على خدها، وأخذت تراقبه بنظرات يصعب فهمها.

"لماذا لا تتبعين أسلوب الخداع؟ فلتنكري كل شيء، ربما أخطأ وظن أنك شخص آخر بسبب الشبه مثلا".

هزت أولجا رأسها نفيًا.

وقالت: "إن ليفيت يقتات من ابتزاز النساء، لا يمكنه أن يخطئ في هذا".

قال لها دانهان بارتياب: "فلتتصلي بالشرطة إذن".

كانت تلك الابتسامة الساخرة الباهتة التي ارتسمت على شفتيها ردًا كافيًا؛ فقد كانت أولجا تخفي وراء قدرتها على التحكم في نفسها نفاد صبر العقل المتوقد الذي يراقب عقلًا بطيئًا يحاول بكد أن يفكر في حلول قد فكرت هي فيها من قبل. لم يعرف دانهان أن هذا ما يدور في عقلها على كل حال.

"ألا تظنين أنه ربما يكون من الحكمة أن تخبري السير ريتشارد بنفسك عن هذا الأمر؟ سوف يفسد هذا خطة ذلك المبتز".

كانت أولجا قد أعلنت خطبتها إلى السير ريتشارد إيفرارد عضو البرلمان المعروف منذ أسابيع قليلة.

أجابته قائلة: "لقد أخبرت ريتشارد بكل شيء بالفعل، حينما طلب الزواج مني".

قال دانهان في إعجاب: "هذا تصرف في غاية الذكاء!".

ابتسمت أولجا ابتسامة خافتة وقالت:

"لم يكن ذكاءً يا عزيزي داني. لن تفهم ذلك الأمر، ولكن إذا نفذ ليفيت تهديده، فستكون نهايتي ونهاية مسيرة ريتشارد البرلمانية كذلك، إنني لا أرى إلا حلين لا ثالث لهما".

"وهما؟".

"أن أدفع له ما يريد، ولن يتوقف عن طلب الأموال بالطبع! أما الحل الثاني فهو الاختفاء والبدء من جديد".

بدا الوهن واضحًا في صوتها مرة أخرى، وهي تقول:

"أنا لم أفعل شيئًا أندم عليه، لقد كنت مشردة مرتعبة وجائعة يا داني، أجاهد لكي أبقى على قيد الحياة، لقد قتلت رجلًا، بل وحشًا يستحق القتل. لا تستطيع أي هيئة محلفين في العالم أن تدينني، إذا عرفت تلك الظروف التي اضطرتني إلى قتل ذلك الرجل. لقد فهمت ذلك الآن، لكنني وقتها كنت طفلة خائفة؛ لذلك اضطررت إلى الهرب".

أومأ دانهان برأسه وقال بارتياب: "هل هناك شيء يمكننا استغلاله ضد ليفيت هذا؟".

هزت أولجا رأسها وقالت:

"لا أظن أنه يوجد أي شيء يمكننا أن نأخذه عليه. إنه جبان، لا يجرؤ على ارتكاب أي جريمة". وبينما كانت تنطق بتلك الكلمات بدا أنها وجدت الحل لمعضلتها، فقالت: "جبان! ماذا إذا استخدمنا هذا الأمر ضده؟".

قال لها دانهان: "ماذا إذا قابله السير ريتشارد وحاول إخافته؟".

أجابته قائلة: "ريتشارد أرقى من ذلك بكثير. لا يمكنك التعامل مع مثل هذا الرجل بطريقة متحضرة".

فقال لها: "دعيني أقابله إذن".

"اعذرني يا داني، لا أعتقد أنك ماكر بالدرجة الكافية للتعامل معه. ما نحتاج إليه هو حل وسط بين التحضر والهمجية: دعنا نقل إننا نحتاج إلى دهاء. هذا يعني أننا نحتاج إلى امرأة! نعم، أعتقد أن الحل هو أن تقوم امرأة بالخدعة. امرأة *واسعة الحيلة*، امرأة تعرف الوجه القبيح للحياة عن تجربة. نحتاج إلى أولجا ستورمر على سبيل المثال! لديَّ خطة".

مالت إلى الأمام ودفنت رأسها بين يديها ثم رفعتها فجأة وقالت:

"ما اسم تلك الفتاة التي أرادت أن تصبح بديلتي في المسرحية؟ مارجريت ريان، أليس كذلك؟ هل هي تلك الفتاة التي يشبه شعرها شعري؟".

وافقها دانهان على مضض قائلاً: "إن شعرها لا بأس به"، ثم شرع في تأمل شعر أولجا البرونزي المائل إلى اللون الذهبي، واستطرد قائلاً: "إن شعرها يشبه شعرك كما تقولين،

لكنها لا تقارن بكِ بأية حال من الأحوال. كنت سأفصلها الأسبوع المقبل".

"إذا سارت الأمور على ما يرام، فسوف تضطر إلى أن تدعها تأخذ دور "كورا" كبديلة لي". أوقفته بإشارة من يدها قبل أن يعترض واستطردت قائلة: "أجبني بصراحة يا داني، هل أنا ممثلة جيدة حقًا؟ هل *أؤدي أدواري* على نحو جيد، أم أنني مجرد امرأة جذابة ترتدي ثيابًا جميلة؟".

"ممثلة جيدة؟! يا إلهي! أولجا أنت أفضل ممثلة جاءت منذ رحيل إليونورا ديس".

"إن كان ليفيت جبانًا بالفعل كما أظن، فسوف تنجح خطتي لن أخبرك بها الآن. أحضر لي فقط تلك الفتاة التي تدعى مارجريت ريان. أخبرها أنني أرغب في تناول العشاء معها هنا مساء غد، أعتقد أنها ستأتي مسرعة".

أجابها: "بالطبع!".

قالت: "أما الشيء الآخر الذي أريدك أن تفعله فهو أن تحضر لي منومًا قويًا يغيّب المرء عن الوعي لمدة ساعة أو ساعتين بدون أن يترك أثرًا سيئًا في اليوم التالي".

ابتسم دانهان ابتسامة عريضة.

وقال: "لا أستطيع أن أضمن ألا تشعر صديقتنا ببعض الصداع، لكن لن يلحق بها أي ضرر دائم".

"عظيم! اذهب الآن يا داني ودعني أقم بالباقي"، ثم رفعت صوتها ونادت: "آنسة جونز!".

ظهرت تلك المرأة التي ترتدي النظارة، مفعمة بالنشاط كعادتها.

قالت لها: "اكتبي هذا من فضلك".

ذرعت أولجا الغرفة جيئةً وإيابًا بخطوات بطيئة، وأملت على الآنسة جونز ردودها على خطابات اليوم، لكنها ردت على أحد الخطابات بخط يدها.

ابتسم جايك ليفيت وهو يفتح المظروف الذي كان يتوقع وصوله، في حجرته الحقيرة.

"سيدي العزيز،

أنا لا أستطيع أن أتذكر تلك المرأة التي تتحدث عنها، لكنني أقابل كثيرًا من الأشخاص الذين لا يعلقون بذاكرتي. يسرني دائمًا أن أقدم يد العون إلى أي ممثلة. إن أحببت أن تزورني فأنا موجودة بالمنزل في التاسعة مساءً الليلة.

مع تحياتي،

أولجا ستورمر".

أومأ ليفيت برأسه في إعجاب. خطاب ذكي! لم تعترف بأي شيء، لكنها مستعدة للتفاوض. يبدو أن منجم الذهب على وشك أن يفتح لي أبوابه.

٣

في تمام الساعة التاسعة، كان ليفيت يقف أمام شقة الممثلة ويدق جرس الباب. لم يجبه أحد، فهمَّ بدق الجرس ثانيةً لكنه أدرك أن الباب لم يكن مغلقًا. دفع جايك ليفيت الباب ودلف إلى

الصالة. رأى عن يمينه بابًا يؤدي إلى غرفة ذات إضاءة ساطعة وديكورات ذات ألوان قرمزية وسوداء. عندما دخل ليفيت الغرفة، وجد ورقة موضوعة على الطاولة تحت المصباح كُتب فيها:

"من فضلك، انتظر حتى أعود. أولجا ستورمر".

جلس ليفيت في انتظارها، على الرغم من شعوره بعدم الارتياح. لقد كانت الشقة هادئة، لكنَّ الصمت كان مخيفًا.

ليست هناك مشكلة، ما الذي يمكن أن يحدث؟ لكنه شعر برغم هذا الهدوء القاتل بإحساس غير مريح، لقد شعر بأنه لم يكن وحده في هذا المنزل. حاول أن يطرد تلك الأفكار السخيفة من ذهنه ومسح العرق الذي كان ينصب من جبينه، لكنَّ هذا الشعور أخذ في النمو بداخله. لم يكن وحده! أقسم بذلك مُتمتمًا ببعض الكلمات وانتفض من مكانه وبدأ يتمشى في الغرفة، سوف تعود أولجا في الحال، ثم ...

توقف فجأة وأطلق صرخة مكتومة، لقد لمح يدًا تبرز من تحت تلك الستائر المخملية السوداء التي غطت النافذة! توقف ولمسها. إنها باردة ... باردة بشكل مرعب، إنها يد شخص ميت.

أزاح جايك الستائر جانبًا وأطلق صرخة، كانت هناك امرأة ملقاة على وجهها، بذراع مفتوحة والأخرى ملفوفة تحتها، وشعرها الأشعث البرونزي المائل إلى الذهبي ملفوف حول رقبتها.

أولجا ستورمر! مد يده - بينما كانت أصابعه ترتعش - ليتفحص النبض في ذلك المعصم البارد. ولم يبدُ له أنها تنبض. لقد ماتت! لقد هربت منه إذن بأبسط طريقة ممكنة.

لمحت عيناه فجأة طرفي ذلك الحبل الأحمر الذي كان ينتهي بأنشوطة رائعة، لقد كان شعرها يخفي بقية ذلك الحبل. لمس جايك طرفي الحبل بحذر شديد، فتدلت رأسها. لمح وجهًا شاحبًا مروعًا. أطلق ليفيت صرخة وتراجع إلى الخلف شاعرًا بالدوار. كان هناك شيء لم يفهمه. إن اللمحة السريعة للوجه، الذي كان مشوهًا، جعلته يدرك شيئًا واحدًا. هذه جريمة قتل وليست انتحارًا. لقد خنق أحدهم هذه المرأة، وهي ليست أولجا ستورمر!

سمع صوتًا من خلفه يقول: "يا إلهي! ماذا حدث؟!"، استدار فرأى عيني الخادمة وقد أطل منهما خوف شديد. استندت الخادمة إلى الحائط، وكان وجهها شاحبًا شديد البياض، يشبه القلنسوة والمريلة التي ترتديها، لكنه لم يفهم ذلك الخوف الذي بدا في عينيها، حتى تفوهت ببعض الكلمات بينما كانت أنفاسها تتسارع، لقد جعلته هذه الكلمات يفهم المأزق الذي وُضع فيه. قالت:

"يا إلهي! لقد قتلتها!".

حتى تلك اللحظة لم يكن يستوعب المأزق الذي كان فيه، فأجابها:

"لا، لا، لقد كانت ميتة بالفعل حينما وجدتها".

قالت الخادمة: "رأيتك تقتلها، لقد سحبت الحبل وخنقتها به. لقد سمعتها بنفسي تطلق صرخة وأنت تزهق روحها".

بدأ العرق يتصبب على جبينه. توارد إلى ذهنه ما فعله في الدقائق القليلة الماضية. لابد أن الخادمة وصلت حينما التقط طرفي الحبل بيديه، لقد رأت الرأس المتدلية وسمعت صرخة جايك؛ فظنت أنها صرخة الضحية. نظر إليها في عجز. رأى

الفزع والبلاهة ظاهرَيْن على وجهها، سوف تخبر الشرطة أنها رأته يرتكب الجريمة، ولن يستطيع أي استجواب أن يجعلها تغير رأيها. كان متأكدًا من هذا. سوف تقسم باقتناع تام أنها تقول الحقيقة.

يا لها من سلسلة مفاجئة ومخيفة من الأحداث! لكن! مهلًا، هل هي أحداث مفاجئة بالفعل؟ أم أن هناك نوعًا من الشر المقصود هنا؟!

قال في اندفاع بينما ضاقت حدقة عينه:

"أنت تعرفين أن هذه المرأة ليست سيدتك".

أجابت بطريقة آلية جعلته يفهم حقيقة ما يدور:

"لا، هذه صديقتها! لقد تشاجرا الليلة بالفعل، تشاجرا بضراوة".

إنه فخ! لقد فهم ذلك الآن.

قال لها: "أين سيدتك؟".

أجابته قائلة: "خرجت منذ عشر دقائق".

إنه فخ! وقد ولج فيه ككبش صغير. إن أولجا هذه شيطانة ماكرة! لقد تخلصت من إحدى منافساتها وسيتحمل هو العاقبة. جريمة قتل! يا إلهي! سوف يشنقونه لارتكابه جريمة قتل! ولكنه كان بريئًا ... بريئًا!

شعر بحركة خفيفة أيقظته من أفكاره، كانت الخادمة الصغيرة تتجه ببطء نحو الباب، لقد بدأت تُعمل عقلها ثانيةً وتفكر بذكاء. نظرت إلى الهاتف سريعًا ثم إلى الباب. لابد أن يسكتها، تلك هي الطريقة الوحيدة. سوف يُشنق على أية حال بسبب جريمة ملفقة؛ لذلك لن يضيره أن يرتكب جريمة حقيقية. لم يكن بحوزتها سلاح ولا هو كذلك. لكنْ لديه يدان!

كاد قلبه يتوقف. لمح مسدسًا صغيرًا مرصعًا بالجواهر على الطاولة التي كانت بجانب الخادمة، إنه يقع تحت يدها تقريبًا، ليته يستطيع أن يصل إليه أولًا!

خمنت الخادمة ما يفكر فيه ليفيت، بفعل الغريزة أو بسبب عينيه اللتين لم ترتفعا عن المسدس. التقطت المسدس ووجهته إلى صدره، كان إصبعها فوق الزناد، لكنها كانت مرتبكة، لم تكن لتخطئ هدفها من هذه المسافة القريبة. توقف ليفيت بلا حراك. إن مسدس امرأة مثل أولجا ستورمر محشو، لا شك في ذلك.

لكن هناك مخرج! إنها لم تعد تحول بينه وبين الباب، وربما لن تجرؤ على إطلاق النار إن لم يهاجمها. لابد من المخاطرة. جرى نحو الباب بخطوات متعرجة، وعبر من الصالة إلى باب الشقة وأغلقه بعنف. سمع صوتها الضعيف المهزوز وهي تصيح: "النجدة! جريمة قتل!". كان عليها أن تصيح بصوت أعلى من ذلك، فلن يسمعها أحد وهي تنادي بهذا الصوت الخافت. لقد نجح في الهرب على أية حال. هبط الدرج وخرج إلى الشارع الواسع، وأبطأ من مشيته قليلًا؛ حيث كان هناك أحد المارة يتجاوز منعطف الشارع. كانت خطته جاهزة، سوف يرحل إلى مدينة جرافيسيند في الحال، ثم يركب إحدى السفن في هذه الليلة ويتوجه إلى مكان بعيد عن هذا العالم. لقد كان يعرف القبطان؛ لذا فإنه لن يسأله عن أي شيء. بمجرد أن يصعد إلى متن السفينة، ويبحر سوف يصبح في أمان.

٤

في الحادية عشرة رن هاتف دانهان، وكانت المتصلة هي أولجا ستورمر، قالت له:

"قُمْ بتحضير عقد الآنسة ريان يا دانهان؛ فسوف تكون بديلتي لشخصية "كورا"، لا تجادلني في هذا الأمر؛ فإنني مدينة لها الآن بعد ما فعلته بها هذه الليلة! ماذا؟ نعم، لقد خرجت من الورطة. بالمناسبة، إن أخبرتك ريان غدًا أنني عالمة أرواح وأنني وضعتها في غفوة تلك الليلة، فلا تشكك في كلامها. كيف فعلت ذلك؟ لقد قمت بوضع بضع قطرات في القهوة ثم اتبعت بعض الخطوات العلمية، وبعد ذلك دهنت وجهها بلون زيتي بنفسجي ووضعت ضمادة على ذراعها اليسرى. هل أنت مندهش مما أقول؟ حسنًا، لابد أن تنتظر للغد على هذه الحالة. ليس لديَّ وقت للشرح، لابد أن أذهب وأخلع القلنسوة والمريلة قبل أن تعود خادمتي المخلصة مود من دار السينما. لقد أخبرتني أنه كان هناك "دراما رائعة" تعرض في هذه الليلة، لكن فاتتها أفضل دراما على الإطلاق. لقد لعبت أفضل أدواري اليوم يا داني. لقد نجحت الخدعة! إن جايك ليفيت جبان كما ظننت. يا إلهي! كم أنا ممثلة موهوبة حقًا يا داني!".

نبذة عن القصة

نُشرت قصة "الممثلة" لأول مرة في مجلة *نوفل ماجازين* في مايو ١٩٢٣ بعنوان *A Trap for the Unwary* وهو العنوان نفسه الذي أعيد نشر القصة به في الكتيب الذي صدر عام ١٩٩٠، والذي صدر إحياء للذكرى المئوية لميلاد أجاثا كريستي.

القصة توضح مهارة أجاثا الرائعة في انتهاج الحبكة الروائية وإعادة تقديمها من زوايا مختلفة في الوقت نفسه، أو تقديمها باختلافات دقيقة لإخفائها عن عيون القراء. إن الدهاء والحيلة في قصة "الممثلة" يظهران في بعض القصص الأخرى، وخصوصًا في قصة الآنسة ماربل المثيرة للاهتمام "البيت الغامض" التي نشرت في المجموعة القصصية *لغز المشكلات الثلاثة عشرة** عام ١٩٣٢، كما ظهرت الخدعة كذلك في رواية بوارو "*شر تحت الشمس*" عام ١٩٤١.

تُذكرنا هذه القصة أيضًا بنجاح كريستي كأفضل مؤلفي المسرح في بريطانيا، بالرغم من أن مسرحيتها الأولى لم يتم تمثيلها على خشبة المسرح، والتي قالت عنها إنها "في غاية الكآبة وكانت تتحدث عن بعض الموضوعات الشائكة، كما أذكر". كانت المسرحية المفضلة لكريستي من بين مسرحياتها هي

* متوافر لدى مكتبة جرير

شاهد الادعاء (١٩٥٣) لكن أشهر مسرحياتها على الإطلاق كانت *The Mousetrap* عام (١٩٥٢) والتي ما زالت تعرض في لندن بعد مرور أكثر من ٥٠ عامًا. بينما تركز الحبكة الدرامية في مسرحية *The Mousetrap* على قدرة قاتل على خداع ضحيته المحتملة، تعتمد القصة كعمل مسرحي على معرفة كريستي لردود أفعال الجمهور لما يرونه ويسمعونه وكذلك قدرتها الفائقة على التلاعب بفهمهم للأحداث. بعد افتتاح مسرحية *The Mousetrap* في لندن، علق الناقد في مجلة *التايمز* قائلًا: "إن المسرحية تستوفي كل متطلبات العمل المسرحي بصورة رائعة"، إن كل من رأى المسرحية أو درسها جيدًا يعرف أن هناك سرًا ما وراء نجاحها أو بالأحرى السر وراء نجاح القليل في توقع نهايتها التي كانت مدهشة.

الحافة

١

عبرت كلير هاليويل الممر القصير الذي يصل بين باب المنزل الذي تعيش فيه إلى البوابة الرئيسية للبيت. كانت تحمل بين يديها سلة بها زجاجة من الحساء وبعض الجيلي المصنوع بالمنزل وقليل من العنب. لم يكن بقرية دايمرز إند كثير من الفقراء، لكن كان هناك من يعتني بالفقراء منهم طوال الوقت، وكانت كلير واحدة من أكثر الذين يعتنون بالفقراء كفاءة.

كانت كلير في الثانية والثلاثين من العمر، وكان لها مشية مستقيمة وبشرة تنبض بالحيوية، وعينان بنيتان. لم تكن جميلة، لكنها كانت تبدو لطيفة ومفعمة بالنشاط، وكانت ملامحها إنجليزية للغاية، وكان الجميع يحبونها ويعجبون بشخصيتها. عاشت كلير في منزلها وحيدة مع كلبها روفر بعد وفاة والدتها منذ سنتين، كانت تربي الدواجن، وتعشق الحيوانات، وتعشق كذلك الخروج في الهواء الطلق المنعش.

بينما كانت كلير تفتح مزلاج البوابة، مرت أمامها سيارة ذات مقعدين. لوَّح لها سائق السيارة والفتاة ذات القبعة الحمراء الجالسة إلى جواره؛ فردت لهما كلير التحية، لكنها زمت شفتيها للحظة. شعرت كلير بالوخز الذي تشعر به في قلبها كلما رأت فيفيان لي، زوجة جيرالد.

توارثت عائلة لي مزرعة ميدنهام لأجيال، وكانت المزرعة تقع على بعد كيلو متر واحد من القرية. كان السير جيرالد لي، المالك الحالي للمزرعة، يبدو أكبر من سنه وكان البعض يراه متكبرًا، لكنه كان يخفي الكثير من الخجل وراء تكبره هذا. كان جيرالد يلعب مع كلير أيام الطفولة. بعد ذلك تطورت علاقتهما ليصبحا أصدقاء وتوقع العديد أن تنمو بينهما علاقة أقوى وأعمق... كلير نفسها توقعت ذلك أيضًا. لم يكن هناك داعٍ للاستعجال على أية حال، لكن ربما في يوم ما... توقفت كلير عن التفكير في هذا الأمر عند هذه النقطة - ربما في يوم ما.

ولكن منذ عام واحد، أحدث خبر زواج السيد جيرالد من الآنسة هاربر مفاجأة كبيرة للقرية؛ حيث إن هذه الفتاة لم يسمع عنها أحد من قبل.

لم تحظَ السيدة لي المنضمة حديثًا إلى القرية بشعبية كبيرة. فلم تهتم السيدة مطلقًا بأي شيء يتعلق بالعمال، وكانت ترى الصيد مملًّا وكانت تمقت الرياضات الريفية التي تقام في الهواء الطلق. كان العديد من حكماء القرية يتعجبون ويتساءلون كيف سينتهي هذا الزواج. كان من السهل رؤية سبب افتتان السيد جيرالد بزوجته. كانت فيفيان جميلة للغاية، وكانت كل ملامحها وشخصيتها متناقضة تمامًا وكلية مع كلير هاليويل؛ فقد كانت صغيرة الحجم، رقيقة وأنيقة، وكان شعرها

الأحمر الذهبي المجعد يتدلى حتى أذنيها الجميلتين، وكانت تمتلك عينين بنفسجيتين واسعتين تستطيعان تصويب نظرات جانبية مثيرة.

بسذاجة الرجال، كان جيرالد لي متلهفًا ليرى زوجته وكلير صديقتين مقربتين، لذلك كان يدعو كلير إلى العشاء في المزرعة وكانت زوجته تتظاهر بالود الشديد تجاهها كلما رأتها، كأن توجه لها تحية ودودة مثلما فعلت عندما قابلتها هذا الصباح.

واصلت كلير المشي لتنهي مهماتها. كان رجل الدين بالقرية ذاهبًا هو الآخر إلى زيارة السيدة العجوز، فمشى بضعة أمتار مع كلير. وقبل أن يتفرق بهما الطريق، وقفا ساكنين دقيقة وناقشا شئون أهل القرية.

قال رجل الدين: "أخشى أن جونز قد عاد إلى الشراب مرةً أخرى، لقد كنت آمل أن يتوقف عن ذلك، بعد أن أعلن أنه سيتوقف عنها بنفسه".

قالت كلير بصوت خافت: "إنه شيء مقزز".

رد رجل الدين ويلموت: "هكذا يبدو الأمر بالنسبة لنا، لكن لابد أن ندرك أنه من الصعب أن نضع أنفسنا مكانه ونتخيل الإغراء الذي يتعرض له، ربما يصعب علينا تفسير رغبته في تناول الشراب، لكن كل منا يواجه إغراءات مختلفة، وبالتالي علينا أن نظهر بعض التفهم".

قالت كلير عن غير اقتناع: "أنت محق".

نظر إليها رجل الدين وقال في لطف: "قد يكون بعضنا محظوظًا بحيث لا يواجه الكثير من الإغراءات، لكن أولئك

الأشخاص أيضًا قد يقعون فريسة الإغراءات في لحظة ما، فقط كوني حذرة وصلي واحذري أن تقعي فيها".

ودعها رجل الدين، ثم مشى بخطى رشيقة، وأكملت كلير سيرها بهدوء وكانت على وشك الاصطدام بالسير جيرالد لي.

قال السير: "مرحبًا كلير، كنت أود أن أقابلك، تبدين نشيطة للغاية، كما أن وجنتيك متوردتان!".

لم يكن وجهها مخضبًا بهذه الحمرة قبل دقيقة. استطرد لي قائلًا:

"كما قلت، كنت أود أن أقابلك، سوف تذهب فيفيان إلى بورنموث في نهاية الأسبوع، لأن أمها مريضة، هل يناسبك أن تتناولي معنا العشاء يوم الثلاثاء بدلًا من الليلة؟".

"نعم، بالطبع! الثلاثاء مناسب لي أيضًا".

"هذا رائع، لابد أن أسرع".

حينما وصلت كلير إلى منزلها، وجدت خادمها الوفي واقفًا أمام الباب بانتظارها.

وقال: "ها أنت ذي سيدتي، لقد حدث شيء سيئ؛ فقد أحضروا روفر إلى البيت، لأنه خرج من المنزل بمفرده هذا الصباح ودهسته سيارة".

أسرعت كلير إلى الكلب، كانت تعشق الحيوانات وكان روفر أحب الحيوانات إليها، تحسست أقدامه واحدة تلو الأخرى ومررت أصابعها على جسده، تأوه روفر مرة أو مرتين ثم لعق يدها.

قالت أخيرًا: "إن كان به أية إصابة، فهي داخلية؛ إذ لا يبدو أن هناك كسورًا في العظام".

"هلا أحضرنا الطبيب البيطري ليفحصه يا سيدتي؟".

هزت كلير رأسها نافية؛ فهي لا تثق بالطبيب البيطري الذي يعمل في هذه القرية.

قالت: "سوف ننتظر حتى الغد، لا يبدو أنه يتألم كثيرًا، كما أن لون لثته عادي فلا أظن أن هناك نزيفًا داخليًا. إن لم يتحسن بحلول الغد، فسوف آخذه بالسيارة إلى سكيبنجتون لكي يفحصه الطبيب ريفز، إنه أفضل طبيب بيطري على الإطلاق".

٢

في اليوم التالي، بدا روفر أسوأ حالًا فقامت كلير بتنفيذ ما نوت أن تقوم به في اليوم السابق، كانت بلدة سكيبنجتون الصغيرة تقع على بعد حوالي ٦٠ كيلومترًا تقريبًا من القرية، كانت بعيدة نسبيًا، لكن شهرة الطبيب ريفز كانت تتخطى حدود بلدته لكيلومترات بعيدة.

قام الطبيب بفحص روفر، وقال إن لديه بعض الإصابات الداخلية، لكنَّ الأمل في شفائه كبير، كانت كلير تثق بريفز فتركت روفر بحوزته.

لم يكن في سكيبنجتون فنادق جيدة إلا فندق *كاونتي أرمز*. كان التجار المسافرون هم فقط من يترددون عليه؛ حيث إنه لم يكن هناك مكان للصيد بالقرب من سكيبنجتون، كما أنه لم يكن في طريق رئيسي حتى يذهب إليه سائقو السيارات.

تأخر الغداء حتى الواحدة وظلت كلير منتظرة تسلي نفسها لبضع دقائق بإلقاء النظر على الأسماء المدرجة في كتاب الزوار المفتوح.

وفجأة أطلقت كلير صيحة اندهاش؛ فقد كانت تعرف هذا الخط، بحلقاته وتموجاته وزخرفاته، دائمًا ما كانت تعتقد أنه مميز للغاية، لدرجة أنها يمكن أن تجزم بشخصية صاحب هذا الخط، لكنها لا تصدق ذلك. فقد كانت فيفيان لي في بورنموث! الاسم المدون ذاته جعل الفكرة مستحيلة:

السيد سيريل براون وحرمه. لندن.

وعلى الرغم من ذلك، لم تملك كلير إلا أن تعيد قراءة ذلك الخط المتعرج مرة تلو الأخرى. وبدافع لم تدركه اندفعت إلى موظفة الاستقبال وسألتها:

"السيدة سيريل براون؟ كنت أتساءل إذا كانت هي السيدة نفسها التي أعرفها؟".

"هل هي امرأة صغيرة الحجم، ذات شعر أحمر، وجميلة جدًا؟ لقد جاءت في سيارة حمراء ذات مقعدين يا سيدتي. أعتقد أنها سيارة بيجو".

إنها هي! يا لها من مصادفة عجيبة، بدا لكلير أنها تحلم. ثم سمعت الموظفة تردف:

"لقد جاءا هنا قبل شهر لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. لقد أعجبهما المكان، فجاءا مرةً أخرى، أعتقد أنهما تزوجا للتوّ".

سمعت كلير نفسها تقول: "شكرًا، لا أظن أن هذه هي صديقتي".

انطلق صوتها مختلفًا، كأنه صوت شخص آخر. جلست بهدوء في غرفة الطعام لتتناول بعض اللحم المشوي البارد، كان عقلها يشبه متاهة من الأفكار والمشاعر.

لم يعد لديها شكوك الآن، لقد كان انطباعها الأول عن فيفيان صحيحًا إذن. كانت فيفيان من هذا النوع من النساء، تساءلت كلير بغموض عن ماهية ذلك الرجل، أكان شخصًا تعرفه فيفيان قبل الزواج؟ لا يهم، لا يهم أي شيء. لكن ماذا عن جيرالد؟ ماذا ستفعل كلير بشأنه؟ لابد أن يعرف بذلك الأمر، لابد أن يعرف بالتأكيد. من الواضح أن واجبها أن تخبره، لقد اكتشفت سر فيفيان بالصدفة فلابد أن تخبره بالحقيقة على الفور، إنها صديقة جيرالد في نهاية المطاف وليست صديقة فيفيان.

لكنها لم تشعر بالارتياح لسبب ما، لم يكن ضميرها راضيًا من ذلك. كان منطقها جيدًا لكنه كان مدفوعًا بالواجب والعاطفة في آن واحد بطريقة مريبة. اعترفت لنفسها أنها لم تحب فيفيان أبدًا، بالإضافة إلى أنه إن طلقها - الشيء الذي كانت كلير واثقة به؛ لأنه رجل يهتم بسمعته للغاية، فهذا سيفتح الباب أمام جيرالد لكي يحبها. تراجعت كلير عن الفكرة تمامًا حينما فكرت بهذه الطريقة، بدا لها الأمر قبيحًا وشريرًا.

لقد كانت مدفوعة بأسباب شخصية، لم تعد كلير متأكدة من دوافعها الحقيقية، كانت كلير فتاة نبيلة المشاعر ذات ضمير حي، كانت في صراع شديد لكي تقرر ما يمليه عليه واجبها، كانت تتمنى - كما تمنت دائمًا -أن تفعل الصواب. ما الصواب في هذه الحالة؟ وما الخطأ؟

بالصدفة البحتة اكتشفت كلير حقائق تمس حياة الرجل الذي تحبه، والمرأة التي تكرهها وتغار منها كثيرًا، إحقاقًا للحق. يمكنها تدمير حياة تلك المرأة. لكن هل يحق لها فعل ذلك؟

دائمًا ما كانت كلير تنأى بنفسها عن النميمة والتشهير بسمعة أي شخص؛ هاتين الصفتين اللتين كانتا جزءًا لا يتجزأ من حياة القرية. كانت كلير تشعر بالحنق الآن؛ لأنها في موقف يجعلها تشبه أولئك الأشرار الذين كانت تبغضهم.

تواردت إلى ذهنها تلك الكلمات التي قالها رجل الدين هذا الصباح في عقلها على حين غرة:

"حتى أولئك الأشخاص يقعون فريسة الإغراءات في لحظة ما".

هل كانت هذه *هي اللحظة الخاصة بها*؟ هل كان هذا *هو الإغراء الذي وقعت فريسة له*؟ هل جاءت اللحظة متنكرة بدهاء في شكل واجب؟ إنها كلير هاليويل، تلك السيدة المحبة المحسنة لكل الرجال والنساء. إن كانت ستخبر جيرالد، فلابد أن تتأكد أن دوافعها غير شخصية، لن تتفوه بشيء الآن.

دفعت ثمن الغداء وابتعدت بسيارتها، شعرت كلير بسعادة تغمرها، لم تذق هذا الشعور منذ وقت طويل. كانت سعيدة بأن لديها القوة لمقاومة الإغراءات التي تقابلها لكي لا تفعل شيئًا دنيئًا أو حقيرًا. خطر ببالها للحظة أن سر سعادتها نابع من شعورها بتلك القوة في أنها عرفت سر فيفيان، ورغم ذلك طردت فكرة البوح بهذا السر من رأسها بسرعة.

٣

بحلول مساء يوم الثلاثاء، كانت كلير قد حزمت أمرها: لن تتفوه بكلمة، إن حبها السري لجيرالد جعل الأمر مستحيلًا. هل هذه مثالية مبالغ فيها؟ ربما يكون الأمر كذلك، لكن كان هذا هو الحل الوحيد.

وصلت كلير إلى المزرعة بسيارتها الصغيرة لتتناول العشاء مع أسرة السير جيرالد، وكان سائق السير منتظرًا أمام الباب الأمامي لكي يقود السيارة إلى المرآب، بعد أن تنزل منها كلير؛ حيث كانت تلك الليلة ممطرة. عندما ابتعد السائق قليلًا، تذكرت كلير أن السيارة بها كتب كانت قد استعارتها، وأحضرتها معها لتعيدها. نادته كلير لكنه لم يسمعها، لكنَّ كبير الخدم جرى خلف السيارة للحاق بها.

ظلت كلير وحدها في الصالة دقيقة أو اثنتين حتى يصل كبير الخدم ويفتح غرفة الصالون معلنًا وصولها. بدا أن من في الغرفة لم يدركوا أنها وصلت، فلقد كانت فيفيان تتحدث بصوت عالٍ لا يليق بسيدة راقية. دوى صوتها المميز بوضوح وهي تقول:

"نحن بانتظار كلير هاليويل، لابد أنك تعرفينها، إنها تعيش في القرية، إنهم يعدونها من حسناوات القرية، لكنها ليست جذابة على الإطلاق، لقد حاولت أن تظفر بجيرالد، لكنه لم يكنَّ لها أية مشاعر".

تمتم جيرالد معترضًا: "أوه، هذا غير صحيح يا عزيزتي".

"أنا متأكدة مما أقول، ربما لا تدرك أنت هذا، لكنها بذلت كل ما في وسعها لتظفر بك، يا لها من فتاة مسكينة! إنها طيبة لكنها غبية!".

شحب وجه كلير وتدلت ذراعاها على جانبيها؛ حيث كانت تشعر بغضب لم تشعر به من قبل. لقد كادت تقتل فيفيان لي في هذه اللحظة. بمجهود جسدي كبير، استعادت كلير السيطرة على نفسها، ساعدها في ذلك تذكرها بأن لديها القوة لكي تعاقب فيفيان على كلماتها القاسية.

عاد كبير الخدم وهو يحمل الكتب، وفتح الباب وأعلن وصول كلير، وجدت كلير نفسها في غرفة مليئة بالناس فحيتهم ببهجتها المعتادة.

كانت فيفيان ترتدي لباسًا أرجوانيًا أظهر بشرتها البيضاء الرقيقة. بدت فيفيان مرحة ولطيفة. لم يهتم الحضور كثيرًا بأمر كلير. كانت فيفيان ستقوم بتعلم الجولف، ولابد أن تذهب كلير معها إلى التل.

بدا جيرالد مهتمًا بضيوفه ولطيفًا معهم. لم يشك جيرالد في أن كلير قد سمعت كلمات زوجته، لكنه شعر لسبب مبهم أنه لابد أن يعوضها، كان يحب كلير كثيرًا. تمنى لو أن زوجته لم تقل ما قالته، لقد كانا صديقين منذ الصغر - ليس إلا - ولو كان لديه أي شك في هذه الجملة الأخيرة، فإنه قد طرحه من عقله تمامًا.

بعد العشاء، بدأ الحديث عن الكلاب وسردت كلير حادثة روفر، تعمدت أن تنتظر حتى يسكت الجميع، ثم قالت:

"لذا أخذته يوم السبت إلى سكينجتون" - سمعت كلير اهتزاز فنجان قهوة فيفيان لي في الصحن، لكنها لم تنظر إليها.

قال جيرالد: "لكي يراه الطبيب ريفز؟".

أجابته قائلة: "أعتقد أنه سيكون بخير. بعد ذلك، تناولت الغداء في فندق *كاونتي أرمز*، أو دعوني أقل إنه بالأحرى كان عبارة عن حانة صغيرة، لكنها جيدة"، ثم استدارت لمواجهة فيفيان وقالت: "هل ذهبت إلى هناك من قبل؟".

كانت هذه اللحظة كفيلة بتبديد أي شكوك تساور كلير، إن كانت تشك في هذا الأمر؛ حيث جاءت إجابة فيفيان سريعة ومتلعثمة:

"أنا؟ آوه، لا، لا".

بدا الخوف جليًا في عينيها. اتسعت عيناها في خوف عندما التقت مع عيني كلير. لم تظهر عينا كلير ما كان يدور بخاطرها، كانت عيناها هادئتين متفحصتين. كان من المستحيل أن يدرك أحد السعادة التي تخفيها عيناها. في هذه اللحظة سامحت كلير فيفيان على الكلمات التي قالتها في حقها تلك الليلة، استمتعت كلير بلحظة القوة تلك لدرجة أنها شعرت برأسها يدور في استمتاع، لقد أحكمت قبضتها على فيفيان لي.

في اليوم التالي، تلقت كلير رسالة قصيرة من المرأة الأخرى، كانت تطلب منها أن تذهب إليها ليحتسيا الشاي معًا هذا المساء. رفضت كلير هذه الدعوة.

بعد ذلك، ذهبت فيفيان إلى كلير مرتين، وكانت تتحين الأوقات التي تكون فيها متأكدة من أن كلير موجودة في البيت. في المرة الأولى، لم تكن كلير في البيت حقًا، وفي المرة الثانية خرجت كلير خلسة من البيت من الباب الخلفي حينما لمحت فيفيان قادمة على الطريق.

قالت كلير لنفسها: "إنها ليست متأكدة أنني أعرف بعد، فيفيان تريد أن تكتشف هذا بدون أن تورط نفسها في شيء، لكنها لن تنجح في هذا، لابد أن أكون مستعدة أولا".

لم تكن كلير نفسها تعرف ما الذي تنتظره؛ لقد قررت بالفعل أن تلتزم الصمت، كان هذا هو التصرف الوحيد الصحيح والنبيل. شعرت كلير بتوهج الفضيلة بداخلها؛ حيث إن أي امرأة مكانها - خاصة بعدما سمعت ما قالته عنها فيفيان وراء ظهرها - كانت لتتخلى عن قرارها بالصمت.

ذهبت كلير إلى دار العبادة مرتين، في الصباح ذهبت من أجل الصلاة، وعادت وهي تشعر بالقوة والسكينة. لا يمكن أن تدع مشاعرها تتحكم فيها أو تدفعها إلى فعل شيء حقير دنيء، عادت كلير إلى دار العبادة مرة أخرى لحضور خطبة دينية. قص عليهم رجل الدين ويلموت قصة أحد الصالحين. حكى قصة حياة ذلك الرجل الذي بدأ حياته كرجل جيد، ثم حكى عن آفة الغرور التي أصابته رويدًا رويدًا وتملكت قلبه حتى دمرت ودنست كل ما يملك.

لم تستمع كلير إليه بانتباه. كانت فيفيان تجلس في المكان المخصص لعائلة لي. كانت كلير متأكدة بغريزتها أن تلك المرأة تنوي أن تختلي بها بأي شكل.

وهذا ما حدث بالفعل؛ فقد لازمت فيفيان كلير ومشت معها حتى البيت، وطلبت أن تأذن لها بالدخول. وافقت كلير بالطبع. جلست المرأتان في حجرة الضيوف الصغيرة التي كانت مليئة بالزهور المشرقة والقماش القطني قديم الطراز الذي طُبع عليه بعض الرسومات. بدا حديث فيفيان غير مترابط وبه كثير من الانفعال.

ثم قالت فيفيان فجأة: "تعرفين أنني كنت في بورنموث نهاية الأسبوع الماضي".

ردت كلير: "أخبرني جيرالد بذلك".

تبادلا النظرات، كان وجه فيفيان يبدو شاحبًا في ذلك اليوم، بدت معالم وجهها قاسية وبها مكر، تسبب ذلك في اختفاء سحر وجهها الجميل.

استطردت فيفيان: "عندما كنتِ في سكيبنجتون ..."

رددت كلير كلامها في أدب قائلة: "عندما كنتِ في سكيبنجتون؟".

"لقد كنتِ تتحدثين عن إقامتك في فندق صغير هناك".

"نعم، إنه فندق كاونتي أرمز، قلت إنك لا تعرفينه، أليس كذلك؟".

"لقد، لقد ذهبت إليه ذات مرة".

"حقًا؟!".

ظلت كلير صامتة في انتظار ما ستقوله فيفيان، لم تكن فيفيان في حالة تسمح لها بتحمل توتر من أي نوع، لقد شعرت أنها تنهار بالفعل تحت هذا الضغط، مالت إلى الأمام فجأة وبدأت في الحديث بعنف.

"أنت لا تحبينني، لم تحبيني قط، لقد كَرِهْتِنِي دومًا. أنت تستمتعين بهذا، تلعبين بي كما يلعب القط بالفأر. أنت قاسية، قاسية. لهذا أنا أخاف منك؛ لأنك قاسية القلب".

قالت كلير بحدة: "حقًا يا فيفيان؟!".

"أنت تعرفين، أليس كذلك؟ بلى، أستطيع أن أرى في عينيك أنك تعرفين. لقد كنت تعرفين تلك الليلة، حينما تحدثتِ عن

سكيبنجتون. لقد اكتشفت الأمر بطريقة أو بأخرى. حسنًا، أريد أن أعرف ما تنوين فعله؟ ماذا ستفعلين؟".

لم ترد كلير لدقيقة، فهبت فيفيان واقفة، وقالت:

"لابد أن أعرف، ماذا ستفعلين؟ إنك لن تنكري أنك تعرفين كل شيء".

قالت كلير بمشاعر باردة: "لا أعتزم إنكار أي شيء".

"هل رأيتني ذلك اليوم؟".

"لا، رأيت خطك في سجل الزوار، السيد سيريل براون وحرمه".

احمر وجه فيفيان خجلًا.

استطردت كلير كلامها بهدوء: "بعد ذلك، قمت ببعض التحريات فوجدت أنك لم تكوني في بورنموث في نهاية الأسبوع. لم ترسل لك أمك للذهاب إليها، لا الأسبوع الماضي ولا قبل ستة أسابيع".

ألقت فيفيان بجسدها على الأريكة مجددًا وانفجرت في بكاء حاد، كأنها طفلة خائفة.

قالت لاهثة: "ماذا ستفعلين؟ هل ستخبرين جيرالد؟".

ردت كلير: "لا أعرف بعد".

شعرت حينها ببعض الهدوء.

وقفت فيفيان وأبعدت خصلات شعرها الأحمر عن جبهتها، وقالت:

"هل تريدين أن تعرفي كل شيء؟".

"أظن أنه سيكون من الجيد أن أعرف".

حكت فيفيان القصة كاملة، لم تتردد. إن الشخص الذي كان معها، سيريل براون، كان في الحقيقة سيريل هافيلاند، مهندس شاب تمت خطبتها عليه سابقًا. تدهورت صحة سيريل وفقد وظيفته، عندئذ لم يتردد في هجر فيفيان المعدمة وتزوج أرملة غنية تكبره بسنوات. بعد ذلك بقليل، تزوجت فيفيان جيرالد لي.

قابلت فيفيان سيريل مرة أخرى بالصدفة، وتلا ذلك عدة مقابلات أخرى. أصبح سيريل مدعومًا بأموال زوجته، فبدأ يزدهر في وظيفته وأصبح شخصية معروفة. لقد كانت قصة دنيئة؛ قصة خيانة، وكذب، وخداع بلا توقف.

" أنا أحبه بشدة" - قالتها فيفيان مرارًا وتكرارًا وهي ترسل لنهيدة في كل مرة، وفي كل مرة كانت تقول ذلك، كانت كلير تشعر بالاشمئزاز.

أنهت فيفيان قصتها أخيرًا، ثم تمتمت في خجل قائلة: "إذن؟".

وجهت إليها كلير سؤالًا وقالت: "ماذا سأفعل؟ لا يمكنني أن أخبرك بما سأفعل، أحتاج إلى التفكير بعض الوقت".

قالت فيفيان: "لن تخبري جيرالد بحقيقتي؟".

أجابتها كلير: "ربما يكون من الواجب أن أفعل ذلك".

ارتفع صوت فيفيان في صرخة هستيرية: "لا، لا. سوف يطلقني. لن يصدقني أبدًا. سوف يكتشف الحقيقة من الفندق، وسوف يتم ذكر اسم سيريل وربما استدعاؤه، وسوف ينفصل عن

زوجته وسيخسر كل شيء، وظيفته، وصحته، سوف يفلس مرةً أخرى. لن يسامحني أبدًا ... أبدًا".

أجابتها كلير قائلة: "لا تؤاخذيني على قولي، ولكنني حقًا يهمني أمر سيريل هذا".

لم تعر فيفيان هذه الجملة اهتمامًا.

وقالت: "إنني أقول لك إنه سوف يكرهني، سوف يكرهني. لا أستطيع تحمل هذا الأمر. لا تخبري جيرالد أرجوك. سوف أفعل أي شيء تطلبينه، لكن لا تخبري جيرالد".

قالت كلير بجدية: "أحتاج إلى بعض الوقت لأقرر، لا أستطيع أن أعدك بأي شيء الآن. في هذه الأثناء، لا يمكنك أن تقابلي سيريل هذا".

"لا، لا، لن أقابله. أقسم لك أنني لن أقابله".

"حينما أتوصل إلى القرار الصحيح سوف أخبرك".

نهضت فيفيان وتسللت إلى خارج المنزل ببطء وهي تنظر خلف ظهرها من وقت لآخر.

جعدت كلير أنفها في اشمئزاز. يا لها من علاقة مشينة! هل ستنفذ فيفيان وعدها بعدم مقابلة سيريل؟ غالبًا لا، إنها ضعيفة وحقيرة.

بعد ظهيرة ذلك اليوم، ذهبت كلير في تمشية طويلة. كان هناك ممر في وسط المنخفضات، وتلال خضراء في الجهة اليسرى، وكانت تلك التلال تنحدر إلى أسفل بمحاذاة البحر، بينما كان الممر يتجه إلى أعلى. هذا المكان معروف على الصعيد المحلي بالحافة. وبالرغم من أنه كان آمنًا في حالة التزام الممر، فقد كان خطرًا في حال الابتعاد عنه. إن تلك المنحدرات المتدرجة خطرة. لقد فقدت كلير كلبًا هناك ذات

مرة، فقد أخذ الكلب يركض على الحشائش الناعمة وبسبب اندفاعه الشديد لم يستطع التوقف فوقع من حافة المنحدر إلى الأسفل وتهشمت رأسه على الصخور الحادة بالأسفل.

كان الجو في هذا الوقت من بعد الظهيرة صافيًا وجميلًا. جاء صوت موج البحر من بعيد، كان خريره يبعث على الهدوء. جلست كلير على العشب الأخضر وسرحت في المياه الزرقاء. ما الذي تنوي فعله؟

انتابها شعور بالاشمئزاز حينما فكرت في فيفيان. كيف انهارت تلك الفتاة وكيف استسلمت للإغراء بهذه الطريقة المشينة! شعرت كلير باحتقار متزايد نحو فيفيان. كيف لها أن تفتقر إلى الشجاعة أو العزيمة بهذا الشكل.

وبالرغم من هذا، وبالرغم من كراهيتها لفيفيان، فقد قررت كلير ألا تفعل شيئًا حيالها الآن. حينما وصلت كلير إلى المنزل، كتبت رسالة لفيفيان تخبرها فيها أنه بالرغم من أنها لا تستطيع أن تعدها بشيء في المستقبل، لكنها قررت أن تلتزم الصمت في الوقت الحالي.

كانت الحياة كما هي في دايمرز إند، لكن الجميع لاحظوا أن السيدة لي لم تعد على ما يرام. ومن ناحية أخرى، كانت كلير هاليويل تزداد ازدهارًا: كانت عيناها أكثر إشراقًا وكانت تمشي رافعة رأسها عن ذي قبل، وأصبحت تتصرف بثقة واطمئنان. كانت السيدتان تتقابلان من حين لآخر، وكان من الملاحظ في هذه المقابلات أن أصغرهما كانت تنظر إلى السيدة الكبيرة باهتمام مبالغ فيه، وتلاحظ كل كلمة تقولها.

أحيانًا كانت الآنسة هاليويل تلقي ببعض التلميحات الغامضة، التي ليس لها أي علاقة بالموضوع الذي يتحدثان

lilas.com/bb3

عنه، كأن تقول دون سابق إنذار إنها غيرت رأيها بخصوص أشياء كثيرة مؤخرًا، أو كم من العجيب أن يغير شيء صغير وجهة نظر الشخص بشكل كامل، أو إنها تعودت أن تُظهر للآخرين الكثير من الرحمة وأن هذا كان خطأً.

كانت كلير تنظر إلى السيدة لي بطريقة غريبة، وهي تقول مثل هذه الأشياء، بينما يشحب وجه الأخيرة وتبدو مرتعبة.

لكن بعد مرور حوالي سنة، قلت تلك الملاحظات الدقيقة. استمرت كلير في تلميحاتها، لكن السيدة لي لم تعد تتأثر بها كما كانت تفعل في السابق. بدأت فيفيان في استعادة جمالها وحيويتها واستردت روحها المرحة مرة أخرى.

٤

في صباح أحد الأيام، بينما أخذت كلير كلبها إلى الخارج في نزهة، قابلت جيرالد في الطريق. بدأ كلب جيرالد الصغير في ملاطفة روفر، بينما قال جيرالد بمرح: "هل سمعتِ آخر الأخبار؟ أظن أن فيفيان أخبرتك".

قالت كلير: "أية أخبار؟ لم تذكر فيفيان شيئًا معينًا".

قال جيرالد: "سوف نذهب إلى الخارج، لعام أو ربما أكثر. لم تعد فيفيان تطيق هذا المكان. كما تعرفين، هي لم تحبه يومًا". ثم تنهد وبدا عليه الحزن للحظة. لقد كان جيرالد دائم الفخر بموطنه، واسترسل قائلاً: "على كل حال، وعدتها أن أحدث تغييرًا في حياتنا، لقد اشتريت فيلا بالقرب من الجزائر، إن ذلك المكان رائع بكل المقاييس". ضحك جيرالد وهو يشعر

ببعض الحرج، وقال: "وكأننا سنحظى بشهر عسل جديد، أليس كذلك؟".

فقدت كلير القدرة على النطق دقيقة أو دقيقتين، كانت تشعر بشيء في حلقها يكاد يخنقها، تخيلت الجدران البيضاء للفيلا وأشجار البرتقال، واشتمت رائحة النسيم العطري الجنوبي. شهر عسل جديد!

سوف يهربان، لم تعد فيفيان تصدق تهديداتها، إنها راحلة بلا قلق، إنها سعيدة ومبتهجة.

سمعت كلير صوتها وقد بدا أنه أجش، وهي تقول عبارات تتناسب مع هذا الموقف، لكنها لم تكن تريد أن تقولها. " عبارات مثل "كم هذا رائع"! و "كم أنها تحقد عليهما"!

لحسن الحظ، بدأ الكلبان في الشجار لسبب ما. ولم يعد هناك مجال للحديث بعد اندلاع ذلك الشجار.

في ذلك المساء، جلست كلير وكتبت رسالة إلى فيفيان. طلبت منها أن تقابلها على الحافة اليوم التالي؛ لأن هناك شيئًا مهمًا أرادت أن تخبرها به.

٥

كان الصباح التالي مشمسًا وساطعًا. بدأت كلير تسلقها للممر الشاهق بروح مرحة. يا له من يوم رائع! كانت سعيدة أنها قررت أن تقول ما كان يجب أن تقوله في الهواء الطلق تحت السماء الزرقاء، بدلًا من حجرة ضيوفها الخانقة. كانت حزينة من أجل فيفيان، حزينة بحق، لكنها يجب أن تفعل هذا الشيء.

لمحت كلير نقطة صفراء، مثل زهرة في الجانب الأعلى من الممر. اقتربت كلير فاكتشفت أن هذه النقطة هي فيفيان، مرتديةً فستانًا صوفيًا. كانت تجلس على الحشائش الخضراء القصيرة، وتضم يديها حول ركبتيها.

قالت كلير: "صباح الخير، أليس هذا صباحًا جميلًا؟".

أجابتها فيفيان قائلة: "حقًا؟ لم ألحظ هذا. ما الذي أردت أن تقوليه لي؟".

جلست كلير بجانبها على الحشائش، وقالت معتذرة: "إن أنفاسي متقطعة، هذا الممر شاهق جدًا".

صرخت فيفيان بحدة: "ويحك! لماذا لا تتكلمين أيتها الشيطانة الناعمة بدلًا من أن تعذبيني؟".

نظرت لها كلير في صدمة فاستطردت فيفيان قائلة بسرعة: "لم أقصد هذا، أنا آسفة يا كلير. أنا آسفة حقًا. إن أعصابي مدمرة وأنت تجلسين هنا وتتحدثين عن الجو؛ مما جعلني أفقد أعصابي".

أجابت كلير بنبرة باردة وقالت: "سوف تصابين بانهيار عصبي إن لم تتوخي الحذر".

ضحكت فيفيان ضحكة قصيرة.

وقالت: "هل تظنين أنني سأقفز من الحافة؟ كلا، لست من هذا النوع. لن أكون معتوهة لهذه الدرجة أبدًا. الآن أخبريني، ما الأمر؟".

صمتت كلير للحظات ثم بدأت في الحديث ولم تنظر لفيفيان بل كانت تحدق إلى البحر.

"ظننت أن من العدل أن أحذرك أنني لا أستطيع أن أصمت أكثر من هذا بخصوص... بخصوص ما حدث العام الماضي".

"هل تقصدين أنك ستخبرين جيرالد بالأمر كله؟".

"إلا إذا أخبرته بنفسك، هذا سيكون أفضل بالطبع".

ضحكت فيفيان بحدة وقالت:

"تعرفين جيدًا أنني لا أملك الشجاعة لأفعل هذا".

لم تعارضها كلير، كان لديها الدليل على جبن فيفيان قبل أن تصرح الأخيرة بذلك.

كررت: "هذا سيكون أفضل".

دوت ضحكة فيفيان القصيرة القبيحة مرة أخرى، وقالت في سخرية:

"إن ضميرك المتيقظ هو الذي يدفعك إلى فعل هذا، أليس كذلك؟".

قالت كلير بهدوء: "قد يبدو هذا غريبًا بالنسبة لك، لكن نعم، هذا هو السبب".

حدقت إليها فيفيان بوجهها الشاحب الجامد: "يا إلهي! أنا أصدق أنك تعنين هذا حقًا! إنك تعتقدين أن هذا هو السبب بالفعل".

قالت كلير: " نعم، هذا هو السبب".

قالت فيفيان: "كلا، ليس هذا هو السبب. إن كان كذلك، لكنت أخبرت جيرالد منذ وقت طويل، لماذا لَمْ تفعلي هذا؟ لا، لا تجيبي. سأخبرك أنا: لقد كنت تستمتعين أكثر بإذلالي، هذا هو السبب. لقد أعجبك أن تتلاعبي بي وتجعليني متوترة ومرتعبة طوال الوقت. كنت تقولين أشياء، أشياء شريرة؛ لتعذبيني وتبقي أعصابي مدمرة طوال الوقت، نجحت هذه الأشياء بعض الوقت، حتى اعتدتها".

قالت كلير: "لقد بدأت تشعرين بالأمان".

أجابتها فيفيان: "لقد لاحظت هذا، أليس كذلك؟ لكن حتى حين كنت تقولين تلك الأشياء، ظللت صامتة، تستمتعين بإحساس القوة. لكن الآن حين عرفت أننا سنغادر ونهرب منك، وربما سنصبح سعداء كذلك، لم تطيقي هذا! الآن فقط استيقظ ضميرك الحي!".

توقفت فيفيان لاهثة، فقالت كلير بالهدوء نفسه: "لا أستطيع أن أمنعك عن قول هذه الأشياء الخيالية، لكن أستطيع أن أطمئنك أنه لا شيء مما قلته حقيقي".

التفتت إليها فيفيان فجأة وأمسكت يدها قائلة: "كلير، أستحلفك بالله! لقد أصبحت مستقيمة، لقد فعلت ما أردته مني. لم أرَ سيريل مجددًا، أقسم على هذا".

قالت كلير: "الأمر لا يتعلق برؤيتك له من عدمها".

"كلير، أليس في قلبك ذرة رحمة أو شفقة؟ سوف أنحني على ركبتي أمامك".

قالت كلير: "أخبري جيرالد بنفسك؛ فقد يسامحك إن أخبرته".

ضحكت فيفيان بمرارة وقالت:

"إنك تعرفين جيرالد جيدًا، سوف يجن جنونه، سوف يجعلني أدفع الثمن غاليًا أنا وسيريل، لا أستطيع تحمل ذلك، اسمعيني يا كلير، إن أحواله تحسنت كثيرًا الآن، لقد اخترع شيئًا، آلة من نوع ما، لا أعرف الكثير عن هذا الشيء، لكنه قد يحقق نجاحًا باهرًا. إنه يعمل على تطويره الآن، وزوجته تُموله بالطبع. إنها كثيرة الشك وغيورة ولو أنها اكتشفت الأمر،

وسوف تكتشفه إذا بدأ جيرالد في إجراءات الطلاق، فسوف تطرد سيريل وتتوقف عن تمويله، سوف تكون هذه هي نهايته".

قالت كلير: "أنا لا أفكر في سيريل، أنا أفكر في جيرالد، لماذا لا تفكرين فيه قليلًا، أيضًا؟".

قالت فيفيان: "جيرالد! لا أهتم به ولو لهذا القدر -" وفرقعت إصبعيها في إشارة ساخرة ثم أردفت: "وبما أننا في لحظة اعتراف بالحقيقة الآن، أنا لم أهتم لأمر جيرالد يومًا، لكنني أحب سيريل، أنا أعترف أنني شخص سيئ بمعنى الكلمة، وكذلك هو، لكن مشاعري تجاهه صادقة، أنا مستعدة للموت من أجله، هل تسمعينني؟ أنا مستعدة للموت من أجله!".

قالت كلير في نبرة ساخرة: "من اليسير قول هذا".

قالت فيفيان: "هل تظنين أنني أمزح؟ انظري، إذا نفذت هذه الخطة الشنعاء، فسوف أقتل نفسي قبل أن يتورط سيريل بالأمر وينهار، سوف أقتل نفسي حقًا".

لم يبد أي تأثر على وجه كلير.

قالت فيفيان لاهثة: "أنت لا تصدقينني؟".

"الانتحار يتطلب الكثير من الشجاعة".

تراجعت فيفيان للخلف، وكأنها قد تلقت صفعة قوية.

وقالت: "نعم، عندك حق، أنا لا أتمتع بالشجاعة، ليت هناك طريقة سهلة!".

قالت كلير: "هناك طريقة سهلة أمامك، ليس عليك سوى أن تركضي مباشرة باتجاه هذا المنحدر الأخضر. سوف ينتهي الأمر في دقائق. هل تذكرين ما تعرض له ذلك الطفل العام الماضي؟".

قالت فيفيان وهي تفكر مليًا: "نعم، هذا سيكون سهلًا، سهلًا للغاية، إذا أراده المرء".

أطلقت كلير ضحكة ساخرة.

فالتفتت إليها فيفيان، وقالت:

"دعيني أقل لك هذا ثانية. ألا ترين أنه بالتزامك الصمت طوال هذه الفترة، لم يعد لديك الحق في تغيير رأيك الآن؟ أنا لن أقابل سيريل مجددًا. سوف أكون زوجة جيدة لجيرالد، أقسم أنني سأفعل هذا. أو سأهرب ولن يجدني ثانيةً. أي الأمرين تفضلين يا كلير؟".

نهضت كلير وتحدثت إلى فيفيان قائلة:

"أنصحك أن تخبري زوجك وإلا فسأخبره بنفسي".

قالت فيفيان بهدوء: "حسنًا إذن، لا أستطيع أن أتسبب في معاناة سيريل".

نهضت فيفيان وتوقفت دقيقة أو اثنتين كأنها تقلب الأمر في رأسها، ثم ركضت بخفة إلى نهاية الممر، لكن بدلًا من أن تتوقف، عبرت الممر إلى المنحدر السفلي. التفت فيفيان نصف التفاتة ولوحت لكلير بمرح، ثم قفزت بخفة ومرح طفولي وغابت عن الأنظار.

نهضت كلير مرتعبة، وفجأة سمعت صرخات وصيحات وصخب، ثم ساد الصمت.

هبطت كلير الممر بفزع، وعلى مسافة حوالي تسعين مترًا، رأت كلير مجموعة من الناس واقفين، كانوا يحدقون ويسيرون باتجاه شيء ما، ركضت كلير إلى الأسفل ولحقت بهم.

قال أحدهم: "سيدتي، لقد سقط شخص ما من فوق الحافة. ذهب رجلان إلى الأسفل ليريا ماذا هناك".

انتظرت كلير. هل مرت ساعة، أم دهر، أم بضع دقائق فقط؟

ظهر رجل يحاول الصعود جاهدًا. إنه رجل دين يرتدي زيه المعتاد ذا الأكمام الواسعة. كان قد خلع معطفه ليغطي به ما كان بالأسفل.

قال رجل الدين الذي بدا وجهه شاحبًا للغاية: "هذا أمر بشع! لحسن الحظ، كان موتها سريعًا".

لمح رجل الدين كلير فذهب إليها.

"لابد أن ما حدث كان بمثابة صدمة كبيرة بالنسبة لك، لقد كنتما تتمشيان وتتحدثان معًا، هل ما فهمته صحيح؟".

وجدت كلير نفسها تجيب بآلية وتقول إنهما كانا قد افترقا للتوّ، وأن سلوك السيدة لي بدا طبيعيًا. تدخل أحد الرجال وقال: إن المرأة كانت تضحك وتلوح بيدها. هذا مكان خطير للغاية، لابد أن يُبنى سور بطول هذا الممر.

ارتفع صوت رجل الدين مرةً أخرى قائلًا: "لقد كانت حادثة، نعم، لقد كانت حادثة بلا شك".

دوى صوت ضحكة كلير في المكان فجأة... ضحكة صاخبة غليظة.

وقالت: *"هذه كذبة لعينة، لقد قتلتُها"*.

شعرت بيد تربت على كتفيها، وتحدث شخص ما إليها محاولًا تهدئتها.

"لا بأس، لا بأس. سوف تصبحين على ما يرام قريبًا".

٦

لكن كلير لم تصبح على ما يرام، لم تعد بخير أبدًا. لقد استمرت قابعة في تلك الأفكار التي كانت تتوهمها، بأنها قتلت فيفيان لي، إنها واهمة بالطبع؛ فلقد شهد ثمانية أشخاص ما حدث.

كانت كلير في حالة ميئوس منها حتى وصلت الممرضة لوريستون لتتولى أمرها. كانت الممرضة لوريستون بارعة للغاية في التعامل مع الأمراض النفسية.

دائمًا ما كانت تقول على نحو يبعث الطمأنينة في النفس: "فلتحاولوا إضفاء جو من المرح على هؤلاء الأشخاص، إنهم مساكين".

أخبرت الممرضة كلير أنها أحد حراس سجن بينتونفيل، وأخبرتها كذلك أنه تم تخفيف عقوبتها لتصبح الأشغال الشاقة المؤبدة، وتم تجهيز غرفة كلير بحيث تبدو كزنزانة.

قالت الممرضة لوريستون للطبيب: "والآن أعتقد أننا أصبحنا سعداء ومرتاحون، يمكننا ألا نضع معها أي أداة حادة، إن أردت ذلك يا دكتور؟ لكنني لست قلقة من فكرة الانتحار على الإطلاق. إنها ليست من هذا النوع. إنها تحب نفسها كثيرًا. من المثير للسخرية أن هؤلاء هم من يفقدون عقولهم بسهولة".

نبذة عن القصة

نُشرت قصة "الحافة" لأول مرة في *مجلة بيرسون* في فبراير عام ١٩٢٧ مع افتتاحية توحي بأن القصة "كُتبت قبل مرض المؤلفة الحالي واختفائها الغامض بقليل". في ساعة متأخرة من ليلة الثالث من ديسمبر عام ١٩٢٦، تركت أجاثا كريستي منزلها في بيركشاير. في صباح اليوم التالي، تم العثور على سيارتها مهجورة في منطقة نيولاندز كورنر بالقرب من قرية شير في مقاطعة سري. قامت الشرطة بالتعاون مع متطوعين بالبحث عن كريستي في جميع أنحاء الريف بلا فائدة، لكن بعد مرور أسبوع ونصف، أدرك العديد من العاملين بفندق في بلدة هاروجات أن الضيفة التي حلت باسم تيريزا نيلي، هي الروائية المفقودة.

بعد عودتها، أعلن زوج كريستي للصحفيين أنها عانت "فقدانًا تامًا للذاكرة"، لكن الظروف المحيطة بذلك الحدث الصغير نسبيًا في حياتها أثارت بعض التخمينات خلال الأعوام التالية. فحتى في أثناء اختفاء كريستي، علق كاتب أفلام الرعب المشهور إدجار والاس في مقال صحفي قائلًا: "إن لم تكن كريستي قد ماتت، فلابد أنها حية وفي كامل قواها العقلية،

في لندن غالبًا. بمعنى أصح، يبدو أن نيتها من وراء هذا الفعل هي إثارة حفيظة شخص "غير معروف"، ومن المرجح أن تكون نيلي، السيدة التي صارت الزوجة الثانية لأرشيبالد كريستي. وقد رجح البعض أنها بعد أن تركت سيارتها في ذلك المكان لكي تحرج زوجها، قضت أجاثا ليلة الثالث من ديسمبر مع بعض الأصدقاء في لندن قبل أن تذهب إلى بلدة هاروجيت، وألمح البعض إلى أن حادثة الاختفاء تلك كانت مُدبرة كنوع من الحيل الدعائية. ومع ذلك، وبالرغم من عدم وضوح بعض جوانب ذلك الحدث حتى الآن، لا يمكن إثبات أي من تلك التفسيرات المختلفة؛ لهذا يتم اعتبارها مجرد تخمينات بلا دليل.

مغامرة العيد

١

أحدثت جذوع الأشجار صوت قرقعة في المدفأة الواسعة المفتوحة، بينما تصاعد صخب صادر من ستة أشخاص يتحدثون ويضحكون في آن واحد. كان بالبيت مجموعة من الشباب يستمتعون بالاحتفال بالعيد.

كانت الآنسة إنديكوت العجوز، التي كانت معروفة لكل الحضور باسم الخالة إميلي، تبتسم لحديثهم.

"أراهن أنكِ لا تستطيعين تناول ست فطائر لحم مفروم يا جين".

"بل أستطيع".

"كلا، لا تستطيعين".

"لكنك بذلك ستأكلين كمية كبيرة من حلوى الترايفل".

"نعم، سأتناول ثلاث قطع من حلوى الترايفل، مع قطعتين من كعكة البرقوق".

قالت الآنسة إنديكوت بقلق: "أتمنى أن تكون الحلوى جيدة. إنها مصنوعة منذ ثلاثة أيام. لابد لحلوى العيد أن تُصنع قبله

بفترة طويلة. أتذكر أنني عندما كنت طفلة، كنت أظن أن آخر جزء نقوله في الصلوات "ساعدنا يا إلهنا"، هو بمثابة إشارة بشكل ما إلى المجهود الذي نبذله في صنع حلوى العيد.

ساد صمت في أثناء حديث الآنسة إنديكوت تقديرًا لها، ولم يكن السبب وراء ذلك هو اهتمام الشباب بذكريات الأيام الخوالي، لكن لأنهم شعروا بوجوب إظهار بعض الانتباه لما تقوله مضيفتهم، وفور انتهاء الآنسة إنديكوت من حديثها، عاد الصخب مرةً أخرى. تنهدت الآنسة إنديكوت، ونظرت إلى الشخص الوحيد في الحفل الذي يُقارب عمرها لتحظى ببعض التعاطف. كان هذا الرجل صغير الحجم، وذا رأس بيضاوي وشارب كثيف مستقيم. حدثت الآنسة إنديكوت نفسها قائلة: إن شباب اليوم لم يعودوا كشباب الأمس؛ فقديمًا كان الشباب يجلسون باحترام وصمت في دائرة ليستمعوا إلى درر الحكمة من كبار السن، أما الآن فلا يوجد سوى الثرثرة الفارغة معظم الوقت. لكنهم محبوبون على أية حال. بنظرة حانية رمقت الآنسة إنديكوت الشباب: جين طويلة القامة، التي يمتلئ وجهها بالنمش، ونانسي كارديل قصيرة القامة بجمالها الغجري الأسمر، وجوني وإيريك الصبيين الصغيرين اللذين حصلا مؤخرًا على الإجازة المدرسية، وصديقهم تشارلي بيس، والحسناء ذات البشرة البيضاء إيفلين هاوورث ... بينما كانت تنظر إلى تلك الفتاة الأخيرة، عقدت الآنسة إنديكوت حاجبيها واتجهت ببصرها نحو ابن أخيها الأكبر روجر الذي لم يشاركهم المرح، بل جلس صامتًا متجهمًا يراقب بثبات ذلك الجمال الأخاذ لتلك الفتاة الشابة.

قال جوني بتأثر وهو يقترب من النافذة: "أليس الثلج رائعًا؟ إنه الجو الحقيقي الملائم للعيد. ما رأيكم في معركة بكرات الثلج؟ ما زال أمامنا وقت طويل حتى ينضج العشاء، أليس كذلك يا خالة إميلي؟".

"نعم يا عزيزي، سوف نتناوله في الساعة الثانية. لقد ذكرتني، لابد أن أجهز المائدة".

اندفعت الآنسة إنديكوت خارج الغرفة.

صرخت جين: "ما رأيكم أن نصنع رجل الثلج؟".

"نعم، هذا ممتع! سوف نصنع تمثالًا ثلجيًا للسيد بوارو. ما رأيك يا سيد بوارو؟ سيصنع ستة فنانين مشهورين تمثالًا ثلجيًا للمحقق العظيم هركيول بوارو!".

حيَّاهم الرجل الصغير الجالس على الكرسي بعينين متلألئتين.

قال بوارو: "اجعلوه وسيمًا أيها الشباب. إنني مُصر على هذا".

"بالطبع!".

اختفت مجموعة الشباب سريعًا، وصدم بعضهم كبير الخدم الجليل الذي كان آتيًا من المدخل يحمل رسالة على حامل فضي. تقدم كبير الخدم بعد أن استعاد هدوءه إلى بوارو.

أخذ بوارو الرسالة وفتحها، ثم رحل كبير الخدم. قرأ الرجل الصغير الرسالة مرتين، ثم طبق الورقة ووضعها في جيبه. وبرغم أن الرسالة كانت مفاجئة للغاية، فإن الرجل لم يحرك عضلة واحدة في وجهه. جاءت الرسالة مكتوبة بخط رديء وكأن من كتبها لا يجيد الكتابة، وكان فحواها: *"لا تأكل من كعكة البرقوق"*.

تمتم السيد بوارو لنفسه قائلاً: "يا له من أمر مثير للانتباه، وغير متوقع كذلك".

نظر بوارو إلى ناحية المدفأة فوجد أن إيفلين هاوورث لم تذهب مع البقية. كانت تجلس بالقرب من المدفأة تحدق إلى النار، لقد كانت مستغرقةً في التفكير وتقوم بتحريك خاتم في الإصبع الثالث من يدها اليسرى بحركة عصبية.

قال الرجل الصغير أخيرًا: "أنت مستغرقة في حلم يا آنستي، ولا يبدو أنه حلم سعيد، أليس كذلك؟".

أدارت رأسها ونظرت إليه وكأنها غير متأكدة إن كانت كذلك أم لا.

أومأ إليها برأسه مطمئنًا إياها. وقال:

"إن معرفة الأشياء وظيفتي. وأنت لست سعيدة. ولا أنا كذلك. هلا تبادلنا بعض الأسرار؟ أتعرفين، أنا في شدة الحزن من أجل صديقي. لقد رحل منذ سنوات طويلة إلى أمريكا الجنوبية. أحيانًا، حينما كنا معًا، كان يجعلني أفقد أعصابي، وكان يغضبني من فرط غبائه، أما وقد رحل الآن، فلا أستطيع أن أتذكر سوى صفاته الجيدة. هذه هي الحياة، أليس كذلك؟ والآن يا آنستي، ما مشكلتك؟ أنت لست مثلي، أي لست عجوزًا أو وحيدة، أنت شابة جميلة، والرجل الذي تحبينه يحبك كذلك - نعم هو كذلك: لقد كنت أراقبه في آخر نصف ساعة".

احمر وجه الفتاة خجلًا.

"هل تقصد روجر إنديكوت؟ لا، أنت مخطئ: أنا لست مخطوبة لروجر".

"أعرف. أنت مخطوبة للسيد أوسكار ليفرنج، أعرف هذا جيدًا. ولكن لماذا أنتِ مخطوبة له إن كنت تحبين رجلًا آخر؟".

لم تكن الفتاة مستاءة من كلماته؛ حيث إنه كان يتصرف بأسلوب سليم لا يمكن أن يجعلها تشعر بالاستياء؛ فقد كان حديثه مشوبًا بمزيج من العطف والحزم.

قال بوارو بحنان: "أخبريني بكل شيء"، ثم أضاف الجملة التي قالها قبل ذلك، تلك الجملة التي بعثت الطمأنينة في قلب الفتاة بشكل ما: "إن معرفة الأشياء وظيفتي".

"أنا تعيسة يا سيد بوارو، تعيسة للغاية. انظر، لقد كنا أغنياء في البداية. كان من المفترض أن أرث ثروة كبيرة، وكان روجر حينها شابًا صغيرًا، وبالرغم من أنني متأكدة أنه كان مهتمًا بي، فإنه لم يقل شيئًا، بل سافر إلى أستراليا".

قاطعها السيد بوارو قائلاً: "إن الطريقة التي ينظمون بها الزيجات هنا مضحكة. لا نظام ولا منهجية. كل شيء متروك للمصادفة".

قالت إيفلين: "ثم فقدنا ثروتنا كلها فجأة. أصبحنا معدمتين أنا وأمي؛ فانتقلنا إلى بيت صغير للغاية وبصعوبة استطعنا البقاء على قيد الحياة. لكن أمي مرضت مرضًا شديدًا. كانت فرصة نجاتها الوحيدة في أن تخضع لجراحة معقدة وتسافر للخارج حيث المناخ الدافئ. ولم نكن نملك المال يا سيد بوارو - لم نملك المال! هذا يعني أن أمي كانت ستموت. كان السيد ليفرنج قد تقدم لخطبتي مرة أو مرتين بالفعل قبل ذلك، لقد طلب الزواج مني مرة أخرى، ووعدني أن يفعل كل ما بوسعه لمساعدة أمي؛ لهذا وافقت، ماذا عساني أن أفعل حينها؟ لقد وفَى بوعده؛ فخضعت أمي للجراحة على يد أفضل المتخصصين، ثم سافرنا إلى مصر لقضاء الشتاء هناك. حدث

هذا منذ عام. والآن استعادت أمي صحتها وقوتها، وأنا سوف، سوف أتزوج السيد ليفرنج بعد العيد".

قال السيد بوارو: "فهمت، وفي الوقت نفسه، مات الأخ الأكبر للسيد روجر، فعاد إلى وطنه، ليجد أن حلمه قد تحطم. ورغم ذلك، فأنت لم تتزوجي بعد يا آنسة".

قالت الفتاة بفخر: "إن من ينتمي لعائلة هاوورث لا يخلف وعده أبدًا".

في تلك اللحظة، فتح الباب رجل ضخم ذو وجه أحمر، وعينين ضيقتين ماكرتين، ورأس أصلع ووقف على العتبة، وقال:

"ما الذي تفعلينه هنا يا إيفلين؟ تعالي لنتنزه بالخارج".

أجابته: "حسنًا يا أوسكار".

نهضت الفتاة وهي تشعر بالضجر. نهض بوارو كذلك وسأل بأدب:

"هل ما زالت الآنسة ليفرنج متوعكة؟".

قال أوسكار: "نعم، للأسف ما زالت أختي في الفراش، من السيئ أن يلازم المرء الفراش يوم العيد".

وافقه المحقق بأدب: "أنت محق".

استغرق الأمر بضع دقائق لترتدي إيفلين الحذاء الطويل المخصص للثلوج والمعطف، ثم خرجت مع خطيبها إلى الأراضي المغطاة بالثلوج. كان يوم العيد مثاليًا، مشمسًا ولطيفًا. كان باقي الجمع مشغولين ببناء رجل الثلج. توقف ليفرنج وإيفلين لمشاهدتهم.

قالها جوني: "العصفوران العاشقان"، ثم قذف كرة ثلج باتجاههما.

سألت جين: "ما رأيك يا إيفلين؟ هذا هو تمثال السيد هيركيول بوارو، المحقق الشهير".

قال إيريك: "انتظري حتى تري شاربه، سوف تقص نانسي جزءًا من شعرها من أجل الشارب. *عاش البلجيكيون الشجعان!*".

قال تشارلي: "من الجميل أن يكون لدينا محقق حقيقي في البيت! أتمنى لو كانت هناك جريمة أيضًا".

صرخت جين بحماس: "يا إلهي! لديَّ فكرة. دعونا نختلق جريمة، ونجره كي يحقق فيها. سيكون هذا أمرًا ممتعًا".

بدأ الخمسة في الحديث في وقت واحد، وشرعوا يخططون للجريمة:

"كيف سنفعل ذلك؟".

"فلنطلق صرخات عالية!".

"لا يمكن أن نفعل ذلك هنا أيها الغبي".

"لابد أن تكون هناك آثار أقدام في الثلج".

"وأن تكون جين في ثياب النوم".

"ماذا لو استخدمنا طلاءً أحمر؟".

"نعم تضعينه في يديك، ثم تلطخين به رأسك".

"أتمنى لو كان لدينا مسدسًا".

"صدقني، لن يسمع أبوك أو الخالة إميلي شيئًا، إن غرفهم في الجانب الآخر من البيت".

"إنه لن يمانع ذلك أبدًا، إنه يتمتع بروح مرحة للغاية".

"نعم، لكن أي نوع من الطلاء سنستخدم؟ هل نستخدم طلاء المينا؟".

"يمكننا أن نجد بعضه في القرية".

"ليس في يوم العيد أيها الغبي".

"كلا، ألوان مائية. وليكن اللون القرمزي".

"سوف تؤدي جين الدور".

"لا تقلقي من أن تشعري ببعض البرودة، لن يستمر الأمر طويلا".

"لا، نانسي سوف تؤدي الدور. إنَّ لديها لباس نوم أنيقًا".

"دعنا نَرَ إن كان جريفز يعرف أين نجد بعض الطلاء".

اندفع الشباب إلى البيت.

ضحك ليفرنج ضحكة مزعجة، وقال: "أحلام اليقظة يا إنديكوت؟".

انتبه روجر إلى نفسه فجأة. لم يكن قد سمع كثيرًا مما حدث.

قال بهدوء: "كنت أتساءل فقط".

سأله ليفرنج: "عَمَّ تتساءل؟".

"أتساءل عمَّا يفعله السيد بوارو هنا".

بدا ليفرنج مذهولًا، لكن في تلك اللحظة دق الجرس الكبير، واندفع الجميع إلى المائدة لتناول عشاء العيد. أغلق أحدهم ستائر غرفة الطعام، وأضاءوا الأنوار التي ألقت بظلالها على المائدة الطويلة المملوءة بالبسكويت وغيره من الحلوى. كان عشاء العيد على الطراز القديم. جلس مالك الضيعة ذو الوجه الأحمر البشوش على أحد طرفي المائدة، وجلست شقيقته علي الطرف الآخر. ارتدى السيد بوارو لهذه المناسبة معطفًا أحمر اللون. كان جسمه المكتنز والطريقة التي يرفع بها رأسه إلى أحد الجانبين يذكّران أي شخص بطائر أبي الحناء.

قام مالك الضيعة بتقطيع اللحم بسرعة وانكب الجميع على تناول الديك الرومي. الْتَهم الجمع الديكين، ثم صمتوا للحظة

لاهثين. حينها دخل جريفز كبير الخدم رافعًا كعكة البرقوق إلى أعلى، وحولها ألسنة اللهب. أحدث الشباب ضجة لدى رؤية الحلوى.

"بسرعة! يا إلهي! إن الشمعة الموضوعة في قطعتي تكاد تنطفئ. أشعلها يا جريفز؛ إن لم تكن مشتعلة، فلن تتحقق أمنيتي".

لم يمتلك أي من الحضور وقتًا ليرى تعبير الفضول على وجه السيد بوارو، بينما كان يتفحص قطعة الحلوى الموجودة في طبقه. ثم بدأ في تناول الحلوى في حيرة مقطبًا جبينه. بدأ الجميع في تناول الحلوى وخفت الحديث مرةً أخرى، بدا على مالك الضيعة علامات الدهشة والحيرة. تحوَّل وجهه للون البنفسجي ووضع يده على فمه. وصرخ قائلًا:

"إن طعم الكعكة غريب يا إميلي! إن بها بعض الزجاج، كيف تركت الطباخ يفعل ذلك؟".

قالت الآنسة إنديكوت في اندهاش: "زجاج؟".

سحب مالك الضيعة المادة الغريبة من فمه، وقال متذمرًا: "لقد أوشك على كسر إحدى أسناني، أو ربما قد ابتلعت بعضها فتصيبني بالتهاب الزائدة".

وضع أمام كل شخص وعاءً صغيرًا من أجل وضع النقود المعدنية والأشياء الأخرى التي توجد في الكعك. وضع السيد إنديكوت قطعة الزجاج التي وجدها في الوعاء، وغسلها ثم رفعها وهتف: "يا إلهي! إنه حجر أحمر من أحد دبابيس الزينة".

قال بوارو بصوت يدل على الخبرة: "هل تسمح لي؟" التقط السيد بوارو الحجر من بين أصابعه وفحصه بعناية. كما قال

مالك الضيعة، كان الحجر أحمر كبيرًا يشبه الياقوت. أصدر الحجر ضوءًا منعكسًا بينما كان يقلبه بوارو.

هتف إيريك قائلًا: "يا إلهي! إنه يبدو حقيقيًّا"

قالت جين بسخرية: "يا لسذاجتك! إن حجر ياقوت بهذا الحجم يساوي الآلاف والآلاف. أليس كذلك يا سيد بوارو؟".

تمتمت الآنسة إنديكوت: "لقد وضعوا هذه الأشياء ببراعة في البسكويت. *لكن كيف وصلت إلى كعكة البرقوق؟*".

كان هذا هو موضوع الساعة بلا شك، واستنفد الحضور جميع الافتراضات، لكنَّ السيد بوارو لم يقل شيئًا وبعدم اكتراث وضع الحجر في جيبه وكأنه يفكر في شيء آخر.

توجه السيد بوارو إلى المطبخ بعد العشاء.

كانت الطباخة مرتبكة من أن يحقق معها أحد المدعوين إلى الحفل، وخاصة ذلك الرجل الأجنبي. لكنها فعلت كل ما بوسعها لتجيب عن أسئلته على أية حال. أخبرته أن تلك الحلوى كانت قد صنعت قبل ثلاثة أيام، في اليوم الذي وصل هو فيه، ثم جاء الجميع إلى المطبخ ليقلبوا تلك الحلوى ويتمنوا أمنية. إنها عادة قديمة، ربما هم لا يفعلون هذا بالخارج. بعد ذلك تم طهي الحلوى ووضعها في صف واحد على الرف العلوي في خزانة الأطعمة. سألها إذا كان هناك شيء خاص يميز تلك الحلوى عن غيرها، فأجابته بأنها لا تظن ذلك. باستثناء أن تلك الحلوى كانت موضوعة في أوعية من الألومنيوم وليس الأوعية الخزفية كباقي الحلوى. سألها عما إذا كانت هذه الحلوى هي الحلوى المصنوعة للعيد. من المضحك أنه سأل هذا السؤال. أجابته أنه بالطبع لا! لأن حلوى العيد دائمًا ما تُصنع في قالب خزفي أبيض كبير مزين بأوراق

شجر الإيلكس. سألها كيف كانت هذه الحلوى في هذا الصباح تحديدًا. (هنا ظهر الغضب على وجه الطباخة الذي تخضب بالحمرة) لقد قامت بإرسال جليديز مساعدتها في المطبخ لكي تجلب القالب من أجل أن يتم طهي الحلوى للمرة الأخيرة. إلا أنها بطريقة ما أوقعت القالب وكسرته. وأخبرته أنها وجدت أن الحلوى سوف تكون مملوءة بالشظايا، وأنها لم تكن لترسلها للمائدة هكذا؛ فأخذت القالب المصنوع من الألومنيوم ووضعتها فيه بدلًا من الذي كُسر.

شكرها السيد بوارو على هذه المعلومات، وخرج من المطبخ وعلى وجهه ابتسامة رضا بالمعلومات التي حصل عليها، بينما كانت يداه تداعب شيئًا ما في جيبه.

٢

"سيد بوارو! سيد بوارو! استيقظ! حدث شيء رهيب!".

هكذا انطلق صوت جوني، في وقت مبكر من صباح اليوم التالي. اعتدل السيد بوارو في سريره. كان يرتدي قلنسوة النوم، وكانت المهابة والرزانة التي تظهر عليه تتناقض مع حركة القلنسوة التي يرتديها، فجعلته يبدو كالمهرج، لكن تأثير ذلك الموقف على جوني كان مختلفًا. إن أي شخص يسمع تلك الطريقة التي قال بها جوني الكلمات، يظن في الحال أنه كان متحمسًا حيال ما يحدث. جاءت أصوات غريبة من وراء الباب، كانت تلك الأصوات تشبه الفوران الذي تحدثه الصودا.

"فلتسرع إلى الأسفل من فضلك يا سيد بوارو، لقد قُتل أحدهم!" قالها جوني بصوت مُرتعش ثم غادر.

قال السيد بوارو: "إن الأمر يبدو جادًا!".

نهض بوارو ولم يستعجل واستخدم المرحاض ثم تبع جوني إلى أسفل الدرج. كانت المجموعة محتشدة حول باب الحديقة. بدا التأثر الشديد على وجوههم. وعندما رآه إريك دخل في نوبة اختناق.

تقدمت جين ووضعت يدها على ذراع بوارو.

قالت وهي تشير بطريقة مسرحية باتجاه الباب المفتوح: "انظر!".

هتف بوارو: "يا إلهي! كأنه مشهد على المسرح!".

كانت ملاحظته في محلها. لقد سقط الكثير من الثلج في الليلة السابقة، فبدا العالم أبيض وشاحبًا في ضوء الفجر الخافت. كان المشهد مغطى باللون الأبيض تمامًا إلا ما بدا كأنه بقعة حمراء فاقعة.

كانت نانسي كارديل راقدة بلا حراك على الثلج. كانت ترتدي لباس نوم أحمر حريريًا، وكانت قدماها عاريتين، وذراعاها مفتوحتين. كانت رأسها مائلة وقد غطى شعرها الأسود وجهها. كانت لا تزال راقدة بلا حراك، بدا مقبض الخنجر من ناحية جانبها الأيسر، بينما اتسعت دائرة من اللون الأحمر على الثلج حولها.

خرج بوارو إلى الثلج. لم يتجه إلى جسد الفتاة بل أكمل السير في الممر. كان هناك آثار أقدام على الثلج لرجل وامرأة تقودان إلى موضع الفاجعة؛ فقد بدا أن آثار أقدام الرجل تتجه إلى الاتجاه المعاكس وحدها. وقف بوارو وهو يفرك ذقنه مُفكرًا.

اندفع أوسكار ليفرنج إلى خارج البيت على حين غرة وهو يهتف: "يا إلهي! يا إلهي! ما هذا؟".

كان ذلك الانفعال الذي بدا عليه على النقيض تمامًا من هدوء بوارو.

قال السيد بوارو: "يبدو أن هناك جريمة قتل".

اجتاحت إريك نوبة عنيفة أخرى من السعال.

صرخ الرجل: "لابد أن نفعل شيئًا. ماذا سنفعل؟".

أجاب السيد بوارو: "لا يوجد سوى شيء واحد. يجب أن نستدعي الشرطة".

صرخ الجميع في وقت واحد: "يا إلهي! كلا!".

نظر إليهم بوارو وقد بدت عليه علامات الدهشة: "بالطبع. هذا هو الحل الوحيد. من منكم سيذهب لإبلاغ الشرطة؟".

صمت الجميع برهة ثم تقدم جوني وقال:

"انتهت اللعبة! في الحقيقة يا سيد بوارو، أتمنى ألا تغضب منا. إنها مزحة دبرناها لنجعلك تأتي إلى هنا. إن نانسي تتظاهر فقط".

نظر له السيد بوارو دون أن يظهر أي انفعال، ولم تطرف عيناه لدقيقة.

"تقصد أنكم تسخرون مني، أليس كذلك؟".

"أنا في غاية الأسف. لم يكن لنا أن نفعل ذلك. هذا غباء! أعتذر لك حقًا".

قال بصوت غريب: "ليس عليك أن تعتذر".

التفت جوني. وقال:

"نانسي! هيًا انهضي! لن ترقدي هنا طوال اليوم!".

لكنَّ نانسي لم تتحرك.

صرخ جوني ثانيةً: "انهضي!".

ظلت نانسي بلا حراك فاعترى جوني شعور مفاجئ بالخوف؛ فالتفت إلى بوارو.

"ماذا - ماذا يحدث؟ لماذا لم تنهض؟".

قال بوارو باقتضاب: "تعالَ معي".

أسرع بوارو الخطى فوق الثلج وأبعد الباقين. كان حريصًا على ألا يخطو فوق آثار الأقدام الأخرى. تبعه الولد وانحنى بوارو على الفتاة وأشار إلى جوني قائلًا: "تحسس يدها ونبضها".

انحنى جوني وقد بدا على وجهه علامات الحيرة، وبدأ في تحسس نبضها، وأطلق صرخة عالية. كانت يدها وذراعها متيبسة وباردة ولا أثر فيها لأي نبض.

قال لاهثًا: "إنها ميتة! لكن كيف؟ لماذا؟".

تغاضى بوارو عن الجزء الأول من السؤال، ثم قال معلقًا على الجزء الآخر: "لماذا؟ أنا الذي أتساءل لماذا"، ثم انحنى فجأة إلى الجانب الآخر من جثة الفتاة، وفتح كفها الآخر الذي كان قابضًا على شيء ما. هتف الاثنان في تعجب حينما رأيا الحجر الأحمر في يد نانسي، وكان يلمع بشدة.

هتف السيد بوارو بعد أن تحسس جيبه فوجده فارغًا: "حسنًا!".

قال جوني وقد بدت عليه علامات الحيرة: "ذلك الحجر الذي كان موجودًا في الكعكة!". وبينما انحنى صديقه ليفحص الخنجر والثلج الملطخ بالدماء، صرخ جوني قائلًا: "لكن لا يمكن أن يكون هذا دمًا يا سيد بوارو. إنه طلاء، مجرد طلاء".

اعتدل بوارو وقال في هدوء: "نعم، أنت محق. إنه مجرد طلاء".

"إذن كيف ...". ثم توقف الولد، فأكمل السيد بوارو جملته نيابة عنه قائلًا:

"كيف قُتلت؟ هذا هو ما يجب أن نكتشفه. هل أكلت نانسي أو شربت شيئًا اليوم؟".

رجع بوارو إلى الممر؛ حيث انتظره الآخرون وتبعه جوني.

قال الولد: "شربت فنجانًا من الشاي. لقد أعده لها السيد ليفرنج. إن لديه موقدًا كحوليًا في غرفته.

كان صوت جوني مرتفعًا، وكان كلامه واضحًا، لدرجة أن ليفرنج سمعه؛ فقال شارحًا الأمر: "إنني دائمًا ما أخذ موقد الكحول معي. إن حمله سهل للغاية. لقد أعجب أختي كثيرًا عندما جاءت لزيارتي في المرة الأخيرة، إنها لا تحب أن تعتمد على الخدم طوال الوقت كما تعرف".

اتجهت عينا السيد بوارو إلى قدمي ليفرنج، وكان ينتعل خفًا منزليًا مصنوعًا من قماش سميك. وجاءت هذه النظرة وكأنها تبرئه.

تمتم بوارو بهدوء: "أرى أنك قد غيرت الحذاء".

حدق ليفرنج إلى بوارو بشدة.

هتفت جين قائلة: "لكن يا سيد بوارو، ماذا سنفعل؟".

"كما قلت، ليس لدينا سوى خيار واحد هو أن نستدعي الشرطة".

هتف ليفرنج قائلًا: "سوف أذهب أنا، لن يستغرق الأمر دقيقة لأرتدي حذائي الطويل. وأنتم، لا تنتظروا في هذا البرد".

ثم اختفي داخل البيت.

غمغم بوارو بهدوء: "كم يبدو السيد ليفرنج طيبًا! هلا أخذنا بنصيحته؟".

"ماذا عن إيقاظ أبي، وماذا عن الجميع؟".

قال بوارو بحدة: "لا! ليس هذا ضروريًا الآن. لا يجب أن يمس أحدكم شيئًا حتى تصل الشرطة. دعونا ندخل البيت. إلى المكتبة؟ سأقص عليكم حكاية قصيرة ستصرف عقولكم عن هذه الفاجعة المحزنة".

قادهم بوارو إلى داخل البيت وتبعه الآخرون.

جلس السيد بوارو على الأريكة المريحة وقال: "تبدأ القصة بياقوتة، ياقوتة مشهورة للغاية امتلكها رجل مشهور. لن أقول اسمه، لكنه من أعظم الرجال على وجه الأرض. حسنًا، لقد وصل هذا الرجل إلى لندن تحت اسم مستعار. ولقد وقع هذا الرجل العظيم الذي كان شابًا متهورًا أيضًا في شباك شابة جميلة. لم تكن الشابة الجميلة تهتم كثيرًا لأمر هذا الرجل لكنها كانت مهتمة بممتلكاته، لدرجة أنها هربت في يوم ما، وأخذت معها تلك الياقوتة التاريخية التي ورثتها عائلة الرجل لأجيال. لقد وقع هذا الرجل المسكين في مأزق، لقد كان سيتزوج من أميرة قريبًا، ولم يكن يريد فضيحة. كان من المستحيل أن يذهب إلى الشرطة، فجاء إلى هيركيول بوارو بدلًا من ذلك. قال لي الرجل: "أعد إليَّ ياقوتتي أرجوك". حسنًا، أنا أعرف شيئًا عن هذه الشابة. إن لديها أخًا وقد نجحا معًا في تنفيذ بعض *عمليات الاحتيال*. ولقد كنت أعرف أين ستقضي العيد: في بيت الآنسة إنديكوت، التي دعتني بالصدفة إلى قضاء العيد في بيتها كذلك. لكن حينما علمت تلك الفتاة أنني آتٍ، شعرت بالخطر. إنها ذكية وتعرف أنني أبحث عن الياقوتة. فكرت في إخفائها فورًا

في مكان آمن: خمنوا ما هو هذا المكان، في حلوى البرقوق! نعم، هذا صحيح! كانت تقلب الحلوى مثل الآخرين ثم وضعت الياقوتة في قالب الألومنيوم الذي يختلف عن باقي القوالب. وبمصادفة غريبة، حدث أن تلك الحلوى قُدمت في العيد".

بدا أن الجميع قد نسي الفاجعة للحظة محدقين إلى بوارو فاغرين أفواههم.

أكمل الرجل الصغير قائلًا: "بعد هذا، لازمت الفتاة فراشها"، ثم سحب ساعته ونظر فيها. "هناك جلبة في البيت، لقد استغرق السيد ليفرنج وقتًا طويلًا في استدعاء الشرطة، أليس كذلك؟ أعتقد أن شقيقته ذهبت معه أيضًا".

هبت إيفلين وصرخت محدقة إلى بوارو:

"أعتقد كذلك أنهما لن يعودا. لقد قام ليفرنج بالكثير من الأشياء غير القانونية، وهذه هي النهاية. سوف يواصل هو وشقيقته نشاطاتهما بالخارج لبعض الوقت باسمين مستعارين. لكنني قد أغريته وأخفته هذا الصباح. إنه سيتخلى عن حذره، ويحاول أخذ الياقوتة الآن، بينما نحن في المنزل، فمن المفترض أنه ذهب لاستدعاء الشرطة. لكن ذلك سيفسد خطته للهرب؛ فبما أن هناك جريمة قتل ضده الآن، بدا الهرب أفضل الحلول".

همست جين قائلة: "هل قتل نانسي؟".

نهض بوارو وقال مُقترحًا:

"دعونا نزر مسرح الجريمة مرةً أخرى".

قادهم بوارو وتبعه الجميع إلى الخارج، وبمجرد خروجهم من المنزل شهق الجميع متعجبين. لم يكن هناك أثرٌ للفاجعة: كان الثلج أملس ومتساويًا.

قالها إيريك وقد ألقى بنفسه على الدرج: "يا إلهي! لم يكن هذا حلمًا، أليس كذلك؟".

قال بوارو وقد لمعت عيناه: "هذا أعجب ما رأيت، لغز اختفاء الجثة!".

اتجهت إليه جين بريبة مفاجئة وقالت: "سيد بوارو، أنت لم، أعني، أنت لم تخدعنا من البداية، أليس كذلك؟ أعتقد أنك تخدعنا".

"هذا صحيح أيها الشباب. لقد كنت على علم بمؤامرتكم، فقمت بالتخطيط لمؤامرة مضادة كما ترون. ها هي ذي الآنسة نانسي، ما زالت على قيد الحياة، أتمنى أن تكون بخير بعد أدائها الرائع في هذه المسرحية الهزلية".

بالفعل تقدمت إليهم نانسي كارديل بشحمها ولحمها، كانت عيناها لامعتين وبدا عليها الصحة والنشاط.

سألها بوارو كأنه يستجوبها: "لم يصبك البرد؟ هل شربتِ شاي الأعشاب الذي أرسلته لغرفتك؟".

"لقد أخذت رشفة فقط. أنا بخير. هل أديت دوري جيدًا يا سيد بوارو؟ يا إلهي! ذراعَيَّ تؤلمانني بسبب انسداد الأوردة".

"لقد كنتِ رائعة *يا صغيرتي*. لكن دعينا نشرح ما حدث للآخرين، إنهم ما زالوا لا يستوعبون الأمر. ما حدث *يا أصدقائي* أنني ذهبت إلى الآنسة نانسي وأخبرتها أنني على علم بخطتكم، وطلبت منها أن تقوم بدور صغير من أجلي. لقد نفذت الدور بذكاء. لقد أغرت السيد ليفرنج بأن يعد لها فنجانًا من الشاي، وكذلك نجحت في أن تجعله هو الشخص المختار لترك آثار أقدامه على الثلج؛ لهذا حينما حانت اللحظة، وصدق

ليفرنج فاجعة موتها، كان لديَّ جميع الأدوات لتخويفه. ماذا حدث بعد أن دخلنا البيت يا آنسة؟".

"لقد أتى مع أخته وانتزعا الياقوتة من يدي ثم هربا بأقصى سرعة".

هتف إيريك قائلًا: "لكن ماذا عن الياقوتة يا سيد بوارو؟ هل تقصد أنك تركتهما يهربان بها؟".

خفض بوارو رأسه بمواجهة عيونهم المتشككة.

وقال بصوت منخفض؛ حيث شعر أنه قد خيب آمالهم: "سوف أستعيدها".

قال جوني: "أعتقد أن تركهم يهربون بالياقوتة أمر ... "

كانت جين أذكاهم فهتفت قائلة:

"إنه يخدعنا مرة ثانية. أنت تخدعنا، أليس كذلك؟".

"يمكنك أن تنظري في جيبي الأيسر يا آنسة".

دفعت جين يدها متحمسة في جيب بوارو ثم سحبتها، وصاحت صيحة انتصار. رفعت يدها عاليًا وهي تمسك بياقوتة حمراء فخمة.

قال بوارو شارحًا: "أرأيتم؟ لم يكن الحجر الآخر سوى نسخة مزيفة أحضرتها معي من لندن".

قالت جين بابتهاج: "إنه عبقري، أليس كذلك؟".

قال جوني فجأة:

"هناك شيء واحد لم تخبرنا به. كيف علمت بأمر مسرحيتنا؟ هل أخبرتك نانسي؟".

هز بوارو رأسه نافيًا.

"إذن كيف عرفت؟".

قالها بوارو مُبتسمًا، حين لمح إيفلين هاورث، وروجر إنديكوت يهبطان الممر معًا: "إن معرفة الأشياء وظيفتي".

"نعم، لكنْ أخبرنا كيف، أرجوك يا سيد بوارو، أرجوك".

كان بوارو مُحاطًا بدائرة من الوجوه المتحمسة المتوهجة.

"هل تريدون أن أحل هذا اللغز حقًا؟"

"نعم".

"لا أعتقد أنني أستطيع".

"لمَ لا؟".

"أعتقد أنكم ستصابون بالإحباط *يا أصدقائي*؟".

"لا، لا، أخبرنا. كيف عرفت؟".

"حسنًا، لقد كنت في المكتبة، ثم ...".

"نعم؟".

"كنتم تناقشون خطتكم بالخارج، وكانت نافذة المكتبة مفتوحة".

قال إيريك بخيبة أمل: "هل هذا كل ما في الأمر ؟ كم هذا بسيط!".

قال بوارو وهو يبتسم: "أليس كذلك؟".

قالت جين بصوت يدل على شعورها بالرضا: "على كلٍّ، نحن نعرف كل شيء الآن".

تمتم بوارو لنفسه بينما كان يهم بالدخول للمنزل: "حقًا؟ *أنا* لا أعرف، أنا الذي وظيفته معرفة الأشياء".

وضع يديه في جيبه وسحب منها، ربما للمرة العشرين، قُصاصة ورقية قذرة.

"لا تأكل حلوى البرقوق".

هز بوارو رأسه في حيرة. في الوقت نفسه سمع صوت لهاث غريب بالقرب من قدميه. التفت بوارو إلى مصدر الصوت فرأى فتاةً صغيرة ترتدي ثوبًا مطبوعًا عليه بعض الرسومات. كانت تمسك في يدها اليسرى جاروفًا وفي يدها اليمنى فرشاة.

سألها بوارو: "من أنت *يا طفلتي*؟".

"أنا آني إيكس، الخادمة يا سيدي".

خطرت ببال بوارو فكرة فناول الفتاة الخطاب.

وقال: "هل كتبت هذا يا آني؟".

"لم أقصد أي أذى يا سيدي".

ابتسم إليها بوارو.

"أعرف بالطبع. هل ستخبرينني بكل شيء؟".

"فعلت هذا بسببهما يا سيدي، السيد ليفرنج وأخته. لم نستطع تحملهما ولم تكن أخته مريضة على الإطلاق، لقد كنا جميعًا على علم بهذا؛ لذا فكرت أن هناك شيئًا غريبًا سيحدث. سوف أخبرك بالحقيقة يا سيدي، لقد تنصت عليهما من خلف الباب وسمعت الرجل يقول بوضوح: "لابد أن نتخلص من بوارو هذا في أسرع وقت". ثم قال لأخته شيئًا مثل: "أين وضعته؟" فردت: "في الحلوى". هكذا فهمت أنهم ينويان دس السم لك. لم أدرِ ماذا أفعل، فلم تكن الطباخة لتصدقني. هكذا قررت أن أكتب لك تحذيرًا، ووضعته حيث يمكن للسيد جراف رؤيته ومن ثم إعطاؤه لك".

توقفت آني لاهثة وأخذ بوارو يتفحصها لعدة دقائق.

قال بوارو: "أنت تقرأين الكثير من الروايات يا آني. لكنك فتاة طيبة وذكية إلى حد ما. حينما أعود إلى لندن سوف أرسل

إليك كتابًا رائعًا اسمه "*تدبير شئون المنزل*"، وأيضًا كتاب "*حياة الصالحين*"، وكتاب آخر عن المكانة الاقتصادية للمرأة".

ترك بوارو آني وهي مبهورة، واستدار وعاد إلى الصالة. كان متجهًا إلى المكتبة، عندما لمح من خلال الباب المفتوح رأسًا أبيض وآخر داكنًا، قريبين من بعضهما فتوقف في مكانه. وفجأة شعر بذراعين تطوقان رقبته.

قالت جين: "ليتك كنت واقفًا معنا تحت شجرة العيد!".

وقالت نانسي: "كنت أتمنى ذلك أيضًا".

استمتع السيد بوارو بكل ذلك، استمتع كثيرًا.

نبذة عن القصة

نُشرت "مغامرة العيد" لأول مرة باسم *The Adventure of Christmas Pudding* في جريدة *ذا سكتش* في الثاني عشر من ديسمبر عام ١٩٢٣. جاءت القصة كنهاية للسلسلة الثانية من القصص التي نُشرت تحت عنوان *The Grey Cells of M. Poirot*. ظهرت القصة مرة أخرى في الأربعينات من القرن الماضي بعنوان "مغامرة العيد" في المجموعتين القصصيتين قصيرتي الأجل: *Problem at Pollensa Bay* و *Christmas Adventure* و *Poirot Knows the Murder* قبل أن تقوم كريستي بعدها بسنوات بتطويل القصة وإعادة نشرها في صورة رواية قصيرة. كما نُشرت القصة أيضًا في المجموعتين القصصيتين *The Adventure of the Christmas Pudding* و *Selection of Entrees* عام ١٩٦٠.

في تصدير المجموعة القصصية تحدثت كريستي عن أن القصة جعلتها تتذكر الأعياد التي قضتها في فترة شبابها مع والدتها في منزل أبني هول ببلدة ستوكبورت بعد وفاة والدها عام ١٩٠١. قام ببناء ذلك البيت السيد جيمس وات الذي كان عمدة مانشستر في يوم ما، وكان جد جيمس وات، زوج مادج، أخت كريستي الكبرى.

في سيرتها الذاتية التي نُشرت عام ١٩٧٧، وصفت كريستي البيت بأنه بيت رائع لقضاء العيد بالنسبة لأي طفل. لم يتميز البيت فقط بطابعه الفيكتوري القوطي الضخم والمليء بالغرف والممرات والدرجات الكثيرة والسلالم الخلفية والأمامية والتجاويف والمنافذ، وكل ما يمكن أن يريده أي طفل، بل كان يحتوي أيضًا على ثلاث آلات بيانو مختلفة وآلة أرغن. في كتاب آخر وصفت كريستي تلك الموائد المكدسة بالطعام وكرم الضيافة الذي لاقته هناك ... حيث قالت: "كان هناك مخزن كبير يمكن للجميع دخوله وتناول ما يريد من الشكولاتة وجميع أنواع الحلويات متى أراد"، وفي الوقت الذي لم تكن أجاثا تأكل فيه، غالبًا في منافسة مع هيمفري، الأخ الأصغر لجيمس وات، كانت تلعب معه، ومع شقيقيه ليونيل ومايلز وشقيقتهم نان. وربما كانت كريستي تفكر فيهم حينما كتبت عن الأطفال في هذه القصة، والمرح الذي حظوا به في أحد الأعياد التي هطلت فيها الثلوج بكثافة مع وجود "محقق حقيقي في البيت".

التمثال الوحيد

١

كان واقفًا هناك على رف في المتحف البريطاني، وحيدًا بائسًا بين مجموعة أخرى من التماثيل التي بدا واضحًا أنها تفوقه أهمية. اصطفت تلك التماثيل على الجدران الأربعة، وقد برز من ملامحها السمو الذي يوحي بالمكانة العالية التي يحظى بها كل منها. على قاعدة كل تمثال، نُقش بعناية الموطن الذي نال شرف امتلاك ذلك التمثال. لم يكن هناك شك في المكانة التي يحظى بها كل تمثال؛ فقد كان كل واحد منهم قائدًا روحيًا عظيمًا في موطنه.

وقف ذلك التمثال الصغير في ركن بمنأى عن جميع التماثيل. كان منحوتًا من حجر رمادي اللون، وتكاد ملامحه أن تكون مطموسة بفعل الوقت وعوامل التعرية. كان يقف بعيدًا في معزل عن بقية التماثيل واضعًا مرفقيه على ركبتيه، وكان يدفن رأسه بين يديه؛ حيث كان تمثالًا صغيرًا وحيدًا في بلد غريب.

لم يكن هناك نقش يحدد الموطن الذي جاء منه التمثال. لا شك أنه كان بلا هوية، وبلا أية كرامة، ولا سمعة، تمثال صغير مثير للشفقة بعيد عن وطنه. لم يلحظ وجوده أي أحد، لم يتوقف أحد ليلقي نظرة عليه. ولِمَ قد يفعلون؟ فلقد كان عديم الأهمية، عبارة عن كتلة حجرية رمادية موضوعة في الركن. كان يقف على جانبيه تمثالان مكسيكيان بليا بفعل الزمن تعلو وجهيهما أمارات الهدوء وأيديهما مطوية. ارتسمت على وجهي التمثالين ابتسامة قاسية تُظهر بوضوح ازدراءهما للبشر. كان هناك أيضًا تمثال مستدير صغير فخور بنفسه. كان قابضًا يديه وبدت عليه أمارات الغرور بشدة، لكن المارة كانوا يتوقفون من وقت لآخر لمشاهدته أو السخرية من التباين الكبير بين افتخاره بنفسه وتلك الابتسامة غير المبالية التي ترتسم على وجه رفيقيه المكسيكيين.

وقف التمثال التائه الصغير هناك في يأس واضعًا رأسه بين يديه عامًا بعد عام، حتى حدث المستحيل يومًا ما ووجد ذلك التمثال الصغير شخصًا ينظر إليه.

٢

"هل وصلت أية خطابات إليَّ؟".

أخرج الساعي حزمة من الخطابات من صندوق الرسائل وألقى عليها نظرة سريعة، وقال بصوت متبلد:

"لا يوجد أي خطاب من أجلك يا سيدي".

تنهد فرانك أوليفر بينما كان يستعد لمغادرة النادي مجددًا، لم يكن هناك سبب معين لتوقعه وجود أي خطاب له؛ فلم يكن يكتب له الكثيرون على أية حال. لقد أصبح فرانك يشعر بإحساس الوحشة الذي كان ينمو بداخله، منذ أن عاد من بورما في الربيع.

كان أوليفر رجلًا قد تجاوز الأربعين من عمره بقليل، كان قد قضى الثمانية عشر عامًا الأخيرة من عمره في أجزاء مختلفة من العالم، تتخللها إجازات قصيرة قضاها في إنجلترا. لقد أدرك للمرة الأولى كم هو وحيد في هذا العالم، منذ اتخاذه قرار التقاعد والعودة إلى الوطن بشكل نهائي.

لكنه لم يكن وحيدًا حقًا؛ فقد كانت له أخت اسمها جريتا، متزوجة من أحد رجال الدين من مقاطعة يوركشاير، لكنها كانت مشغولة دائمًا بواجباتها التي كانت ملتزمة بأدائها في دار العبادة، وواجباتها الأسرية وتربية أطفالها. بالطبع كانت جريتا تحب أخاها الوحيد، لكنها لم يكن لديها وقت كبير تقضيه معه. كان له أيضًا صديق قديم يُدعى توم هارلي. كان توم مُتزوجًا من فتاة لطيفة ذكية ومرحة، وكانت أيضًا نشيطة وعملية للغاية، لكن فرانك كان يخاف منها لسبب خفي. كانت زوجة صديقه قد أخبرته بوضوح أنه لا يجب أن يظل عازبًا عجوزًا نكد الطبع، وكانت دائمًا ما تُعرفه بفتيات لطيفات. اكتشف فرانك أنه لم يكن لديه شيء يتحدث بشأنه مع تلك "الفتيات اللطيفات"؛ فقد كن يمكثن معه بعض الوقت ثم يفقدن الأمل فيه وينظرن إليه على أنه حالة ميئوس منها.

لكنه في الحقيقة لم يكن انطوائيًا؛ فقد كانت بداخله رغبة كبيرة في تكوين صداقات والشعور بالانسجام مع بقية

الأشخاص، لكنه منذ عودته إلى إنجلترا أصابه شعور كبير بالإحباط. أدرك فرانك أنه قضى وقتًا طويلًا بالخارج حتى أصبح من الصعب عليه الانخراط مع من حوله. كان فرانك يقضي أيامًا طويلة يتجول بلا هدف، متسائلًا عن الخطوة التالية التي سيأخذها في حياته.

في إحدى تلك النزهات، دخل فرانك إلى المتحف البريطاني. كان فرانك مهتمًا بالتحف الآسيوية، فحدث أنه لمح ذلك التمثال الوحيد. وقع فرانك في حب ذلك التمثال على الفور. كان يشعر بوجود تشابه بينه وبين ذلك التمثال، لقد كان ذلك التمثال مثله تائهًا ضالًا في أرض غريبة. أصبح فرانك معتادًا على زيارة ذلك المتحف حتى يشاهد ذلك التمثال الحجري الرمادي الصغير في موقعه الغامض من الرف العلوي.

حدث فرانك نفسه قائلًا: "يا لسوء حظ هذا التمثال الصغير! لابد أنه كان مشهورًا في يوم ما، وكان يحبه الجميع، ويقدمون له الهدايا وكل هذه الأشياء".

كان فرانك قد بدأ يشعر كأن لديه حق في امتلاك صديقه الصغير، وبلغ ذلك الشعور ذروته لدى فرانك لدرجة أنه شعر بالاستياء عندما رأى معجبًا آخر بهذا التمثال الصغير. كان فرانك هو الذي اكتشف ذلك التمثال الوحيد، كان يشعر أنه ليس من المسموح لأي شخص آخر أن يعارض حقه في امتلاكه.

لكن بعد شعوره بالغضب، ابتسم فرانك رغمًا عنه؛ حيث كان ذلك المُعجب الثاني بهذا التمثال ليس إلا فتاة سخيفة مثيرة للشفقة ترتدي معطفًا أسود رثًا، وتنورة عفا عليها الزمن. كانت

الفتاة صغيرة السن، خمن فرانك أنها قد تخطت العشرين، كانت ذات شعر أشقر وعينين زرقاوين وشفتين متدليتين في حزن.

كانت قبعتها أكثر ما أثار شعوره بالشفقة، كان من الواضح أنها هي التي حاكتها بنفسها، لكن محاولتها الفاشلة لكي تجعلها تبدو أنيقة كانت مُثيرة للشفقة. بدا واضحًا أنها سيدة كانت تنتمي لطبقة راقية يومًا ما قبل أن يصيبها الفقر. قال في قرارة نفسه إنها لابد أن تكون مربية أطفال ووحيدة في هذا العالم.

اكتشف فرانك - بعد فترة قصيرة - أنها تزور ذلك التمثال الصغير يومي الثلاثاء والجمعة، وكانت دائمًا تصل في العاشرة صباحًا بمجرد أن يفتح المتحف أبوابه. لم يحب فرانك تطفلها في البداية، لكن شيئًا فشيئًا أصبحت تلك السيدة أحد اهتماماته الأساسية في حياته الرتيبة. بالطبع كانت شريكته في حب ذلك التمثال الصغير، وبذلك تكون قد أطاحت بإخلاصه الأوحد لذلك التمثال، فكانت الأيام التي لا يرى فيها تلك السيدة الصغيرة - الوحيدة كما سماها - أيامًا خاوية.

ربما كانت هي الأخرى مهتمة به، بالرغم من أنها نجحت في إخفاء تلك الحقيقة بإظهارها اللامبالاة تجاهه، لكن بمرور الوقت، تولد بينهما شعور بالألفة، على الرغم من أنهما لم يتحدثا معًا أبدًا. لقد كان فرانك خجولًا في حقيقة الأمر! قال فرانك لنفسه ربما لم تلحظ تلك السيدة وجوده (إلا أن شيئًا ما بداخله لم يستطع تصديق هذا الشعور أبدًا). كان يعتقد أن من الوقاحة أن يحاول التحدث معها، كما أنه لم يكن لديه أدنى فكرة عما سيقوله لها.

لكن القدر ألهمه شيئًا ما؛ حيث قام فرانك بشراء منديل نسائي، كان ذلك المنديل خفيفًا مصنوعًا من القطن والدانتيل حتى أنه كان خائفًا من لمسه فحمله على ذراعه وتبع السيدة عندما تركت الغرفة، واستوقفها عند حجرة الآثار المصرية، وقال لها:

"معذرة، هل هذا المنديل يخصك؟".

لقد حاول أن يتحدث بلامبالاة، لكنه فشل في ذلك.

أخذت تلك السيدة الوحيدة المنديل، وتظاهرت بأنها تفحصه بعناية، ثم قالت:

"لا ليس لي"، ثم أعادته إليه وأضافت - بينما كانت تلقي عليه نظرة اعتقد فرانك أنها نظرة شك - قائلة: "إنه جديد، لا يزال يحمل بطاقة السعر".

لم يرغب فرانك في الاعتراف بأنها اكتشفت فعلته فبدأ في شرح مفرط قائلًا:

"لقد التقطته من أسفل ذلك الصندوق الكبير". شعر بارتياح للشرح المفصل فأردف قائلًا: "فبما أنك كنت واقفة هناك، ظننت أنه قد يخصك فتبعتك لأعطيه لك".

كررت السيدة ما قالته: "كلا إنه لا يخصني"، وأضافت بطريقة فظة إلى حد ما: "شكرًا لك".

ساد الصمت لبعض الوقت. ظلت السيدة واقفة هناك تشعر بالخجل والحرج، محاولةً الخروج من هذا الموقف بوقار.

قام فرانك بمحاولة بائسة لاستغلال الفرصة، وقال:

"أنا، أنا لم أكن أعرف أن هناك في لندن من يهتم بتمثالنا الوحيد الصغير غيري حتى أتيت".

أجابت المرأة بحماس وقد نسيت تحفظها السابق:

"أنت كذلك تسميه بهذا الاسم؟".

كان من الواضح أنها لم تمانع استخدامه لذلك الضمير إن كانت قد لاحظت استخدامه له. شعرت باندهاش حينما قال لها: "بالطبع!"، وهو الرد الذي بدا كأكثر ردود الفعل تلقائية في العالم.

ساد الصمت مجددًا لكن هذه المرة كان صمتًا ناتجًا عن التفاهم.

كسرت السيدة الوحيدة ذلك الصمت بتذكرها المفاجئ للأعراف الاجتماعية.

عدلت السيدة قامتها، وقالت بلهجة وقورة لم تتناسب مع حجمها:

"لابد أن أذهب الآن ... إلى اللقاء"، ثم أحنت رأسها قليلًا بطريقة رسمية وسارت مُبتعدة بقامة منتصبة.

٣

وفقًا لكل المعايير المعروفة، كان لابد أن يشعر فرانك أوليفر بأن المرأة قد رفضته، ولكن كعلامة مؤسفة على تقدمه السريع في الانحراف، تمتم فرانك لنفسه قائلًا: "محبوبتي الصغيرة!".

لكنه سريعًا ما ندم على تهوره هذا؛ فلمدة عشرة أيام، لم تقترب تلك السيدة الصغيرة من المتحف إطلاقًا. كان يائسًا! لقد أخافها! لن تأتي هنا مجددًا! يا له من وغد وشرير! لن يراها ثانيةً!

كان فرانك يمكث في المتحف البريطاني طوال اليوم في هذه الحالة من اليأس. ربما قد غيرت موعد مجيئها فقط. سرعان ما بدأ فرانك في حفظ الحجرات المجاورة عن ظهر قلب وكان يكره المومياوات كثيرًا. كان رجل الأمن يراقبه في شك؛ حيث كان يقضي ثلاث ساعات في قراءة طلاسم اللغة الآشورية، في حين تسبب تأمله للعدد اللانهائي من الزهريات التي تنتمي لكل العصور في شعوره بملل لا يُطاق.

لكنه كُوفئ على صبره في أحد الأيام؛ فقد جاءت السيدة وبدا عليها الخجل أكثر من المعتاد، بينما كانت تحاول أن تبدو هادئة.

حياها فرانك بود ومرح قائلًا:

"صباح الخير، لم أرك منذ وقت طويل!".

"صباح الخير".

قالت تلك الكلمات بتبلد شديد وتجاهلت الجزء الأخير من جملته ببرود.

لكن فرانك كان مستميتًا.

قال لها: "فلتنظري إليَّ!"، ووقف بمواجهتها بعينين متوسلتين، وبدت لها عينه كأنها عين كلب كبير مخلص. استرسل قائلًا: "هلا أصبحنا أصدقاء! أنا وحيد هنا في لندن، أنا وحيد في هذا العالم، وأعتقد أنك وحيدة كذلك. لابد أن نصبح أصدقاء، بالإضافة إلى أن تمثالنا الصغير قد عرفنا على بعضنا".

رفعت نظرها إليها ببعض الشك، وارتسمت ابتسامة خافتة على فمها وهي تقول:

"هل فعل ذلك حقًا؟".

"بالطبع!".

كانت هذه هي المرة الثانية التي يستخدم فيها صيغة التوكيد بهذه الثقة، وقد أتت بثمارها الآن كما أتت بثمارها من قبل؛ فبعد دقيقة أو اثنتين قالت الفتاة بتلك الطريقة الملكية التي تتحدث بها:

"هذا أمر جيد".

أجابها بصوت أجش: "رائع!"، لكنَّ شيئًا ما في صوته جعل الفتاة تنظر إليه نظرة خاطفة تملؤها الشفقة.

هكذا بدأت الصداقة الغريبة، كان الاثنان يتقابلان مرتين في الأسبوع أمام ذلك التمثال الصغير. في البداية كانت كل محادثاتهما تدور حوله، كان ذلك التمثال الصغير مبررًا وذريعة لصداقتهما. ناقش الاثنان قضية موطن ذلك التمثال باستفاضة، كان الرجل مُصرًا على أن يعزو إليه أكثر السمات وحشية، كان يصوره على أنه كان مصدر الخوف والرعب في موطنه، وأنه كان متعطشًا للقتل وأن الناس كانوا يهابونه ويفزعون منه. وكان أكثر شيء يُثير الشفقة - وفقًا لوجهة نظره - هو وجود ذلك التناقض بين مهابته السابقة وتفاهته الحالية.

لكن السيدة الوحيدة لم تكن تتبنى هذه النظرية؛ فقدكانت تصر على أن هذا التمثال كان عطوفًا وطيبًا، كانت تشكك في أنه كان يمتلك القوة يومًا ما. كانت تقول إنه لو كان قويًا في يوم من الأيام، لما انتهى به المطاف تائهًا وحيدًا. على كل حال، كان ذلك التمثال صغيرًا ومحببًا إلى قلبها؛ فقد كانت تحبه وتكره التفكير في أنه يجلس هناك يومًا بعد يوم بين تلك التماثيل البغيضة المتغطرسة التي كانت تسخر منه، كان من الواضح

للعيان أن تلك التماثيل الأخرى تسخر منه بالطبع! وبعد هذا الغضب الشديد، توقفت السيدة الصغيرة لاهثة.

استنفد الصديقان هذا الحديث فبدآ في التحدث عن أنفسهما. وجد فرانك أن ظنه كان في محله . كانت السيدة مربية خاصة لدى عائلة بها أطفال يعيشون في قرية هامستيد، شعر فرانك بأنها تكره هؤلاء الأطفال، تكره تيد ذلك الطفل ذا الخمسة أعوام الذي لم يكن *مشاغبًا*، بل كان مُزعجًا فقط، والتوأمين اللذين كانا يحاولان أن يصبحا كذلك، ومولي التي لا تفعل ما تؤمر به أبدًا، لكنها كانت ساحرة فيصعب عليك أن تغضب منها.

قال فرانك مُتجهمًا: "إن هؤلاء الأطفال يضايقونك".

ردت بحزم: "لا ... لا يضايقونني. إنني صارمة للغاية معهم".

قال ضاحكًا: "يا إلهي"، لكنها جعلته يعتذر عن شكوكه بشدة.

أخبرته السيدة أنها يتيمة ووحيدة في هذا العالم.

وأخبرها هو عن حياته شيئًا فشيئًا، عن عمله الذي اجتهد فيه وحقق فيه بعض النجاحات، وعن هوايته التي أفسد فيها كميات كبيرة من قماش الكتان برسوماته.

قال لها: "بالطبع أنا لا أعلم أي شيء عن الرسم، لكنني دائمًا ما كنت أشعر أنني أستطيع أن أرسم شيئًا يومًا ما. يمكنني أن أرسم رسومات جيدة إلى حد كبير، لكنني أريد أن أرسم صورة حقيقية. كان أحد الشباب الذي يعرف الكثير عن الرسم قد أخبرني أن أسلوبي في الرسم لم يكن سيئًا".

بدا على الفتاة الاهتمام لمعرفة مزيد من التفاصيل، فقالت: "أنا متأكدة أنك ترسم جيدًا".

هز فرانك رأسه نفيًا وقال:

"كلا، لقد شرعت في فعل أشياء عديدة مؤخرًا وتخليت عنها في يأس. كنت دائمًا أفكر في أنني سوف أتجه إلى الإبحار حينما أمتلك الوقت. لقد احتفظت بهذه الفكرة في ذهني سنوات عديدة، لكنني أعتقد الآن أنه قد فات الأوان على هذه الفكرة، مثل الكثير من الأشياء الأخرى".

قالت السيدة الصغيرة بحماس وجدية الشباب: "لا، لم يفت الأوان بعد".

ابتسم لها فرانك قائلًا: "ألا تظنين هذا يا طفلتي؟ لقد فات أوان أشياء كثيرة بالنسبة لي".

ضحكت السيدة الصغيرة ونعتته بالعجوز.

كان الصديقان قد بدآ في الشعور بالراحة في المتحف البريطاني. كان رجل الأمن القوي الذي يحرس المعارض رجلًا بارعًا، وكان يشعر بمجرد رؤيته للصديقين، بأن الغرفة الآشورية المجاورة في حاجة إلى حراسة مكثفة.

في أحد الأيام أخذ فرانك خطوة جريئة ووجه دعوة إلى السيدة لاحتساء الشاي!

اعترضت الفتاة في البداية قائلة:

"ليس لديَّ وقت، أنا مشغولة، أنا آتي في الصباح أحيانًا لأن الأطفال يأخذون دروسًا في اللغة الفرنسية في ذلك الوقت".

ردَّ الرجل: "هذا هُراء! تستطيعين تدبير يوم واحد فقط. تذرعي بأن خالتك أو أحد أبناء عمك قد مات أو بأي شيء، لكن *تعالي*. سوف نذهب إلى أي مطعم قريب من هنا ونتناول الكعك مع الشاي! لابد أنك تحبين الكعك!" .

"نعم، أحبه بالزبيب".

"وببعض الصوص اللذيذ الذي يوجد على السطح ...".

"إن الكعك هناك ممتلئ بمثل هذه الأشياء".

أردف فرانك أوليفر بشكل رسمي قائلاً: "هناك شيء ما يجعل أي شخص يحب تناول الكعك!".

هكذا تم ترتيب الموعد، وجاءت المربية الصغيرة وهي تضع زهرة وردية في ذلك الحزام التي كانت تلفه حول وسطها بهذه المناسبة.

كان فرانك قد لاحظ أنها تبدو متوترة وقلقة مؤخرًا وكان هذا أكثر وضوحًا ذلك المساء؛ حيث إنها أخذت تسكب الشاي من الكوب على المنضدة الرخامية.

سألها فرانك بقلق: "هل ضايقك الأطفال؟".

هزت رأسها نافية. كان يبدو أنها لا تريد التحدث عن الأطفال مؤخرًا.

"إنهم بخير. ليس لديَّ أية مشكلة معهم".

"هل أنت متأكدة؟"

بدا أن نبرته العطوفة أحزنتها بلا مبرر.

"لا، ليس الأطفال هم السبب. لكن أنا كنت وحيدة بالطبع. وحيدة للغاية!".

لقد قالت ذلك الكلام في نبرة تُدمي القلوب.

قال بسرعة بينما بدا عليه التأثر: "نعم، نعم يا طفلتي، أنا أعرف، أنا أعرف ذلك".

بعد دقيقة من الصمت قال بمرح: "هل تعرفين، أنت لم تسأليني عن اسمي بعد".

رفعت يدها معترضة:

"أرجوك، لا أريد أن أعرفه. ولا تسأل عن اسمي كذلك. دعنا نكن شخصين وحيدين تقابلا وأصبحا صديقين. هذا يجعل الأمر رائعًا ومختلفًا".

رد ببطء وتأنٍّ قائلًا: "جيد جدًّا. في عالم وحيد، سوف نكون شخصين ليس لهما سوى بعضهما".

كانت الطريقة التي صاغ بها الكلام مختلفة عن طريقتها، وبدا أنها تقابل صعوبة في إكمال المحادثة. ما كان منها إلا أنها انحنت أكثر على الطبق أمامها حتى أنه لم يرَ منها سوى قمة القبعة.

"يا لها من قبعة جميلة!"، قالها بطريقة تعيد إليها اتزانها.

ردت بفخر: "لقد زينتها بنفسي".

أجابها: "لقد خمنت ذلك منذ اللحظة الأولى"، بدا أنه قال شيئًا خطأ بمرح إنسان جاهل.

"أخشى أنها ليست أنيقة كما أردتها أن تكون".

رد بصدق: "أعتقد أنها قبعة رائعة للغاية".

صمتا مرة أخرى في ارتباك، لكن فرانك أوليفر كسر الصمت بشجاعة، وقال:

"سيدتي الصغيرة، لم أرد أن أخبرك بهذا الآن، لكنني لا أستطيع الانتظار، إنني أحبك وأريدك، لقد أحببتك منذ اللحظة التي رأيتك فيها واقفة هناك مرتدية ذلك المعطف الأسود. عزيزتي لن تكون هناك وحدة، إذا تجمع كل شخصين وحيدين معًا. سوف أعمل، يا إلهي! سوف أعمل! سوف أرسمك. أستطيع أن أرسمك، أعرف هذا! يا صغيرتي، لا أستطيع العيش بدونك. لا أستطيع أبدًا ...".

كانت حبيبته الصغيرة تنظر إليه بثبات. لكن ما قالته كان آخر شيء توقع أن تقوله. قالت السيدة بهدوء ووضوح: "لقد اشتريت ذلك المنديل!".

اندهش فرانك من هذا الدليل على فطنة النساء واندهش كذلك من تذكرها لذلك الآن، لكن بعد مرور ذلك الوقت لابد أنها سامحته.

قال فرانك معترفًا: "نعم اشتريته، لقد أردت أن أختلق أي سبب لأتحدث معك، هل أنت غاضبة مني؟" انتظر في وداعة كلماتها التي ستشجب بها هذا الأمر.

هتفت السيدة الصغيرة بحدة: "لقد كان هذا لطفًا منك! كان هذا لطفًا منك!" أنهت جملتها هذه بنبرة تحمل بعض الشك.

عاد فرانك إلى صوته الأجش قائلًا:

"أخبريني يا صغيرتي، هل هذا مستحيل؟ أعرف أنني قبيح وعجوز وفظ ...".

قاطعته السيدة الوحيدة:

"لا، لست كذلك! لا يوجد ما أود أن أغيره فيك، لا شيء على الإطلاق. أنا أحبك كما أنت، هل تفهم هذا؟ ليس لأنني أشفق عليك أو لأنني وحيدة في العالم وأحتاج إلى من يحبني ويرعاني، أنا أحبك فقط لأنك أنت. هل تفهمني الآن؟"

سألها هامسًا: "حقًا؟".

أجابته بثبات: "نعم أنا محقة".

كانت الدهشة قد تملكتهما معًا.

قال فرانك أخيرًا: "إذن لقد وجدنا الجنة يا عزيزتي!"

قالت بصوت يملؤه الشجن والفرح: "نعم، وجدناها في هذا المطعم الصغير".

لكن السعادة عمرها قصير. هبت السيدة الصغيرة واقفة وقالت في دهشة:

"لم أدر أنني تأخرت هكذا. لابد أن أذهب فورًا".

"سوف أوصلك إلى منزلك".

"لا، لا، لا".

لم يستطع سوى أن يخضع لإصرارها فصحبها بالكاد إلى محطة القطار.

قالت وقد تشبثت بيده بشدة تذكرها فيما بعد: "الوداع يا عزيزي".

أجابها بمرح: "الوداع حتى الغد فقط؛ ففي العاشرة صباحًا مثل المعتاد، سوف نكشف عن أسمائنا وتاريخ حياتنا وسنكون عمليين وواقعيين بشدة".

همست: "الوداع للجنة أيضًا".

"سوف تكون معنا دائمًا يا عزيزتي!".

أرسلت ابتسامة يعلوها ذلك الحزن الذي أربكه ولم يستطع أن يفهمه، ثم أخفاها المصعد عن الأنظار.

٤

كان فرانك منزعجًا بشكل ما بسبب كلماتها الأخيرة، لكنه طردها بحزم من عقله وأبدل بها التوقعات السعيدة لليوم التالي.

في العاشرة كان هناك، في المكان المعتاد. للمرة الأولى لاحظ فرانك نظرات الشر التي كانت تنظر إليه بها تلك التماثيل الأخرى. بدت التماثيل كأنها على علم بشيء شرير سوف يحدث له مما جعلها تبدو مبتهجة. كان فرانك على علم بكراهيتها له.

لقد تأخرت السيدة الصغيرة. لماذا لم تأت بعد؟ كان الجو العام لهذا المكان يسبب له التوتر. لم يبدُ صديقه الصغير (*تمثالهم الصغير*) بهذا العجز من قبل. لم يبدُ من قبل عبارة عن كتلة عاجزة من الحجارة تحتضن يأسه!

قطع تفكير فرانك ولد صغير حاد الملامح. سارع إليه الولد وفحصه بجدية من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه. بدا الولد راضيًا عن نتيجة ملاحظته فأخرج خطابًا وأعطاه له.

قال: "هذا لي أنا؟".

لم يكن هناك عنوان للرسالة. أخذها فرانك، بينما ركض الولد الصغير مبتعدًا بسرعة شديدة.

بدأ فرانك يقرأ الرسالة ببطء وعدم تصديق. كانت الرسالة قصيرة للغاية. كُتب فيها:

عزيزي،

لا أستطيع أن أتزوجك أبدًا. أرجوك انسَ أنني كنت في حياتك وحاول أن تسامحني إن كنت قد جرحت مشاعرك.

لا تحاول أن تبحث عني؛ فلن يجدي هذا نفعًا ..."الوداع".

السيدة الوحيدة،

كان هناك ملاحظة في آخر الرسالة من الواضح أنها كانت قد كتبت على عجل في آخر لحظة:

أنا أحبك حقًا، أحبك بالطبع.

كانت تلك الملاحظة التلقائية هي تعزيته الوحيدة في الأسابيع التالية. بالطبع لم يستمع فرانك لنصيحتها "بألا يبحث عنها" لكن محاولاته باءت بالفشل. لقد تلاشت المرأة تمامًا ولم يكن لديه أي فكرة عن كيفية تعقبها. نشر إعلانًا بالصحف للبحث عنها ولمناشدتها بعبارات مبهمة أن تعود على الأقل حتى تشرح له سر هذا الغموض، لكنه لم يتلقَّ أي رد. كانت قد ذهبت بلا عودة.

بعد هذا بدأ في الرسم لأول مرة في حياته. كان أسلوبه في الرسم جيدًا منذ البداية، والآن اجتمعت البراعة مع الإلهام يدًا بيد.

تم قبول اللوحة التي تسببت في شهرته، وذاع صيته بسببها وتم تعليقها في الأكاديمية واعتُبرت *لوحة العام*، ليس فقط من أجل المعالجة شديدة الحساسية للموضوع، ولكن من أجل الإتقان والحرفية التي تمت بهما كذلك. كانت اللوحة تحتوي على بعض الغموض أيضًا، الشيء الذي أثار انتباه العامة إليها بشدة.

كان الإلهام قد جاءه عن طريق الصدفة؛ فقد سيطرت على خياله قصة خيالية قرأها في مجلة.

كانت القصة تحكي عن أميرة محظوظة، كانت دائمًا تحصل على كل ما تريده؛ فإذا تمنت شيئًا تحقق لها على الفور، وإن

كان لديها أي رغبة تُلبى لها فورًا. كان لها أبوان مخلصان وثروة عظيمة وملابس ومجوهرات جميلة وخدم ينتظرون إشارة منها ليحققوا ما تهواه أيًا كان، وكان لديها خادمات مرحات يُسلينها، كان لديها كل ما يشتهيه قلب أي أميرة. كان أوسم الأمراء وأغناهم يحاولون التقرب منها أو التقدم إلى زواجها، لكن بلا فائدة. كانوا مستعدين لقتل أي عدد من التنانين ليثبتوا إخلاصهم لها، لكن الوحدة التي شعرت بها الأميرة كانت أشد من تلك الوحدة التي قد يشعر بها أفقر متسول في المدينة.

توقف فرانك عن القراءة، لم يكن مهتمًا على الإطلاق بالمصير النهائي للأميرة. خطرت في باله صورة لتلك الأميرة التي تحظى بكل متع الحياة، لكنها رغم ذلك كانت حزينة ووحيدة، تلك الأميرة المتخمة بالسعادة، المختنقة من كثرة الترف، التي تشعر بالجوع في قصر الملذات.

بدأ فرانك في الرسم بحماسة شديدة، كانت متعة الإبداع العنيفة قد سيطرت عليه.

أظهر فرانك الأميرة في بلاطها متكأة على أريكة ملكية. غزت الألوان الشرقية اللوحة. كانت الأميرة ترتدي ثوبًا رائعًا محلى بتطريزات عجيبة اللون، وكان شعرها الذهبي يحيط بها وعلى رأسها تاج مرصع بالجواهر الثقيلة. كانت بعض النسوة يحطن بالأميرة، وقد انحنى أمامها أمراء يحملون هداياهم القيمة، كان المشهد كله يوحي بالترف والثراء.

لكن الأميرة كانت مشيحة بوجهها، لم تكن واعية للضحك والمرح الذي يحيط بها. كان نظرها مركزًا على ركن مظلم مظلل وقف فيه جسم ما بدا متنافرًا مع باقي المشهد، وهو

تمثال حجري رمادي صغير يدفن وجهه بين يديه بطريقة غريبة لا تعكس إلا اليأس.

هل كان يبدو متنافرًا مع الجو العام حقًا؟ كانت عينا الأميرة الشابة تحدقان إليه في تعاطف غريب، وكأن شعورها بالعزلة قد تملكها وسيطر على بصرها. كان بينهما تقارب كبير. كان العالم تحت قدميها، لكنها كانت وحيدة؛ أميرة وحيدة تنظر إلى تمثال صغير وحيد.

كانت لندن كلها تتحدث عن اللوحة، كما أرسلت جريتا كلمات كتبت على عجل كتهنئة لأخيها من يوركشاير، وألحت زوجة توم هارلي على فرانك أوليفر أن يأتي في عطلة نهاية الأسبوع ليقابل فتاة مرحة للغاية من أكبر المعجبين بأعماله. ضحك فرانك بسخرية وألقى بالخطاب في النار. كان النجاح قد أتاه، لكن ما فائدته؟ لم يكن يريد إلا شيئًا واحدًا، هو تلك المرأة الصغيرة الوحيدة التي خرجت من حياته للأبد.

٥

كان اليوم هو يوم مسابقة أسكوت للخيول. أخذ الحارس الذي كان في الخدمة في ذلك الجزء من المتحف البريطاني يفرك عينيه متسائلًا إن كان يحلم؛ حيث لم يكن من المتوقع أن تظهر فتاة ترتدي فستانًا من الدانتيل وقبعة رائعة، وتبدو كحورية حقيقية في إحدى اللوحات الباريسية المبدعة. كان الحارس يحدق إليها بإعجاب مذهل.

ربما لم يكن ذلك التمثال الوحيد متفاجئًا. ربما كان قويًا بطريقته الخاصة، وعلى كل حال، ها قد عاد إليه أحد معجبيه.

حدقت إليه السيدة الوحيدة الصغيرة وتحركت شفتاها سريعًا هامسة:

"أيها التمثال العزيز الصغير! أرجوك ساعدني! أرجوك ساعدني!".

ربما شعر ذلك التمثال الصغير بالإطراء، ولو كان ذلك التمثال شرسًا وعنيفًا كما تخيله فرانك في يوم ما، فربما تكون قد أنهكته السنوات، ورقق تتابع الحضارات قلبه الحجري القاسي. وربما تكون السيدة الوحيدة محقة من البداية في كونه تمثالًا صغيرًا عطوفًا، وربما تكون الصدفة هي العامل الوحيد. أيًا كان السبب، المهم أنه في تلك اللحظة تحديدًا كان فرانك أوليفر يدلف ببطء وحزن داخل الحجرة الآشورية.

رفع فرانك رأسه ورأى الحورية الباريسية.

وفي غضون دقيقة، كان يقف أمامها، وأخذت تتمتم ببعض الكلمات السريعة المتقطعة؛ حيث قالت:

"لقد كنت وحيدة، *أنت* تعرف هذا. لابد أنك قرأت القصة التي كتبتها، لم تكن لترسم تلك اللوحة إلا إذا اضطررت إلى ذلك، إلا إذا فهمت موقفي حقًا. لقد كانت تلك الأميرة هي أنا؛ فلقد كان لديَّ كل شيء، لكنني كنت وحيدة إلى حد لا يوصف. لقد ذهبت في أحد الأيام لأشكو حالي لأحد الحكماء، مرتدية زي خادمتي، وفي طريق عودتي مررت هنا ورأيتك تنظر إلى التمثال الوحيد. هكذا بدأ كل شيء. كنت أتظاهر! هذا شيء بغيض. استمررت في التظاهر ثم لم أجرؤ على الاعتراف بأنني أخبرتك بكل هذه الأكاذيب. ظننت أنك ستكون مشمئزًا من الطريقة التي خدعتك

بها. لم أتحمل أن تكتشف الحقيقة؛ لهذا رحلت، ثم كتبت هذه القصة وبالأمس رأيت لوحتك، *إنها* لوحتك، أليس كذلك؟".

إن التماثيل فقط هي التي تدرك المعنى الحقيقي لكلمة "الجحود"، من المفترض أن ذلك التمثال الصغير الوحيد كان يعرف الجحود الأسود لبني البشر؛ فبكونه تمثالًا يقف أمامه الكثير من الزائرين يوميًا، كان يمتلك فرصًا فريدة لمراقبتهم، لكنه في وقت المحنة، قام الذي ضُحّي من أجله بالكثير بعمل تضحية في المقابل. لقد ضحى ذلك التمثال الصغير بزائريه الوحيدين في أرض غريبة، وقد أثبت له هذا أن التمثال الصغير عظيم لكن على طريقته الخاصة؛ فقد ضحى بكل ما يملك.

لقد شاهدهما ذلك التمثال الصغير - من تلك الفجوات التي كانت بين أصابعه - يرحلان وقد أمسك كل منهما بيد الآخر، غير ناظرين إلى الوراء، شخصين سعيدين وجدا جنتهما ولم يعودا في حاجة إليه بعد الآن.

ما هو في نهاية المطاف سوى تمثال وحيد للغاية في أرض غريبة!

نبذة عن القصة

نُشرت هذه القصة أول مرة في مجلة *رويال ماجازين* في يوليو عام ١٩٢٦. تُعد هذه القصة إحدى القصص القليلة التي يسيطر عليها الطابع الرومانسي، وقد اعتبرتها كريستي عاطفية بشكل مبالغ فيه.

ومع ذلك هي قصة ممتعة؛ حيث كانت بداية لاهتمام كريستي الطويل بعلم الآثار، الذي وصفته بأنه دراستها المفضلة في المقالة التي كتبتها عن كتاب *Michael Parkinson's Confessions Album* الذي نُشر عام ١٩٧٣ كعمل خيري. كان اهتمامها بعلم الآثار أيضًا هو الذي أدى إلى مقابلتها لعالم الآثار المشهور ماكس مالوان الذي أصبح زوجها الثاني فيما بعد. ظل مالوان وكريستي لسنوات عديدة بعد الحرب العالمية الثانية، يقضيان الربيع في قرية نمرود في العراق. كما أن ما كتبته كريستي عن الحفريات في Tell Brak in Syria في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨، وفي *Come, Tell Me How You Live* عام ١٩٤٦ يُعد دليلًا ممتعًا ومفيدًا لهذه المناطق السياحية كما يُعد دليلًا كذلك على هذا الجزء من شخصية أجاثا كريستي. بينما يبدو أن كريستي لم تكتب أبدًا في أثناء رحلاتها، لكن خبراتها

تلك كانت مادة غنية لعدة روايات مثل ألغاز بوارو: جريمة في *بلاد الرافدين** عام ١٩٣٦، *والموت على ضفاف النيل* عام ١٩٣٧، *والموعد الدامي* عام ١٩٣٨، والرواية الاستثنائية التي كتبتها عام ١٩٤٤ بعنوان الموت يأتي في النهاية، التي تدور أحداثها في مصر القديمة منذ أكثر من ألفي عام قبل الميلاد.*

* متوافر لدى مكتبة جرير

ذهب جزيرة مان

تصدير

إن قصة "ذهب جزيرة مان" ليست قصة بوليسية عادية، بل هي قصة استثنائية للغاية. ربما يكون المحققون بالقصة تقليديين، لكنهم برغم جريمة القتل الوحشية التي تواجههم، لم تكن قضيتهم هي البحث عن هوية القاتل، بل إن تركيزهم كان ينصب بالأساس على حل خيوط سلسلة من الألغاز التي تقود إلى كنز مدفون، الكنز الذي لم يقتصر وجوده على هذه الصفحات المطبوعة فقط! من الواضح أننا نحتاج إلى بعض التوضيح ...

في شتاء عام ١٩٢٩، خطرت ببال عضو المجلس المحلي بجزيرة مان أرثر بي. كروكال فكرة مبتكرة. كان كروكال يرأس لجنة "مبادرة يونيو"، وهي اللجنة المسئولة عن تنشيط السياحة في جزيرة مان. كانت فكرته تتلخص في تنظيم مسابقة للبحث عن كنز، وكان قد استلهم هذه الفكرة من عدة أساطير تمت

كتابتها عن مهربي جزيرة مان وكنوزهم المدفونة منذ وقت طويل، التي تنتظر من يكتشفها. كانت الفكرة أن يكون هناك كنز حقيقي مدفون في مكان ما بالجزيرة، وأن يتم إخفاء مفاتيح البحث عن ذلك الكنز في صورة قصة بوليسية. في البداية، أبدى بعض أعضاء اللجنة تحفظًا على اقتراح كروكال، لكنهم وافقوا على تنفيذ الفكرة في النهاية. اتفق أعضاء اللجنة على أن يتم تنفيذ مشروع البحث عن الكنز في جزيرة مان في بداية موسم العطلات، وأن ينطلق في موعد بداية سباقات الدراجات البخارية المسمى بكأس السياحة الدولي، في دورته الرابعة والعشرين حينها، إلى جانب بعض الأحداث السنوية الأخرى، مثل "تتويج ملكة الزهور"، وسباق منتصف الليل لليخوت.

لكن كروكال احتاج إلى البحث عمن يكتب القصة التي سوف تبنى عليها مسابقة البحث عن الكنز، ومن كان أفضل من أجاثا كريستي؟ العجيب أن كريستي وافقت أن تكتب القصة مقابل ستين جنيهًا إسترلينيًا، وهي أغرب عمولة تلقتها. قامت كريستي بزيارة جزيرة مان في نهاية أبريل عام ١٩٣٠، وأقامت في ضيافة نائب حاكم الجزيرة قبل أن تعود إلى ديفون؛ حيث كانت ابنتها مريضة. قضت كريستي أيامًا عدة في مناقشات مع كروكال حول البحث عن الكنز، وقاما بزيارة عدة مواقع في الجزيرة لتحديد الموضع الذي سيُخبأ فيه الكنز وكيف سيتم تأليف مفاتيح حل اللغز.

نتيجة ذلك، كتبت كريستي قصة "ذهب جزيرة مان" وقد نشرت على خمس حلقات في نهاية شهر مايو في جريدة ديلي ديسباتش. كانت الجريدة تُوزع في مانشستر، ومن المرجح أن أعضاء اللجنة اختاروها لأنهم اعتقدوا أنها الجريدة التي

سيراها معظم الزائرين المحتملين للجزيرة من الإنجليز. طُبعت هذه القصة في صورة كُتيب أيضًا وتم توزيع ربع مليون نسخة على دور الضيافة والاستراحات حول الجزيرة. تم نشر الحلول الخمسة منفصلة (يُشار إليها هنا بعلامة +) ومع اقتراب الموعد المقرر فيه أن يتم نشر القصة في جريدة ديسباتش، ناشدت لجنة "مبادرة يونيو" الجميع بالتعاون لتحقيق أكبر قدر من الدعاية لمسابقة البحث عن الكنز؛ فكلما زاد عدد السياح زادت الأرباح، وقد جذبت اللعبة انتباه عدة مئات من العائدين إلى وطنهم، والذين كانوا قد هاجروا من الجزيرة إلى الولايات المتحدة، وكان من المفترض أن يعودوا كضيوف شرف في شهر يونيو. ووفقًا للحملات الدعائية حينها، فإن المسابقة كانت "فرصة لجميع المحققين الهواة لاختبار مهارتهم!"، فمن أجل أن تتنافس مع خوان وفينيلا - أبطال القصة - كان عليك أن تتزود بالعديد من الخطط الجيدة، وبالكتب الإرشادية التي تصف الجزيرة ... وتحتاج كذلك إلى كتب عن التراث الشعبي لهذه الجزيرة، وكتاب عن تاريخها. وقد وضحت كريستي حلول الألغاز في نهاية القصة.

ذهب جزيرة مان

١

ميلتشيرين العجوز عاش على الجسر.
حيث كانت منحدرات جيربي تقود إلى منطقة قفراء،
كان حقله الصغير يتلألأ باللون الذهبي لأزهار الكوشاج والقندول،
وكانت ابنته جميلة المحيا.

"إنهم يقولون يا أبي، إن لديك الكثير من الكنوز،
لكنها مخبأة في مكان بعيد.
إنني لا أستطيع أن أرى الذهب، لكنَّ بريقه ينبعث من نبات القندول،
فماذا فعلت به؟ فلتخبرني" .

"إن ذهبي مخبَّأ في صندوق من خشب البلوط،
لقد ألقيت به في مياه البحر فغرق،

هو لا يزال راسخًا كمرساة الأمل هناك،
لامعًا وآمنًا كأنه في البنك".

قلت في امتنان بعد أن انتهت فينيلا من هذه الأغنية: "إنها تعجبني كثيرًا".

أجابت فينيلا قائلة: "يجب عليك أن تحبها بالطبع، إنها تحكي قصة جدنا الأكبر، جدي وجدك. إنه جد العم مايلز. لقد كوَّن ثروة كبيرة من التهريب وخبَّأها في مكان ما، ولم يعرف أحد مكانها حتى الآن".

كانت معرفة تاريخ الأسلاف هي نقطة القوة لدى فينيلا، فهي تهتم كثيرًا بأسلافها، بينما كانت اهتماماتي عصرية بحتة. إن الواقع الصعب الذي أعيشه والمستقبل المجهول الذي أفكر فيه يستهلكان كل طاقتي، لكنني أحب أن أستمع إلى فينيلا وهي تغني أغنيات تراث جزيرة مان.

إن فينيلا فائقة الجمال، وهي ابنة عمي - ومن حين لآخر - تكون خطيبتي، فقط في أوقات التفاؤل التي تتوفر لدينا فيها الأموال، وعندما تجتاحنا موجة تشاؤم ولا يتوفر لدينا الأموال، ندرك أننا لن نستطيع أن نتزوج قبل عشرة أعوام على الأقل، فننفصل.

سألتها: "ألم يحاول أحد البحث عن الكنز؟".

أجابت: "بالطبع حاولوا، لكنهم لم يجدوه أبدًا".

قلت لها: "ربما لم يبحثوا بشكل علمي".

أجابت فينيلا قائلة: "قام العم مايلز بمحاولة جيدة للغاية، لقد قال إن أي شخص يمتلك قدرًا من الذكاء يستطيع أن يحل لغزًا بسيطًا كهذا".

بدا هذا كأنه كلام العم مايلز بالفعل؛ فهو رجل عجوز غريب الأطوار يعيش في جزيرة مان، وهو مشهور بإصدار مثل هذه التصريحات التعليمية.

في هذه اللحظة وصلنا خطاب!

هتفت فينيلا قائلة: "يا إلهي! ما إن ذكرناه حتى وصلنا خطاب عنه، مات العم مايلز!".

لكن لأننا لم نرَ عمنا الغريب سوى مرتين، لم نستطع التظاهر بالشعور بالأسى الشديد. لقد أرسل هذا الخطاب مجموعة من المحامين من مدينة دوجلاس، وأخبرونا فيه أنه بموجب وصية العم مايلز ميلتشيرين الراحل، أكون أنا وفينيلا الوريثين المشتركين لممتلكاته، التي تتكون من منزل بالقرب من دوجلاس وإيراد ضئيل للغاية. تم إرفاق مظروف مغلق مع الخطاب، وكان العم مايلز قد أوصى بإرساله إلى فينيلا في حال موته. فتحنا الخطاب وقرأنا محتواه المدهش. سأقرأه عليكم كاملًا؛ حيث إنه يُعد وثيقة مهمة جدًا.

" عزيزيَّ فينيلا، وخوان (أخمن أنني حيث أجد أحدكما، أجد الآخر! أو هكذا قيل لي)، ربما تذكران أنكما سمعتماني أقول: إن من يمتلك أي قدر من الذكاء يستطيع أن يجد الكنز الذي خبَّأه جدي ذلك الوغد الظريف. لقد امتلكت ذلك الذكاء - وكانت مكافأتي هي الحصول على أربعة صناديق من الذهب الخالص - يبدو كلامي قصة خيالية، أليس كذلك؟!

ليس لديَّ سوى أربعة أقارب ما زالوا على قيد الحياة، أنتما الاثنان، وابن أخي إيوان كورجيج، الذي دائمًا ما سمعت أنه شخص بغيض، وابن عمي الدكتور فاييل الذي لم أسمع

عنه سوى القليل، ولم يكن ذلك القليل جيدًا كذلك.

لقد تركت المنزل لكما، لكنني أشعر بواجب يقع على عاتقي بخصوص ذلك "الكنز" الذي أصبح من نصيبي وحدي بفضل براعتي. لا أشعر أن جدي الحبيب سوف يكون مرتاحًا لفكرة أن ينتقل إليكما الكنز بسهولة عن طريق الميراث؛ لذا وبدوري ابتكرت معضلة صغيرة.

لا تزال هناك "أربعة صناديق" من الذهب (إلا أنها في صورة أحدث من سبائك الذهب أو من العملات الذهبية)، وسوف يكون هناك أربعة متنافسين، وهم أقاربي الأربعة الذين مازالوا على قيد الحياة. لقد كان من العدل أن أخصص "صندوقًا" لكل منكم، لكن لا يوجد العدل في العالم دائمًا يا أطفالي. والأسرع هو من يكسب السباق، وربما يكون هو الأكثر انعدامًا للضمير كذلك!

من أنا لكي أخالف الطبيعة؟ لابد أن تستخدما ذكاءكما ضد الاثنين الآخرين. أخشى أن فرصتكما لن تكون كبيرة؛ فطيبة القلب والبراءة لا يتم المكافأة عليهما كثيرًا في هذا العالم. ولهذا السبب، ارتكبت القليل من الغش (هذا ظلم مرة أخرى كما تريان!)؛ حيث سيصلكما هذا الخطاب قبل أن يصل إلى الاثنين الآخرين بأربع وعشرين ساعة. هكذا سيكون لديكما فرصة جيدة للبحث عن "الكنز" الأول قبلهما بأربع وعشرين ساعة، وإنها لفترة كافية إن كان لدى أي منكما أي تفكير على الإطلاق.

سوف تجدان مفاتيح حل اللغز بمنزلي في دوجلاس. ولن تستطيعا الوصول إلى مفاتيح "الكنز" الثاني حتى تجدا الكنز الأول. هكذا ستكون المنافسة عادلة في الكنز الثاني

وما يليه. أتمنى لكما النجاح، ولن يسعدني شيء أكثر من أن تحصلا على "الصناديق الأربعة"، لكن فرصتكما ضئيلة للأسباب التي ذكرتها. تذكرا أنه لا يوجد أي وازع سيقف في طريق إيوان العزيز. لا ترتكبا خطأ الوثوق به بأي شكل من الأشكال. أما بالنسبة للدكتور ريتشارد فايل، فأنا لا أعرف عنه الكثير لكنني أعتقد أنه حصان رابح.

أتمنى لكما حظًا سعيدًا، لكنني لا أعول كثيرًا على الأمل في نجاحكما.

عمكما المحب

مايلز ميلتشيرين".

حينما وصلنا إلى التوقيع الذي يوجد في نهاية الخطاب، هبت فينيلا واقفة من جانبي.

صحت قائلًا: "ما الأمر؟!".

كانت فينيلا تقلب سريعًا في صفحات "الدليل الأبجدي للمدن".

ثم صاحت: "لابد أن نصل إلى جزيرة مان بأسرع وقت. كيف يجرؤ على القول بأننا طيبان وبريئان وغبيان؟ سوف أريه يا خوان. سوف نجد "الصناديق الأربعة" ونتزوج ونعيش سعيدين للأبد، ونشتري سيارة رولز رويس، وسيكون لدينا خدم وحمامات رخامية فاخرة. لكن لابد أن نصل إلى جزيرة مان في الحال".

٢

بعد مرور أربع وعشرين ساعة، كنا قد وصلنا إلى دوجلاس وقابلنا المحامين ووصلنا إلى منزل عمي ببلدة موجولد، وقابلنا السيدة سكيليكورن التي كانت تعمل مدبرة منزل لدى عمنا الراحل. كانت السيدة سكيليكورن امرأة صعبة المراس، لكنها لم تستطع الصمود أمام حماسة فينيلا.

قالت السيدة سكيليكورن: "كان لعمكما سلوكيات غريبة. كان يحب أن يجعل الجميع في حالة مستمرة من الحيرة والتخمين".

هتفت فينيلا قائلة: "لكن ماذا عن مفاتيح اللغز؟ ماذا عن المفاتيح؟".

تركت السيدة سكيليكورن الغرفة على نحو متأنٍ، كما كانت تفعل كل شيء. بعد دقائق، عادت وفي يدها ورقة صغيرة مطوية.

فتحنا الورقة بحماس فوجدنا شعرًا ركيكًا مكتوبًا بخط عمي السيئ.

للبوصلة أربعة اتجاهات
جنوب وغرب، شمال وشرق
والرياح الشرقية سيئة للإنسان والحيوان
توجهوا نحو الجنوب والغرب
توجهوا نحو الشمال وليس الشرق.

هتفت فينيلا قائلة: "يا إلهي".

وقلت أنا بالنبرة نفسها: "يا إلهي!".

ابتسمت السيدة سكيليكورن لنا بأسى.

قالت بعطف: "غير مفهوم، أليس كذلك؟".

قالت فينيلا بعجز: "لا أعرف من أين نبدأ".

قلت لها محاولًا التظاهر بالمرح: "البداية هي أصعب جزء دائمًا. بمجرد أن نبدأ سوف ... ".

ابتسمت السيدة سكيليكورن بكآبة أكثر من السابق. لقد كانت امرأة مثبطة للعزم.

قالت لها فينيلا في تملق: "ألا يمكنك أن تساعدينا؟".

"أنا لا أعرف شيئًا عن هذا الموضوع السخيف. إنه لم يثق بي، عمكما لم يثق بي. لقد أخبرته أن يضع أمواله في البنك، ولم يستمع إليَّ. لم أعرف ما الذي كان يخطط له".

سألتها فينيلا: "ألم يذهب إلى الخارج ومعه أربعة صناديق أو شيء من هذا القبيل؟".

أجابت السيدة سكيليكورن: "كلا، لم يفعل ذلك".

"ألا تعرفين متى خبَّأ تلك الأشياء، هل كان ذلك مؤخرًا أم منذ وقت طويل؟".

هزت السيدة سكيليكورن رأسها نافية.

قلت محاولًا أن أفهم: "يوجد احتمالان: إما أن الكنز مخبأ هنا في هذا المنزل، أو أنه مخبأ في أي مكان آخر بالجزيرة. هذا يعتمد على حجمه بالطبع".

خطرت فكرة ببال فينيلا فجأة، فقالت:

"هل لاحظت أي شيء مفقود؟ أقصد أي شيء من بين أشياء عمي؟".

أجابت السيدة سكيليكورن: "حسنًا، من الغريب أنك تقولين هذا الآن ...".

"هل لاحظت إذن؟".

"كما قلت، من الغريب أنك تقولين هذا الآن. كان لديه علب نشوق، لم أجد أربعة منهم على الأقل".

هتفت فينيلا قائلة: "أربعة منهم! لابد أنها الصناديق! إننا نسير في الاتجاه الصحيح. دعنا نذهب إلى الخارج ونبحث في الحديقة".

قالت السيدة سكيليكورن: "لن تجدي شيئًا هناك. كنت سأعرف لو خبَّأها عمك هناك".

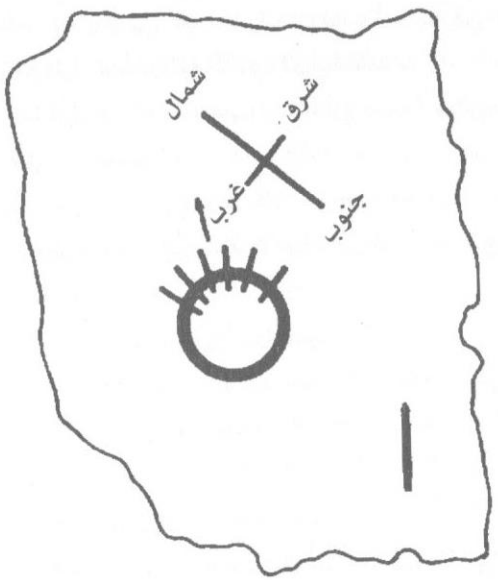

قلت: "لقد ذكر اتجاهات البوصلة. إن أول ما نحتاج إليه هو خريطة للجزيرة".

ردت السيدة سكيليكورن: "هناك خريطة على المكتب".

فتحتها فينيلا بحماس، فوقع شيء من الخريطة فالتقطته.

وقلت: "جميل! يبدو أننا وجدنا مفتاحًا آخر للغز".

فحصنا ذلك الشيء بحماس.

كان يبدو كخريطة من النوع البدائي، وكان هناك شكل يشبه علامة الزائد "+" ودائرة وسهم، وكان قد تم الإشارة إلى الاتجاهات، لكنها لم تكن واضحة، فتفحصنا الخريطة في صمت.

قالت فينيلا: "إنها ليست واضحة، أليس كذلك؟".

قلت: "من الطبيعي أن تتطلب الكثير من التفكير؛ فنحن لا نتوقع أن يقفز الكنز أمام أعيننا".

قاطعتنا السيدة سكيليكورن باقتراحها لتناول العشاء، ووافقنا على ذلك بامتنان.

قالت فينيلا: "وهل يمكن أن تحضري لنا بعض القهوة من فضلك؟ الكثير من القهوة، ولتكن قهوة ثقيلة".

أحضرت السيدة سكيليكورن لنا وجبة ممتازة ثم أحضرت لنا إبريقًا كبيرًا من القهوة.

قالت فينيلا: "يجب أن ندرسها بعناية".

قلت: "أول شيء هو الاتجاه، يبدو أنه يشير إلى شمال شرق الجزيرة".

قالت فينيلا: "يبدو هذا. دعنا ننظر إلى الخريطة".

تفحصنا الخريطة بعناية.

قالت فينيلا: "الأمر يعتمد على كيفية فهمك الشيء، هل تشير علامة "+" إلى الكنز؟ أم تشير إلى إحدى دور

العبادة أو شيء من هذا القبيل؟ يجب أن يكون هناك قواعد نسير عليها!".

قلت لها: "من شأن هذا أن يجعل الأمر أسهل من اللازم".

قالت: "نعم أوافقك الرأي. لماذا توجد هذه الخطوط الصغيرة على أحد جوانب الدائرة، ولا توجد على الجانب الآخر منها؟".

أجبتها: "لا أعرف".

قالت فينيلا: "هل هناك أي خرائط أخرى في أي مكان؟".

كنا نجلس في المكتبة؛ حيث كانت توجد العديد من الخرائط الممتازة، ويوجد أيضًا بعض الكتب الإرشادية التي تصف الجزيرة، وكان هناك كتاب عن التراث الشعبي للجزيرة وكتاب آخر عن تاريخها. قرأناها جميعًا.

وفي نهاية الأمر، استطعنا تكوين نظرية محتملة.

قالت فينيلا أخيرًا: "يبدو هذا منطقيًّا. أقصد أن الاثنين معًا يمثلان تزامنًا لا يمكن تكراره في أي مكان آخر".

قلت: "إنها تستحق المحاولة على كل حال. لا أعتقد أننا سنستطيع أن نفعل شيئًا الليلة. أول ما علينا فعله غدًا هو تأجير سيارة والانطلاق لتجربة حظنا".

قالت فينيلا: "لقد صرنا بالغد فعلًا، إنها الواحدة والنصف صباحًا الآن! هل تتخيل ذلك؟".

٣

بحلول الصباح، كنا قد انطلقنا في طريقنا. قمنا بتأجير سيارة لمدة أسبوع، وخططنا أن نقوم بقيادتها بأنفسنا. كانت معنويات فينيلا ترتفع تدريجيًّا بمرور كل كيلومتر نقطعه.

قالت فينيلا: "لو لم يكن هناك اثنان آخران يبحثان عن الكنز أيضًا، لكنا حظينا بالكثير من المرح. كان سباق الخيول يقام هنا في البداية، أليس كذلك؟ قبل أن يتم نقله إلى مدينة إبسوم. من الغريب أن أفكر في هذا الآن!".

أشرت إلى أحد البيوت الريفية وقلت:

"لابد أن هذا هو المكان الذي يقال إن فيه ممرًا سريًّا يمر من تحت البحر باتجاه الجزيرة".

قالت فينيلا: "ممتع! أنا أحب الممرات السرية، ألا تحبها كذلك؟ يا إلهي! خوان، لقد اقتربنا كثيرًا. أنا متحمسة للغاية. أتمنى أن نكون على صواب!".

بعد خمس دقائق تركنا السيارة وترجلنا.

قالت فينيلا بصوت مرتجف: "كل شيء في مكانه الصحيح".

استمررنا في السير.

"ستة منها، هذا صحيح. الآن نحن بين هذين الاثنين، هل معك البوصلة؟".

بعد مرور خمس دقائق، كنا نقف بمواجهة بعضنا وملامح الفرحة المرتابة تبدو على وجوهنا، وداخل راحة يدي الممدودة علبة من النشوق.

لقد نجحنا!

بمجرد عودتنا إلى المنزل في موجولد أخبرتنا السيدة سكيليكورن أن الرجلين الآخرين قد وصلا. غادر أحدهما، لكنّ الآخر كان في المكتبة.

فور دخولنا الغرفة، نهض الرجل الطويل ذو البشرة البيضاء والوجه شديد الاحمرار من كرسيه مبتسمًا:

"السيد فاراكير والآنسة ميلتشيرين؟ تشرفت بمقابلتكما. أنا ابن عمكما البعيد دكتور فاييل. إنها لعبة مسلية أليس كذلك؟".

كانت طريقته متحضرة وجذابة، لكنني لم أحبه منذ البداية. شعرتُ بشكل ما أن هذا الرجل خطير. كانت طريقته مهذبة أكثر من اللازم وكانت عيناه لا تقابل عين الشخص الذي أمامه أبدًا.

قلت: "أخشى أن لديَّ أخبارًا سيئة لك. لقد وجدت أنا والآنسة ميلتشيرين أول "كنز" بالفعل".

تقبل الأمر بمنتهى البساطة، وقال:

"هذا سيئ للغاية، سيئ للغاية. هناك شيء غريب بخصوص الخطابات التي تصل من هنا. لقد بدأنا أنا وبارفورد للتوّ".

لم نجرؤ أن نعترف بحيلة العم مايلز.

قالت فينيلا: "على كل حال سوف نبدأ جميعًا من النقطة نفسها في الجولة الثانية".

قال الرجل: "رائع! ما رأيكم في مطالعة مفاتيح اللغز حالًا؟ أعتقد أنها بحوزة السيدة سكيليكورن، أليس كذلك؟".

هتفت فينيلا بسرعة قائلة: "لابد أن ننتظر السيد كورجيج، كي نكون عادلين تجاهه".

فأجابها الرجل: "هذا صحيح، لقد نسيت، لابد أن نصل إليه في أسرع وقت. سوف أعتني بهذا الأمر. لابد أنكما متعبان وتريدان أن تستريحا".

عند ذلك رحل الدكتور فاييل. لابد أنه وجد صعوبة في البحث عن إيوان كورجيج؛ لأنه لم يعد إلا في حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً. اقترح فاييل أن يعود مع إيوان إلى المنزل في موجولد في العاشرة صباح اليوم التالي، حتى تستطيع السيدة سكيليكورن أن تعطيهم مفاتيح اللغز.

قالت فينيلا: "هذا مناسب للغاية. العاشرة صباح الغد".

ثم ذهبنا إلى الفراش متعبين لكن سعداء.

٤

في الصباح التالي أيقظتنا السيدة سكيليكورن، وكانت متوترة للغاية بعكس ذلك الهدوء الشديد الذي اعتادت الظهور به.

وقالت لاهثة: "خمنوا ما حدث، لقد تم اقتحام البيت".

هتَفتُ في ريبة: "لصوص؟ هل أخذوا أي شيء؟".

أجابت: "لا شيء على الإطلاق، وهذا هو الأمر الغريب! لا شك أنهم كانوا يبحثون عن الفضة، لكن نظرًا إلى أن الباب كان موصدًا من الخارج، لم يستطيعوا التقدم أكثر من ذلك".

ذهبت أنا وفينيلا بصحبة السيدة سكيليكورن إلى موقع الأحداث، والذي كان هو غرفة الصالون الخاصة بها. كان من الواضح أنه تم اقتحام النوافذ، لكن لم يبدُ أنهم أخذوا أي شيء. كان الوضع غريبًا.

قالت فينيلا: "لا أعرف ما الذي كانوا يبحثون عنه".

وافقتها مازحًا: "إن الأمر يبدو وكأن "صندوق الكنز" مخبأ هنا في البيت". ثم خطرت فجأة ببالي فكرة؛ فالتفت إلى السيدة سكيليكورن، وقلت لها: "أين مفاتيح اللغز التي كنت ستعطينها لنا هذا الصباح؟".

أجابت: "إنها في ذلك الدرج الأعلى". ثم اتجهت إلى الدرج وفتحته وقالت: "يا إلهي! لا يوجد شيء هنا، لقد اختفت مفاتيح اللغز!".

قلت: "إن من فعل ذلك ليسوا لصوصًا، إنهم أقاربنا المحترمون!" تذكرت تحذير العم مايلز من انعدام ضميرهما. من الواضح أنه كان محقًا. يا لها من خدعة قذرة!".

قالت فينيلا فجأة مشيرةً بإصبعها: "استمع! ما هذا الصوت؟!"

جاء الصوت واضحًا. كان صوت أنين يأتي من الخارج. اتجهنا جميعًا إلى النافذة وانحنينا لنلقي نظرة. كانت بعض الشجيرات قد نمت خارج هذا الجانب من المنزل فلم نستطع أن نتبين شيئًا، لكننا سمعنا الأنين مرةً أخرى وبدا واضحًا أن تلك الشجيرات قد تم سحقها.

أسرعنا إلى الأسفل ثم إلى خارج المنزل. كان أول ما وجدناه هو سلم مقلوب، من الواضح أن اللصوص استخدموه للوصول إلى النافذة. كان هناك رجل مستلقٍ على الأرض على بعد خطوات.

كان شابًا أسمر اللون، وكان من الواضح أنه مصاب بشدة؛ حيث كانت توجد بركة من الدم تحيط برأسه، انحنيت بجانبه وقلت:

"لابد أن نحضر طبيبًا في الحال. أخشى أن يموت".

ذهب البستاني إلى إحضار الطبيب بسرعة. وضعت يدي في الجيب العلوي لذلك الشخص، فوجدت دفتر جيب عليه الحرفين الأولين التاليين "إ. ك".

قالت فينيلا: "إيوان كورجيج".

فتح الرجل عينيه وقال بوهن: "لقد وقعت من على السلم ..."، ثم فقد الوعي مرة أخرى.

كان هناك صخرة كبيرة ملطخة بالدم ملقاة بجانبه.

قلت: "إن الأمر واضح. لقد انزلق السلم فوقع فاصطدمت رأسه بالصخرة، وكأنها كانت تنتظره. يا له من مسكين!".

قالت فينيلا بنبرة غريبة: "هل تعتقد هذا؟".

في هذه اللحظة وصل الطبيب، لم يكن لديه أمل كبير في شفاء إيوان. تم نقله إلى المنزل وأرسل في طلب ممرضة لتعتني به. لم يكن هناك ما يمكن أن نفعله، وكان من المتوقع أن يموت إيوان في غضون ساعات.

أرسل إيوان في طلبنا فجلسنا بجانب فراشه. فتح إيوان عينيه، بينما كانت رموشه تتحرك في اضطراب شديد.

قلت: "نحن خوان وفينيلا أبناء عمك، هل يوجد ما نستطيع فعله من أجلك؟".

هزَّ رأسه بوهن نافيًا، وهمس بشيء فانحنيت لأسمعه.

قال: "هل تريدان مفتاح اللغز؟ لقد انتهى أمري، لا تدعوا فاييل يظفر به".

قالت فينيلا: "نعم، فلتخبرني".

ظهرت على وجهه ابتسامة خافتة، ثم قال باللغة الأسكتلندية: "هل تعرفان ...".

وفجأة مال رأسه ولفظ أنفاسه الأخيرة.

٥

قالت فينيلا فجأة: "لست مقتنعة بهذا الكلام".

قلت: "لستِ مقتنعة بماذا؟".

أجابتني: "اسمع يا خوان. لقد سرق إيوان مفاتيح اللغز، حيث اعترف أنه وقع من فوق السلم. لكن أين هي؟ لقد رأينا جميع محتويات جيوبه. ووفقًا لما قالته السيدة سكيليكورن، كان هناك ثلاثة أظرف مغلقة وقد اختفت جميعها".

قلت لها: "ماذا تعتقدين إذن؟".

"أعتقد أن شخصًا آخر كان هناك، شخصًا ما قد هز السلم ليقع إيوان. وتلك الصخرة، لم يقع عليها أبدًا. لقد جلبها أحدهم من مكان بعيد، لقد وجدت العلامة التي تركها في المكان الذي كان يوجد فيه. لقد ضربه أحدهم بهذه الصخرة على رأسه".

"لكن هذه جريمة قتل يا فينيلا!".

قالت فينيلا، وقد بدا وجهها شاحبًا: "نعم، جريمة قتل. لاحظ أن الدكتور فاييل لم يظهر في العاشرة صباحًا مثلما اتفقنا، أين هو؟".

قلت لها: "هل تعتقدين أنه القاتل؟".

أجابت: "نعم، إن هذا الكنز يعني الحصول على الكثير من المال يا خوان".

قلت: "والآن ليس لدينا أدنى فكرة عن المكان الذي قد نجده فيه. من السيئ أن كورجيج لم يستطع إكمال جملته".

قالت: "هناك شيء ما قد يساعدنا، لقد وجدت هذا في يده".

وناولتني فينيلا صورة فوتوغرافية ممزقة.

قالت: "أعتقد أنها أحد مفاتيح اللغز، لقد انتزعها القاتل لكنه لم يدرِ أنه ترك بعضها. ليتنا نستطيع أن نجد نصفها الآخر".

قلت: "لكي نفعل هذا، لابد أن نجد الكنز الثاني. دعينا نفحص هذا الشيء".

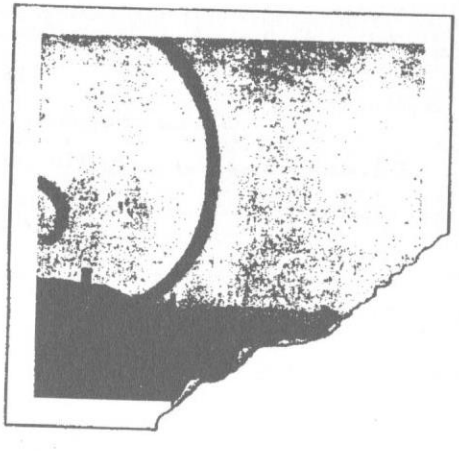

قلت: "لا شيء واضح على الإطلاق. هذا يبدو مثل برج في وسط دائرة، لكن من الصعب أن نتعرف عليه".

أومأت فينيلا برأسها موافقة وقالت:

"إن النصف المهم هو الذي بحوزة الدكتور فاييل. إنه يعرف أين يجب أن نبحث. لابد أن نجد هذا الرجل ونراقبه يا خوان. بالطبع لن نتركه يعرف أننا نشك في أمره".

"إني لأتساءل عن مكانه الآن في الجزيرة. ليتنا كنا نعرف مكانه ...".

خطر ببالي ذلك الرجل الذي تُوفي منذ قليل، ثم وقفتُ فجأة في حماس وقلت:

"هل كان كورجيج أسكتلنديًا يا فينيلا؟".

"لا، بالطبع لا".

"إذن، ألم تفهمي ما كان يقصد؟".

أجابت: "كلا".

كتبتُ شيئًا بسرعة على قصاصة ورقية وناولتها إياها.

"ما هذا؟".

"هذا اسم شركة قد تساعدنا".

"بيلمان أند ترو. من هما؟ هل هما محاميان؟".

"كلا، ولكنهما سيفيداننا أكثر من المحامين، إنهما محققان خصوصيان".

ثم بدأتُ في الشرح.

٦

قالت السيدة سكيليكورن: "لقد جاء الدكتور فاييل ليقابلكما".

أخذنا ننظر إلى بعضنا. كان قد مر أربع وعشرون ساعة، وعدنا من رحلة التنقيب محققين نجاحًا كبيرًا للمرة الثانية. لم نُرد أن نجذب الانتباه لوجودنا؛ فذهبنا في رحلة إلى جبل سنيفيل في إحدى العربات التي تجرها الخيول.

تمتمت فينيلا قائلة: "إني أتساءل إن كان يعرف أننا رأيناه من بعيد".

"إنه أمر استثنائي. لم نكن نستطيع أن نصل إلى هذا الأمر لولا ذلك التلميح الذي أعطته لنا هذه الصورة ...".

"اصمت، وكن حذرًا يا خوان. لابد أنه غاضب لأننا تفوقنا عليه برغم كل شيء".

لكن لم يبد على دكتور فاييل أي من هذا. دلف إلى الغرفة بطريقته المهذبة الساحرة؛ فبدأت أفقد اليقين في نظرية فينيلا.

قال فاييل: "يا لها من مأساة! كورجيج المسكين. أعتقد أنه كان يحاول أن يسرق منا مفاتيح اللغز. لكنَّ العقاب جاء سريعًا. حسنًا، نحن نعرفه بصعوبة، يا له من مسكين! لابد أنكما تتساءلان لماذا لم أحضر في الصباح كما اتفقنا. لقد وصلتني رسالة مزيفة. أعتقد أن كورجيج هو الذي أرسلها. جعلتني هذه الرسالة أذهب في مطاردة بلا فائدة حول الجزيرة، والآن قد عدتما إلى البيت سعداء مرة أخرى. كيف تنجحون في القيام بذلك؟".

لاحظت أن هناك نبرة تساؤل متلهفة في صوته.

قالت فينيلا: "من حسن الحظ أن ابن عمنا إيوان استطاع أن يتكلم قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة".

كنت أراقب الرجل، وأقسم على أنني رأيت الرعب في عينيه حينما قالت فينيلا هذه الكلمات.

قال: "ما ... ماذا. ماذا قلت؟".

ردت فينيلا: "لم يستطع إلا أن يعطينا مفتاح اللغز الموصل إلى الكنز".

"نعم! فهمت، فهمت. لم أكن أعرف شيئًا عن هذا. من الغريب أنني كنت في الجزء نفسه من الجزيرة. لابد أنكما رأيتماني أتجول هناك".

قالت فينيلا معتذرة: "كنا مشغولين للغاية".

"بالطبع، بالطبع، لابد أنكما وجدتما الكنز بالصدفة. أنتما محظوظان، أليس كذلك؟ حسنًا، ما الخطوة التالية؟ هل ستعطينا السيدة سكيليكورن المفاتيح الجديدة لحل اللغز؟".

لكن المجموعة الثالثة من مفاتيح اللغز كانت بحوزة المحامين، فاتجه ثلاثتنا إلى مكتب المحامي؛ حيث أعطونا الأظرف المغلقة.

كان المحتوى بسيطًا: خريطة مشار فيها إلى منطقة معينة مصحوبة بورقة الإرشادات.

لقد صنع هذا المكان تاريخًا في الثمانينات من القرن التاسع عشر.

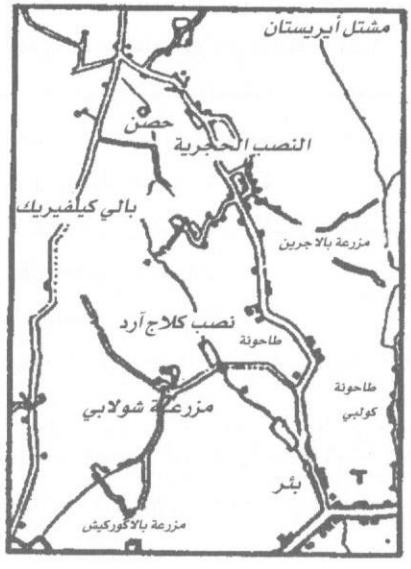

عشر خطوات من المَعلَم
ناحية الشرق، ثم عشر خطوات أخرى
ناحية الشمال، قف هناك
وانظر إلى الشرق، سوف ترى شجرتين
على مرمى البصر، إحداهما كانت
مقدسة في الجزيرة، ارسم
دائرة على بعد خمسة أقدام من شجرة الكستناء الإسبانية
انظر إلى الأسفل، خذ جولة. انظر جيدًا. سوف تجد الكنز.

علق الدكتور قائلًا: "يبدو أن المنافسة ستحتدم بيننا اليوم".

وإمعانًا في سياسة التظاهر بالصداقة التي كنت أتبعها معه، عرضت عليه أن نصطحبه معنا في السيارة، فوافق. تناولنا الغداء في قرية بورت إيرين ثم بدأنا البحث.

كنت أفكر في السبب الذي جعل عمي يترك تلك المجموعة من مفاتيح اللغز بالذات بحوزة محاميه. هل كان يتوقع أن تحدث سرقة؟ وهل قرر أنه لا يجب أن يقع في يد السارق أكثر من مجموعة واحدة من مفاتيح اللغز؟

لم يكن البحث عن الكنز سهلًا، كانت منطقة البحث محدودة، وكنا نرى بعضنا طوال الوقت. تبادلنا نظرات مرتابة مع دكتور فاييل، وكان كل منا يحاول أن يحدد ما إذا كان الآخر قد تفوق عليه أو خطرت بباله فكرة.

قالت فينيلا: "كل هذا جزء من خطة العم مايلز، لقد أرادنا أن نشاهد بعضنا ونعاني عذاب الظن أن الشخص الآخر سوف يصل إلى الكنز قبلنا".

قلت: "دعينا ننظر إلى الأمر بصورة علمية، إن لدينا أحد مفاتيح اللغز وهو المكان الذي يجب أن نبدأ به. لقد صنع هذا المكان تاريخًا في الثمانينات من القرن التاسع عشر. ابحثي في المرجع الذي أحضرناه معنا لنرى إن كنا نستطيع إيجاد هذا المكان. بمجرد أن نصل هناك سوف ...".

قاطعتني فينيلا قائلة: "إنه يبحث في سياج الأشجار، يا إلهي! لا أستطيع أن أتحمل هذا. إن وصل إلى الكنز قبلنا فسوف ...".

قلت لها بحزم: "انتبهي لما أقول، لا يوجد إلا طريقة واحدة للبحث، وهي الطريقة الصحيحة".

ردت فينيلا قائلة: "لا يوجد سوى عدد قليل من الأشجار على الجزيرة فأبسط طريقة هي البحث عن شجرة الكستناء".

بحثنا ساعة كاملة وبدأنا نشعر بالحر وباليأس، لقد كان يعذبنا طوال الوقت الخوف من أن ينجح فايل بينما نفشل نحن".

قلت: "أتذكر أنني قرأت في رواية بوليسية كيف قام شخص بوضع ورقة في حوض من الحمض ثم بدأت كلمات أخرى في الظهور".

"هل تعتقد هذا؟ لكننا لا نمتلك حوضًا من الحمض!".

"لا أعتقد أن العم مايلز كان يتوقع منَّا خبرة بمجال الكيماويات، لكنَّ الحرارة العادية قد تجدي نفعًا".

تسللنا إلى أحد أركان السياج وبعد دقيقة أو دقيقتين أشعلت بعض فروع الأشجار. قربت الورقة من الشعلة بقدر الإمكان. بدأت بعض الحروف تظهر أسفل الورقة على الفور. لم يكن هناك سوى كلمتين.

قرأتها فينيلا بصوت عالٍ: "محطة كيرك هيل".

في هذه اللحظة جاء الدكتور فايل إلى هذا الركن. لم أعرف ما إذا كان قد سمع هاتين الكلمتين أم لا، لكن لم يظهر عليه أي شيء.

قالت فينيلا عندما ابتعد: "لكن يا خوان، ليس هناك محطة بهذا الاسم هنا!"، وكانت ترفع الخريطة وهي تتحدث.

قلت وأنا أتفحص الخريطة: "كلا، لكن انظري هنا".

قمت برسم خط على النقطة بقلم رصاص.

"بالطبع! وفي مكان ما على هذا الخط ...".

"بالضبط".

"أتمنى لو كنا نعرف النقطة بالتحديد".

كانت هذه المرة الثانية التي تخطر فيها ببالي فكرة.

هتفت قائلًا: "نحن نعرف!" والتقطت القلم مرة أخرى وقلت: "انظري!".

صرخت فينيلا في اندهاش قائلة:

"يا للغباء! ويا للروعة كذلك! يا لها من خدعة! إن العم مايلز كان رجلًا حاذقًا حقًا!".

٧

كان الوقت قد حان للحصول على المفتاح الأخير للغز، لكنَّ المحامي أخبرنا أنه ليس بحوزته، وأنه من المفترض أن يتم إرساله إلينا عند استلام بطاقة بريدية سيرسلها هو، ولم يطلعنا على أكثر من هذا.

لكن لم يصل شيء في الوقت المحدد من الصباح؛ فظللت أنا وفينيلا في عذاب، ظانين أن فاييل قد تمكن بطريقة ما من اعتراض طريق الخطاب. لكن في اليوم التالي، تبدد خوفنا وفهمنا السر حينما وصلتنا الرسالة التالية التي كانت مكتوبة بخط رديء للغاية:

"عزيزي / عزيزتي،

أعتذر عن التأخير، فقد ظللت في حيرة من أمري لمدة ست أو سبع ساعات قبل كتابة هذه الرسالة، لكنني أرسل لكما هذه الورقة كما طلب مني السيد ميلتشيرين، لقد ظلت تلك الورقة مع عائلتي لسنوات، لكنني لا أدري لماذا كان يريدها، شكرًا.

ماري كيريش".

قلت: "إن الختم البريدي يشير إلى عائلة تسمى عائلة براید. الآن دعينا نرَ تلك "الورقة التي ظلت مع عائلتها لسنوات!".

على صخرة، سوف ترى العلامة.

أخبرني ما هو المغزى من هذا؟

حسنًا، ماذا يمكن أن يعنيه هذا؟ أولًا حرف (أ)

بالقرب منها سوف تجد فجأة، النور

الذي تبحث عنه. ثم حرف (ب). منزل. كوخ من الجدران وسقف من القش.

ثم ممر متعرج بالقرب منه. هذا كل شيء.

قالت فينيلا: "ليس من العدل أن يكون أول ما نبدأ به صخرة، هنالك صخور في كل مكان. كيف سنجد الصخرة التي عليها علامة؟".

قلت: "إذا استطعنا تحديد المنطقة فسوف يكون من السهل أن نجد الصخرة. لابد أن عليها علامة تشير إلى اتجاه معين، وفي ذلك الاتجاه سوف يكون هناك شيء مدفون يلقي الضوء على مكان الكنز".

قالت فينيلا: "أعتقد أنك محق".

"هذا هو المكان الذي يُرمز إليه بالرمز (أ)، وسوف يعطينا المفتاح الجديد للغز إشارة عن المكان الذي يرمز إليه بالرمز (ب)، وهو الكوخ الذي يجب علينا أن نجده، أما الكنز نفسه فهو مدفون أسفل ممر بجانب الكوخ، لكن من الواضح أن علينا أن نجد المكان (أ) أولا".

نظرًا إلى صعوبة الخطوة الأولى، بدا أن حل اللغز الأخير للعم مايلز يمثل مشكلة عويصة. وكان يقع على عاتق فينيلا مهمة حل هذه المشكلة، لكنها لم تصل إلى شيء لحوالي أسبوع. كنا نرى فاييل يبحث - من وقت لآخر - في المناطق الصخرية التي بحثنا فيها. لكن المنطقة كانت شاسعة.

اكتشفنا السر أخيرًا في ساعة متأخرة من الليل. أخبرت فينيلا أن الوقت متأخر للغاية لكي نبدأ بالمكان المحدد، لكن فينيلا لم توافق.

فقالت: "ماذا إذا وجده فاييل أيضًا؟ ماذا إذا انتظرنا حتى الصباح وبدأ هو الليلة؟ سوف نعض أصابع الندم!".

فجأة خطرت ببالي فكرة رائعة.

قلت: "هل ما زلت تعتقدين أن فاييل هو الذي قتل إيوان كورجيج يا فينيلا؟".

"نعم".

"إذن أعتقد أن هذه فرصتنا لكي نعيد جريمته إلى الساحة مرة أخرى".

قالت: "هذا الرجل يجعلني أرتجف، إنه بغيض. أخبرني كيف نفعل ذلك؟".

قلت: "نعلن أننا وجدنا المكان "أ" ثم نذهب، أنا متأكد أنه سيتبعنا، إنه مكان مقفر تمامًا، بالضبط كما يريد. سوف يكشف عن نفسه إذا تظاهرنا بأننا وجدنا الكنز".

"ثم ماذا نفعل بعد ذلك؟".

قلت: "سيجد مفاجأة صغيرة بانتظاره".

٨

كان الوقت قد اقترب من منتصف الليل، كنا قد تركنا السيارة على مسافة ما وكنا نزحف بجانب حائط، كانت فينيلا تحمل كشافًا قويًا تستخدمه، بينما كنتُ أحمل مسدسًا. لم أدع مجالًا للصدفة.

فجأة توقفت فينيلا وأطلقت صرخة خافتة.

هتفت فينيلا قائلة: "انظر يا خوان، لقد وجدناه أخيرًا".

لم أكن منتبهًا للحظة، لكنني وبطريقة غريزية استدرت للخلف، لكن كان الأوان قد فات، وقف فاييل على بعد ست خطوات موجهًا مسدسه إلينا.

قال: "مساء الخير، إن هذا الكنز يخصني، هلاَّ ناولتني إياه من فضلك".

سألته: "هل تريدني أن أناولك شيئًا آخر كذلك؟ صورة فوتوغرافية ممزقة وجدناها في يد رجل ميت؟ أعتقد أن نصفها الآخر معك".

ارتعشت يد فاييل وتمتم قائلًا: "عمَّ تتحدث؟".

قلت: "لقد كشفنا الحقيقة. لقد كنت مع كورجيج لكنك حركت السلم بعيدًا حتى يقع ثم هشمت رأسه بالحجر. إن الشرطة أذكى مما تتخيل يا دكتور فاييل".

"هل يعرفون حقًا؟ إذن أقسم أنني سوف أشنق من أجل ثلاث جرائم قتل بدلًا من واحدة".

صرخت في فينيلا قائلًا: "انخفضي يا فينيلا"، وفي اللحظة نفسها دوى صوت مسدسه.

هبط كلانا واختبأنا وسط نبات الخلنج وقبل أن يطلق فاييل النار مرة أخرى، بادره رجال كانوا مختبئين وراء الجدار، وفي غضون لحظات كانوا قد كبلوا فاييل بالقيود وأخذوه بعيدًا.

أمسكت بفينيلا بين ذراعي.

قالت فينيلا مرتجفة: "كنت متأكدة".

هتفت قائلًا: "حبيبتي، لقد كان الأمر خطيرًا للغاية، كان من الممكن أن يطلق عليك النار".

أجابت قائلة: "لكنه لم يفعل، والآن نحن نعرف مكان الكنز".

"حقًا؟"

"نعم، انظر..." وقامت بكتابة كلمة على نحو سريع ثم قالت: "سوف نبحث عنه غدًا، لا أعتقد أن هناك أماكن كثيرة لتخبئة كنز هناك".

٩

كان الوقت يقترب من الظهيرة حينما قالت فينيلا برقة:

"لقد وجدته! الصندوق الرابع، معنا الصناديق الأربعة الآن. لابد أن العم مايلز سعيد، أما الآن ...".

قلتُ: "الآن نستطيع أن نتزوج ونعيش سعداء للأبد".

ردت فينيلا قائلةً: "سوف نعيش في جزيرة مان".

قلت: "على ذهب جزيرة مان"، ثم ضحكنا مقهقين في سعادة غامرة.

نبذة عن القصة

كان خوان وفينيلا ابنَيْ عمومة، ويشبهان إلى حد كبير المحققين الاستثنائيين تومي وتوبينس بيريسفورد اللذين ظهرا في رواية *شركاء في الجريمة** (١٩٢٩)، وعدة روايات لاحقة، كما أنهما يشبهان كذلك "المحققين" الشباب الذين ظهروا في القصص البوليسية الأولى لكريستي مثل *سر جريمة تشيمنيز** (١٩٢٥) وقصة *لماذا لم يسألوا إيفانز؟** (١٩٣٤). في الحقيقة - وكما حدث في القصة - كان "الكنز" عبارة عن أربعة صناديق من النشوق، كل منها في حجم علبة الثقاب، وقد احتوى كل صندوق على عملة لجزيرة تعود إلى القرن الثامن عشر، وقيمتها نصف قرش، وكان بكل عملة فجوة رُبِط فيها شريط ملون طويل، كما احتوى كل صندوق على وثيقة مطوية بعناية، مزخرفة بحبر هندي ومُوقعة من قبل ألديرمان كروكال، وقد وجهت الإرشادات بهذه الورقة مكتشفي الكنز إلى أن يذهبوا فورًا إلى الموظف بمبنى البلدية في دوجلاس، عاصمة جزيرة مان ويخبروه بأنهم قد وجدوا الكنز، كما تم توجيه المكتشفين بأن يحضروا وبحوزتهم الصناديق ومحتوياتها ليستلموا جائزة قدرها ١٠٠ جنيه إسترليني (المكافأة التي تساوي حوالي ٣٠٠٠

* متوافر لدى مكتبة جرير

جنيه إسترليني اليوم). كان على المكتشفين كذلك أن يحضروا إثبات شخصية؛ لأن زائري الجزيرة فقط هم الذين يسمح لهم بالبحث عن الكنز، وكان محظورًا على ساكني الجزيرة الاشتراك في اللعبة.

"من يمتلك أي قدر من الذكاء يستطيع أن يجد الكنز"

كان الهدف الوحيد من مفتاح اللغز الأول في قصة "ذهب جزيرة مان" هو الشِّعر الذي كان يبدأ بـ "للبوصلة أربعة اتجاهات"، والذي تم نشره في جريدة ديلي ديسباتش في يوم السبت الموافق ٣١ من شهر مايو، وهو الإشارة إلى أن الكنوز الأربعة الموجودة في شمال الجزيرة وجنوبها وغربها وليس شرقها. كان السبيل إلى موقع الصندوق الأول في الحقيقة هو مفتاح اللغز الثاني وهو الخريطة التي نُشرت في السابع من شهر يونيو. لكنَّ أحدهم كان قد وجد الكنز بالفعل بحلول هذا التاريخ؛ لأن القصة احتوت على مفاتيح لغز كافية لموقع الكنز. وجد الكنز الأول وليام شو، وكان يعمل خياطًا، وقد أتى من مدينة إينفيرنيس. ولقد كتبت عنه الصحف المحلية أنه احتفل بالكنز عن طريق الجري بحركة دائرية ملوحًا بالصندوق في الهواء "بينما وقفت زوجته عاجزة عن الكلام لدقائق من فرط الإثارة!".

كان أهم مفتاح للغز هو الملاحظة التي قالتها فينيلا عن أن مكان الكنز كان بالقرب من "المكان الذي كان يُقام فيه سباق الخيول ... قبل أن يُنقل إلى مدينة إبسوم". كانت هذه إشارة

إلى سباق الخيول الإنجليزي المشهور، الذي كان يُقام في قرية ديربي هيفين، جنوب شرق جزيرة مان. كانت تلك الجزيرة "القريبة" - التي يمر بها "ممر سري" يُشاع أنه يبدأ من بيت ريفي - هي جزيرة سانت مايكل، وبالإضافة إلى وجود دار عبادة سانت مايكل الصغيرة التي تعود إلى القرن الثاني عشر على الجزيرة، يوجد كذلك قلعة حجرية مستديرة تعرف بحصن ديربي فورت، الذي اكتسبت منه الجزيرة اسمها البديل وهو جزيرة فورت. "الاثنان معًا يمثلان تزامنًا لا يمكن تكراره في أي مكان آخر". أُشير إلى القلعة في الخريطة بدائرة بها ستة خطوط تشير إلى المدافع التاريخية الستة "ستة منها" في القلعة، كما تمت الإشارة إلى دار العبادة بالرمز "+".

كان صندوق النشوق القصديري الصغير مخبئًا على حافة صخرية في اتجاه الشمال الشرقي بين مدفعين، "الآن نحن بين هذين الاثنين، هل معك البوصلة؟"، بينما كان اقتراح خوان الأولي بأن مفتاح اللغز "يشير إلى شمال شرق الجزيرة" هو مجرد تمويه.

"أسهل من اللازم"

كان الصندوق الثاني مصنوعًا من العاج وقد وجده ريتشارد هايتون، الذي كان يعمل عامل بناء، وكان قد قدم من مقاطعة لانكشر في التاسع من يونيو، كما قالت فينيلا للدكتور فاييل القاتل. إن كلمات إيوان كورجيج الأخيرة كانت "هل تعرفون ..." تلك الكلمات التي كانت هي المفتاح لمكان الكنز.

في الحقيقة، هذه الكلمات هي الكلمات الافتتاحية لأغنية جون بيل الإنجليزية التقليدية التي تتحدث عن صياد من مقاطعة كمبريا، وقد اعتقد خوان أن "بيلمان أند ترو" هو اسم شركة بإمكانها مساعدتنا" ولم يكن يشير إلى "شركة المحاماة بمدينة دوجلاس" المشار إليها في أول القصة لكنها تشير إلى اسم كلبين ذكرهما جون بيل في الأغنية، وهكذا وبمساعدة هذه المفاتيح لم يكن من الصعب التعرف على "الصورة الممزقة" التي نشرت في التاسع من يونيو، وأشارت إلى أطلال قلعة بيل المنتمية إلى القرن الرابع عشر في جزيرة سانت باتريك، كما أن الخطوط المنحنية على الطرف الأيسر للصورة كانت تشير إلى الزخارف الموجودة على مقعد في تل بيل بمواجهة القلعة، والذي خُبئ تحته الصندوق. كانت الرحلة إلى جبل سنيفيل، أعلى قمة في جزيرة مان، مجرد تمويه.

"لابد أنكما وجدتما الكنز بالصدفة".

أما "الكنز" الثالث، فقد وجده السيد هيربرت إليوت، مهندس السفن الذي ولد في جزيرة مانكس وعاش في ليفربول. وقد ادعى السيد إليوت لاحقًا أنه لم يقرأ قصة "ذهب جزيرة مان"، ولم يدرس مفاتيح اللغز، بل مرَّ بالنقطة الصحيحة في صباح الثامن من يوليو، ولمح صندوق النشوق مخبئًا في مجرى صخري.

كان مفتاح اللغز الرئيس لموقع الكنز في المفتاح الرابع الذي نُشر في الرابع عشر من يونيو، وهو الأبيات التي تبدأ بـ

"لقد صنع هذا المكان تاريخًا في الثمانينات من القرن التاسع عشر"، والذي أشارت فيه الكلمة الثانية من كل سطر إلى الرسالة:

٨٥ خطوة شمال شرق الدائرة المقدسة عند النتوء الصخري سبانش هيد.

كانت "الدائرة المقدسة" تُشير إلى دائرة ميل على تل مَل، وهو النصب التذكاري الحجري الواقع على مسافة أطول قليلًا من كيلومتر من النتوء الصخري سبانش هيد، وهي أبعد نقطة في الجزيرة من ناحية الجنوب. لم تكن الإشارة إلى الحدث المهم في "عام ٨٥" ولا شجرة الكستناء الإسبانية، والتي ثبت أنها ضللت الكثير من الباحثين، سوى إشارات تمويهية. أما بالنسبة لمحطة "كيرك هيل"، التي تحدث عنها خوان، فقد صح قول فينيلا عنها بأنها ليست موجودة. لكن كانت هناك قرية تسمى قرية كيرك هيل وكان هناك أيضًا محطة قطار في ميناء إيرين، حيث تناول خوان وفينيلا الغداء فيها قبل أن يذهبا إلى رحلة البحث. وإذا رسم أحدهما خطًا مستقيمًا من قرية كيرك هيل إلى ميناء إيرين وأكمل ناحية الجنوب فسوف يعبران في النهاية دائرة ميل، وهي "النقطة المحددة" التي حددها خوان.

"إنها مجرد خدعة"

لسوء الحظ، لم ينجح أحد في حل لغز الصندوق الرابع، كما لم يتم حل مفاتيح موقع الصندوق الثالث كذلك. كان مفتاح اللغز الخامس والأخير والذي يبدأ بـ "على صخرة، سوف ترى العلامة" قد نُشر في الحادي والعشرين من يونيو، لكنه وفي العاشر من يوليو، وهو آخر يوم في الموعد الذي تم تمديده لفترة البحث عن الكنز؛ حيث كان من المقرر أن ينتهي البحث في آخر يونيو، قام عمدة دوجلاس برفع الكنز الأخير. بعد يومين نشرت جريدة ديلي ديسباتش صورة للحدث وشرح كريستي لمفتاح اللغز الأخير "كتتمة" للقصة حيث كتبت:

لا يزال مفتاح اللغز الأخير يجعلني أبتسم وأنا أتذكر الوقت الذي أضعناه في البحث عن صخرة عليها علامة، كان المفتاح الحقيقي بسيطًا للغاية، وهو "من ست إلى سبع ساعات من التفكير" التي وردت في غلاف الرسالة.

خذ الكلمتين السادسة والسابعة من كل بيت من أبيات الشعر وسوف تحصل على: "سوف ترى النقطة "أ" بالقرب من جدار المنارة، عندما ترجع إلى النقطة "أ" ستجد أننا حددناها على أنها منارة بوينت أوف أير. قضينا بعض الوقت في البحث عن الجدار الصحيح، لكن الكنز لم يكن هناك. بدلًا من ذلك، وجدنا أربعة أرقام ٢ و ٥ و ٦ و ٩ منقوشة على صخرة.

إذا قارنا الأرقام بحروف أول سطر في البيت الشعري فسوف نحصل على كلمة "حديقة"، ليس هناك سوى حديقة واحدة في جزيرة مان في رامزي. قمنا بالبحث في الحديقة وأخيرًا وجدنا الكنز الذي كنا نبحث عنه.

كان ذلك البيت المسقوف بالقش هو عبارة عن كوخ استراحة صغير، وكان الممر الذي بجانبه يؤدي إلى جدار مُغطى بنبات اللبلاب والذي خُبئ فيه الصندوق صعب المنال. أما كون الخطاب مُرسلًا من "برايد" فقد كان ذلك مفتاحًا إضافيًا لحل اللغز؛ حيث إن قرية برايد تقع بالقرب من المنارة في نقطة إير أقصى شمال الجزيرة.

من المستحيل أن نحكم ما إذا كانت قصة "ذهب جزيرة مان" وسيلة ناجحة في تشجيع السياحة لجزيرة مان. من المؤكد أن نسبة السائحين تزايدت في عام ١٩٣٠ عن الأعوام التي سبقتها، لكن لا يمكن إثبات مدى مساهمة القصة في ذلك. تشير تقارير صحفية معاصرة إلى أن كثيرًا قد شككوا في قيمة القصة، وقد رد عضو المجلس المحلي كروكال في الغداء الوطني - الذي خُتمت به المسابقة كرسالة شكر - على المنتقدين بشجب عدم تشجيعهم للمسابقة واصفًا إياهم بكونهم "كسالى متذمرين لا يستطيعون إلا أن يقدموا النقد طوال الوقت".

كان استبعاد سكان الجزيرة من المشاركة في المسابقة سببًا في عدم اكتراثهم بها، مع أن جريدة ديلي ديسباتش كانت قد عرضت جائزة قيمتها خمسة جنيهات، بما يعادل ١٥٠ جنيهًا إسترلينيًا الآن، على كل ساكن من سكان الجزيرة يستضيف أحد الباحثين. كان هذا سببًا في عدة أعمال تخريبية مثل قيام

THE GHOST 92

البعض بدفن بعض الصناديق المزيفة ومفاتيح لغز ساخرة، منها صخرة كُتب عليها كلمة "ارفع"، والتي لم يكن تحتها شيء سوى قشرة خارجية ملقاة.

وبالرغم من أن مسابقة البحث عن الكنز بجزيرة مان لم يعقد شيء مثلها ثانية، فإن أجاثا كريستي استمرت في كتابة قصص غموض تتناول الموضوع نفسه. كان أحد أهم هذه التحديات هو ذلك التحدي الذي وضعه العم ماثيو غريب الأطوار في قصة Strange Jest أمام تشارميان ستراود وإدوارد روسيتر. كانت هذه القصة إحدى القصص التي توجد بها الآنسة ماربل التي نُشرت لأول مرة عام ١٩٤١ بعنوان A Case of Buried Treasure وتم جمعها في المجموعة القصصية التي تم نشرها في عام ١٩٧٩ بعنوان Miss Marple Final Cases. هناك أيضًا قصة مشابهة "للبحث عن قاتل" في رواية بوارو بيت الرجل الميت* ١٩٥٦.

* متوافر لدى مكتبة جرير

ما وراء الجدار

١

كانت السيدة لامبرير هي التي اكتشفت وجود جين هاوورث. كان هذا الأمر متوقعًا بالطبع، فقد قال أحدهم ذات مرة: إن السيدة لامبرير هي أبغض امرأة في لندن، لكنني أعتقد أن هذه مبالغة. لقد كان لديها براعة هائلة في إلقاء الضوء على أكثر الأشياء التي يريد الناس أن يبقوها سرًا، وكانت تفعل ذلك بعبقرية حقيقية، فيبدو الأمر كأنها لم تقصد فعل ذلك في كل مرة.

في هذا اليوم، كنا نحتسي الشاي في الاستوديو الخاص بآلان إيفرارد، وكان ينظم حفلات شاي من وقت لآخر، وكان يظل واقفًا في أحد الأركان في أثناء تلك الحفلات، مرتديًا ملابسًا قديمة ويصدر خشخشة بفعل العملات النحاسية الموجودة في جيبه ويبدو بائسًا للغاية.

لا أعتقد أن أحدًا سينازع عبقرية إيفرارد في ذلك الوقت. كانت الدولة قد اشترت أشهر لوحتين له، لوحة *ألوان ولوحة*

الخبير، اللتين قد رسمهما في أيامه الأولى قبل أن يصبح رسام اللوحات الشهير، وقد وافق على بيعهما على الفور، لكن في ذلك الوقت الذي أتحدث عنه، كان إيفرارد يخطو أولى خطواته نحو الاستقلالية والنجاح، وقد يعود الفضل إلينا في اكتشافه.

كانت زوجة إيفرارد هي التي تنظم تلك الحفلات، وكان سلوك إيفرارد معها غريبًا؛ كان عشقه لها واضحًا ومنطقيًا كذلك، ومن لا يعشق إيسوبيل؟! لكن كان يبدو أنه يشعر أنه مدين لها بشيء ما. كان يوافق بلا تردد على كل ما تريده، ولم يكن ذلك نابعًا من حنانه عليها بقدر ما كان نابعًا من قناعته الراسخة أن هذا حقها. أعتقد أن هذا كان طبيعيًا، إذا فكرت في الأمر.

كانت إيسوبيل لورينج مشهورة للغاية. حينما حضرت أولى حفلاتها الاجتماعية، *خطفت جميع الأنظار*. كانت إيسوبيل تمتلك كل شيء إلا المال؛ فقد كان لديها الجمال والمكانة المرموقة والتربية السليمة والذكاء. لم يتوقع أحد أن تتزوج من أجل الحب، لم يبدُ أنها من هذا النوع من الفتيات. في الحفلة الثانية التي حضرتها، تقدم إلى خطبتها ثلاثة رجال: وريث إمارة، وسياسي صاعد، ومليونير من جنوب أفريقيا، لكنَّ الجميع قد تفاجأ أنها تزوجت آلان إيفرارد، ذلك الرسام الشاب المكافح الذي لم يسمع به أحد.

وإجلالًا لشخصيتها، كما أعتقد، استمرَّ الجميع في مناداتها باسم إيسوبيل لورينج، ولم يشر إليها أحد أبدًا بإيسوبيل إيفرارد، كان أحدهم يقول على سبيل المثال: "لقد رأيت إيسوبيل لورينج هذا الصباح. نعم، مع زوجها، إيفرارد، ذلك الرسام الشاب".

كان الناس يقولون: إن إيسوبيل "تسعى إلى النجاح". أعتقد أن أي رجل كان "يتمنى" أن يشار إليه كـ "زوج إيسوبيل لورينج"، لكنَّ إيفرارد كان مختلفًا. لم يخبْ ظن إيسوبيل في قدرتها على النجاح على كل حال؛ فقد قام آلان إيفرارد برسم لوحة *ألوان*.

أعتقد أن الجميع يعرف تلك اللوحة، وهي عبارة عن طريق ممتد به خندق محفور، وتراب أحمر اللون ناتج عن الحفر، وأنبوب صرف طويل ذو لون بني لامع، وعامل حفر ضخم الجثة يستريح على مجرفته لدقيقة، الذي كان يبدو قويًا، ويرتدي سروالًا قصيرًا ملونًا ويلف منديلًا قرمزيًا حول رقبته، كانت عيناه اللتان تحدقان إليك من اللوحة تنمان عن الغباء واليأس، لكنهما كانتا ترسلان نظرة استجداء لا شعورية، أشبه بعينيْ وحش غاشم كبير الحجم. كانت اللوحة برَّاقة متقدة، عبارة عن سيمفونية من اللون الأحمر والبرتقالي. لقد كتب الكثير عن رمزية اللوحة والمعنى الذي تعبِّر عنه، لكن إيفرارد بنفسه قال: إنه لم يقصد أن يعبر عن أي شيء، قال إنه كان قد سئم النظر إلى لوحات غروب شمس في مدينة البندقية، فانتابه شعور مفاجئ بالحنين إلى مزيج من الألوان الإنجليزية.

بعد هذا أهدى إيفرارد إلى العالم اللوحة الملحمية باسم *رومانسية*، والتي كانت تصور أحد الملاهي الليلية؛ حيث الشارع الأسود، والأمطار الساقطة، والأضواء والزجاج المتلألئ والرجل ذو الوجه الماكر الذي يمر من المدخل. كان صغير الحجم، حقيرًا تافهًا ذا شفتين منفرجتين وعينين متحمستين تتوقان إلى النسيان.

بعد هذين العملين الإبداعيين، تم إطلاق لقب "رسام العمال" على إيفرارد. كان إيفرارد قد وُضع في هذا التصنيف،

لكنه رفض أن يبقى فيه. كانت لوحته الثالثة وأكثر لوحاته عبقرية لوحةً بحجم كامل للسير روفوس هيرشمان. رسم إيفرارد ذلك العالم المشهور ووراءه خلفية من أنابيب التقطير والبواتقات وأرفف المعمل. كان للوحة ما يطلق عليه التأثير التكعيبي، لكنَّ الخطوط المنظورة كان شكلها غريبًا.

والآن قد أكمل إيفرارد عمله الرابع وهو لوحة لزوجته. تمت دعوتنا لنشاهد اللوحة وننقدها. كان إيفرارد عابسًا ينظر من النافذة، بينما كانت إيسوبيل لورينج تتنقل بين الضيوف تتحدث عن الفن بدقة صائبة.

قلنا بعض التعليقات حيث كان من المفترض أن نقوم بذلك. كنا نشيد بتلك اللوحة التي تمثل سيدة ترتدي الساتان الوردي. قلنا إن معالجة ذلك اللون كانت رائعة. لم يرسم شخصٌ الساتانَ بهذا الشكل من قبل.

فجأة أخذتني السيدة لامبرير جانبًا، وهي واحدة من أفضل ناقدي الأعمال الفنية.

قالت: "يا جورجيا، ماذا فعل هذا الرجل بنفسه؟ هذه اللوحة تبدو بلا روح، إنها ناعمة. إنها، يا إلهي! إنها بشعة".

سألتها: "هل تقصدين أنها مجرد صورة لسيدة ترتدي الساتان الوردي؟".

"بالضبط، لكن الأسلوب متقن. والتفاصيل! هناك فن في هذه الصورة يكفي لست عشرة لوحة".

قلت: "فن أكثر من اللازم؟".

"ربما، إذا كان هناك أي شيء في هذه اللوحة، فقد دمرَّه هذا الرجل. امرأة بارعة الجمال في رداء من الساتان. لِمَ لا تكون صورة فوتوغرافية ملونة؟".

وافقتها الرأي قائلة: "لِمَ لا؟ هل تعتقدين أنه يعلم؟".

قالت: "ألا ترى أن الرجل على حافة الهاوية؟ أحسب أن هذا بسبب المزج بين العاطفة والعمل. لقد وضع روحه كاملة في مهمة رسم إيسوبيل لأنها إيسوبيل، وفي خلال هذا فقدها. لقد كان أطيب من اللازم، لابد أن ... أن تدمر الجسد حتى تصل إلى الروح أحيانًا".

أومأت متأملة كلامها، لم يكن السير روفوس هيرشمان رجلاً وسيمًا، لكنَّ إيفرارد نجح في إظهار شخصيته التي لا تنسى في اللوحة.

أردفت السيدة لامبرير قائلة: "إن إيسوبيل شخصية تفرض نفسها كذلك".

قلت: "ربما لا يجيد إيفرارد رسم النساء".

ردت السيدة لامبرير متأملة وقالت: "ربما لا".

"نعم، ربما يكون هذا هو التفسير".

لم يمر وقت طويل حتى قامت السيدة لامبرير، بدقتها المعتادة، بسحب لوحة كانت مسندة إلى وجهها ناحية الحائط. كانت هناك حوالي ثماني لوحات بهذا الشكل مكدسة بإهمال. كانت السيدة لامبرير قد التقطت تلك اللوحة بالذات عن طريق الصدفة، لكن كما قلت سابقًا: إن هذه الأشياء تحدث كثيرًا مع السيدة لامبرير.

قالت السيدة لامبرير بينما كانت توجه اللوحة ناحية الضوء: "يا إلهي!".

لم تكن اللوحة مكتملة، كانت مجرد رسمة تخطيطية. خمنت أن تلك المرأة أو الفتاة الموجودة في الصورة لم تتخطَّ الخامسة أو السادسة والعشرين من عمرها. كانت منحنية إلى

الأمام واضعة يدها تحت ذقنها. كان أول شيئين لفتا نظرها هما: الحيوية الاستثنائية للصورة، وكذلك القسوة المذهلة الموجودة بها. يبدو أن إيفرارد قد رسمها بفرشاة انتقامية، لقد كان أسلوبه قاسيًا، لقد أظهر كل عيب وكل زاوية حادة وكل فظاظة بها. كانت اللوحة غارقة في اللون البني؛ حيث كان الرداء بنيًّا وكذلك الخلفية وكذلك عينا الفتاة الغارقتان في الحزن والتلهف. كانت اللهفة بالتأكيد أكثر ما يسيطر عليها.

تأملت السيدة لامبرير اللوحة في صمت لدقائق، ثم نادت إيفرارد.

سألته: "آلان، تعالَ هنا. من هذه؟".

جاء إيفرارد طواعية، لاحظت الضيق المفاجئ في عينيه، والذي لم يستطع إخفاءه.

قال: "هذه مجرد لوحة سيئة، لا أعتقد أنني سأكملها".

ردت السيدة لايمبرير: "من هذه؟".

لم يبدُ أن إيفرارد يرغب في الإجابة؛ مما شجع السيدة لامبرير على الإصرار على المعرفة؛ لأنها دائمًا تفترض أسوأ السيناريوهات.

"إنها صديقة، اسمها الآنسة جين هاوورث".

ردت السيدة لامبرير: "إنني لم أقابلها هنا مطلقًا".

ثم توقف لحظة وأضاف: "هي لا تحضر هذا النوع من العروض، إنها الأم الروحية لويني".

كانت ويني هي ابنته الصغيرة البالغة من العمر خمسة أعوام.

قالت السيدة لامبرير: "حقًّا؟ أين تسكن؟".

"في شقة في باترسي".

قالت السيدة لامبرير ثانية: "حقًّا؟" ثم أضافت: "وما الذي فعلته بك؟".

"بي أنا؟!".

"نعم، أنت، لكي تجعلك قاسيًا هكذا".

ضحك آلان، وقال: "نعم، هل هذا ما تقصدين؟! حسنًا، هل تعرفين أنها ليست جميلة، لا أستطيع أن أجعلها جميلة لأننا أصدقاء فقط، أليس كذلك؟".

ردت السيدة لامبرير: "لقد فعلت العكس تمامًا، لقد أظهرتُ كل عيب بها، وبالغت فيه وتماديت، لقد حاولت أن تجعلها تبدو سخيفة، لكنك لم تنجح يا صغيري. سوف تعيش هذه اللوحة إذا أكملتها".

بدا الضيق واضحًا على إيفرارد.

قال آلان بوهن: "إنها ليست سيئة كرسمة تخطيطية، لكنها لا تقارن بصورة إيسوبيل بالطبع، إنها أفضل شيء فعلته على الإطلاق".

قال كلماته الأخيرة بتحدٍّ وجدية، ولم يَرُدَّ كلانا.

كرر كلامه قائلًا: "أفضل شيء على الإطلاق".

اقترب منَّا بعض الحضور، وكانت الرسمة قد لفتت أنظارهم أيضًا. كانت هناك تساؤلات وتعليقات، وبدأت الأجواء في التصاعد.

كانت هذه أول مرة أسمع عن جين هاوورث، قابلتها مرتين لاحقًا، واستمعت إلى تفاصيل حياتها من أحد أصدقائها المقربين، كما أنني عرفت عنها الكثير من آلان إيفرارد نفسه، ونظرًا إلى أن كليهما قد توفي الآن، أعتقد أن الوقت قد حان لتكذيب بعض القصص التي تنشرها السيدة لامبرير بالخارج.

قل إنني ألفت بعض أحداث القصة إذا أردت، لكنها ليست بعيدة عن الحقيقة على كل حال.

٢

حينما غادر الضيوف، وضع آلان إيفرارد لوحة جين هاوورث بمواجهة الحائط مرة أخرى. هبطت إيسوبيل إلى الغرفة ووقفت إلى جانبه.

سألته بتأمل: "كانت ناجحة، أليس كذلك؟ أم أنها لم تكن ناجحة؟".

سألها بسرعة: "هل تقصدين تلك اللوحة؟".

أجابته قائلة: "كلا أيها السخيف، أقصد الحفلة، وبالطبع اللوحة كانت ناجحة أيضًا".

قال إيفرارد بقوة: "إنها أفضل شيء فعلته".

ردت إيسوبيل قائلة: "نحن نحرز تقدمًا، السيدة تشارمنجتون تريدك أن ترسمها".

قطّب آلان جبينه وقال: "يا إلهي! تعرفين، أنا لست رسام صور متخصصًا".

"سوف تصبح كذلك، سوف تصل إلى القمة".

"هذه ليست القمة التي أريد أن أصل إليها".

"لكن يا عزيزي آلان، هذه هي الطريقة التي سوف نصنع بها الثروة".

"ومن الذي يريد ثروة؟".

ابتسمت إيسوبيل، وقالت: "ربما أريدها".

شعر في الحال بالخجل والندم؛ لأن إيسوبيل إذا لم تكن قد تزوجته، لكانت امتلكت ثروة كبيرة من المال بالفعل، كما تريد هي. إن بعض الترف يليق بوضعها الحالي.

قال بحزن: "إن حالنا ليس سيئًا مؤخرًا".

"حقًا؟ إن الفواتير تلاحقنا".

فواتير، دائمًا هناك فواتير!

ذرع الغرفة جيئة وذهابًا.

اندفع قائلاً مثل طفل مشاغب: "لا! أنا لا أريد أن أرسم السيدة تشارمنجتون".

ابتسمت إيسوبيل قليلاً ووقفت أمام المدفأة بلا حراك. توقف آلان عن حركته المتوترة ووقف بالقرب من زوجته، ما الذي جذبه إليها مثل المغناطيس؟ هل هو هدوؤها؟ هل هو سكونها؟ كانت جميلة للغاية؛ فقد كان لها ذراعان يشبهان الرخام الأبيض المنحوت، وذلك اللون الذهبي الخالص الذي يتلألأ في شعرها وشفتيها الممتلئتين المخضبتين باللون الأحمر.

اقترب منها وربت على كتفها، هل كان يهمه أي شيء سوى أن تكون سعيدة؟ كيف كانت إيسوبيل تبعث في نفسه الراحة والهدوء وتأسره هكذا؟ لقد جذبته إليها بهدوئها الجميل وأسرته، وهو يشعر بالهدوء والرضا. كان تأثيرها عليه كتأثير المخدرات على الشخص؛ تجرفك إلى بحيرة مظلمة، وتجعلك تنام فيها.

قال في الحال: "سوف أرسم السيدة تشارمنجتون. وماذا في ذلك؟ سوف أشعر بالملل، لكن في نهاية المطاف، لابد للرسام

أن يكسب قوت يومه. هناك الرسام وهناك زوجته وهناك ابنته، وجميعهم يحتاجون إلى الرزق".

قالت إيسوبيل: " فتى سخيف! بمناسبة ابنتنا، لابد أن تذهب إلى جين، لقد كانت هنا بالأمس، وقالت إنها لم ترَكَ منذ شهور".

"جين كانت هنا؟".

"نعم، لكي ترى ويني".

لم يُبْدِ آلان اهتمامًا بالحديث عن ابنته، وقال:

"هل رأت اللوحة التي رسمتها لك؟".

"نعم".

"وماذا كان رأيها؟".

"لقد قالت إنها رائعة".

"يا إلهي!".

قطّب جبينه وبدا غارقًا في أفكاره.

علقت إيسوبيل قائلة: "أعتقد أن السيدة لامبرير تشك أنك تحمل مشاعر حُبٍّ لجين. إنها تشك في هذا الأمر للغاية".

قال آلان باشمئزاز: "تلك المرأة! تلك المرأة! لابد أنها تشك في ذلك، وما الذي لا تشك فيه؟!".

قالت إيسوبيل مبتسمة: "حسنًا، *أنا* لا أصدق ذلك؛ لذا عليك أن تذهب لترى جين في أقرب وقت".

نظر إليها آلان. كانت تجلس على أريكة منخفضة بجانب المدفأة. لم يكن وجهها بمقابلة آلان تمامًا لكنه لمح الابتسامة التي ارتسمت على شفتيها. وفي هذه اللحظة شعر بالحيرة

والارتباك وكأن ضبابًا أحاط به، وأخذه إلى بلد غريبة على حين غرة.

شيء ما جعله يتساءل: "لماذا تريد إيسوبيل أن أذهب إلى زيارة جين؟ لابد أن هناك سببًا ما. هذا لأن لكل شيء سببًا مع إيسوبيل، لا يوجد لديها دوافع بديهية، بل إنها تفكر بتروٍ في كل شيء وتعمل له حسابه.

سألها فجأة: "هل تحبين جين؟".

ردت إيسوبيل قائلة: "إنها صديقة عزيزة".

"نعم، لكن هل تحبينها؟".

قالت: "بالطبع، إنها مخلصة لويني كثيرًا. بالمناسبة، هي تريد أن تأخذ ويني إلى الشاطئ الأسبوع المقبل. لا مانع لديك، أليس كذلك؟ سوف يمكننا هذا من زيارة أسكتلندا".

أجابها: "سوف يكون هذا مناسبًا للغاية".

بالطبع سيكون هذا مناسبًا، مناسبًا للغاية. نظر إلى إيسوبيل في شك. هل *طلبت* هذا من جين؟ إن من السهل على أي شخص أن يفرض أوامره على جين.

نهضت إيسوبيل وغادرت الغرفة وهي تتمتم ببعض الكلمات لنفسها؛ حيث كانت تقول: حسنًا لا يهم، على كل حال سوف يذهب آلان إلى زيارة جين.

٣

كانت جين هاوورث تعيش في الطابق العلوي بمجموعة من الشقق الفندقية المطلة على حديقة باترسي. صعد إيفرارد

الدرج لأربعة طوابق، ووقف أمام الباب وقرع الجرس. شعر بالحنق تجاه جين: لِمَ لَمْ تعش جين في مكان أقرب من هذا؟ حينما لم يجبه أحد، قرع الجرس ثلاث مرات أخرى وشعر بالحنق يتزايد بداخله. لِمَ لا تجلب جين شخصًا يستطيع فتح الباب؟

فتح الباب فجأة، ووقفت جين بنفسها في المدخل. كانت وجهها متوردًا.

سألها إيفرارد بدون أن يحاول أن يلقي عليها تحية في البداية: "أين أليس؟".

"حسنًا، إنني أخشى أن تكون - أعني - ليست على ما يرام اليوم".

قال إيفرارد متجهمًا: "تقصدين أنها ثملة؟".

للأسف كانت جين ضليعة في الكذب.

قالت جين بتردد: "أعتقد هذا".

"دعيني أرَها".

اندفع إيفرارد إلى داخل الشقة وتبعته جين في خضوع تام، وجد إيفرارد أليس المهملة في المطبخ، لم يكن هناك أدنى شك في كونها ثملة. تبع إيفرارد جين إلى غرفة الصالون في صمت وتجهم.

قال إيفرارد: "لابد أن تتخلصي من هذه المرأة، لقد قلت لك هذا الكلام من قبل".

"أعرف أنك فعلت يا آلان، لكنني لا أستطيع أن أفعل هذا. هل نسيت أن زوجها في السجن؟".

رد إيفرارد: "إنه موجود في السجن، وذلك هو المكان المناسب له. كم مرة ثملت هذه المرأة منذ أن أحضرتها هنا منذ ثلاثة أشهر؟".

"ليس كثيرًا، ربما ثلاث مرات أو أربع. إنها تشعر بالاكتئاب أحيانًا كما تعرف".

"ثلاث مرات أو أربع! أعتقد أن تسعة أو عشرة هو الرقم الأقرب إلى الصواب، كيف تطبخ؟ طعامها نتن، أليس كذلك؟ هل تساعدك أو تريحك بأي شكل من الأشكال هنا؟ لا أعتقد. بحق السماء، تخلصي من هذه المرأة وأحضري فتاة أخرى تفيدك".

نظرت إليه جين بحزن.

فأردف إيفرارد قائلًا بأسى: "إنك لن تفعلي ذلك"، ثم جلس على الكرسي الكبير ذي الذراعين واسترسل قائلًا: "أنت امرأة عاطفية بشكل مبالغ فيه! ما هذا الذي سمعته عن أنك ستأخذين ويني إلى الشاطئ؟ من الذي اقترح هذا؟ أنت أم إيسوبيل؟".

ردت جين بسرعة شديدة، وقالت: "أنا من اقترح هذا بالطبع".

قال إيفرارد: "جين، لو تعلمت أن تصدقي في القول فقط، فسوف أحبك كثيرًا. اجلسي وبحق السماء لا تكذبي عليَّ لمدة خمس دقائق فقط".

قالت جين: "يا إلهي! آلان!".

نظر إليها الرسام دقيقة أو دقيقتين كأنه ينتقدها. إن السيدة لامبرير محقة، لقد كان قاسيًا في تعامله مع جين. كانت جين على قدر من الجمال إن لم تكن جميلة بالفعل. لقد كان جسدها يشبه الأجسام اليونانية، لكنَّ قلقها المستمر من إرضاء الناس جعلها تبدو خرقاء. لقد وضع يده على هذه النقطة، وبالغ فيها

ورسم ذقنها الحادة قليلًا لتبدو أكثر حدة مما هي عليه، وجعل جسدها يبدو قبيحًا.

لماذا؟ لماذا لم يكن يتحمل الوجود في غرفة واحدة مع جين خمس دقائق بدون أن يشعر بالانزعاج الشديد منها؟ قل ما تريد، كانت جين عزيزة عليه، لكنها كانت مزعجة. لم يكن يشعر معها بالسكينة كتلك التي يشعر بها في وجود إيسوبيل. لكن جين كانت تبذل قصارى جهدها لإرضائه، وكانت توافق على كل ما يقول. لكنها، ويا للأسف! لم تنجح في إخفاء مشاعرها على الإطلاق.

أدار إيفرارد نظره في الغرفة، كانت مناسبة جدًّا لجين، كانت الغرفة تحتوي على بعض الأشياء الجميلة: أحجار كريمة خالصة وقطعة خزفية من باترسي، وبجانبها زهرية بشعة عليها رسومات يدوية لبعض الورود.

التقط إيفرارد الزهرية، وقال:

"هل ستكونين غاضبة يا جين، إن قذفت هذه الزهرية من النافذة؟".

أجابته: "أرجوك يا آلان. لا تفعل ذلك".

"ماذا تفعلين بكل هذه النفايات؟ إن لديك ذوقًا جيدًا، لماذا لا تستغلينه في انتقاء الأشياء!".

"أعرف هذا يا آلان، إن الأمر لا يتلخص في أنني لا أعرف، لكنَّ الناس يعطونني أشياء. هذه الزهرية قد أخذتها الآنسة بيتس من مارجريت مرة أخرى، وهي فقيرة للغاية، وتحتاج إلى أن تتقشف ولابد أن هذه الزهرية قد كلفتها كثيرًا؛ لذلك أعطتني إياها واعتقدت أنني سأسعد بهذا للغاية، كان لابد أن أضعها في مكان جيد".

لم يرد عليها إيفرارد واستمر في تأمل الغرفة. كانت هناك رسمة أو رسمتان على الجدران، وكذلك عدد من صور الأطفال. كانت صديقات جين يسارعن بإرسال صور لأطفالهن إليها، متوقعات منها أن تحافظ عليها، وكانت جين تحافظ عليها على النحو المرجو منها.

سألها إيفرارد، وهو يشير إلى طفل يوجد حول في عينيه قائلًا: "مَنْ هذا المرعب الصغير؟ إنني لم أرَه من قبل".

ردت جين قائلة: "إنها فتاة، الابنة الوليد لماري كارنجتون".

قال إيفرارد: "ماري كارنجتون المسكينة! أعتقد أنك ستتظاهرين بأنك تحبين أن تحدق إليك هذه الطفلة القبيحة بعينيها الحولاوين طوال اليوم، أليس كذلك؟".

اعترضت جين على كلامه قائلة:

"إنها طفلة رائعة وماري صديقة قديمة لي".

ابتسم إليها، وقال: "جين الصديقة الصدوقة! إذن إيسوبيل هي التي طلبت منك أن تصطحبي ويني، أليس كذلك؟".

"حسنًا، لقد قالت إنكما تريدان الذهاب إلى أسكتلندا فعرضت عليها ذلك. سوف تسمح لي أن آخذها أليس كذلك؟ لقد انتظرت لعقود أن تسمح لها بزيارتي، لكنني لم أرد أن أطلب منك".

"يا إلهي! بالطبع يمكنك فعل هذا، لكنَّ هذا ليس جيدًا لك على كل حال".

قالت جين بسعادة: "حسنًا إذن".

أشعل إيفرارد سيجارة، وسألها ببعض الغموض:

"هل أرتك إيسوبيل اللوحة الجديدة؟".

"نعم".

"ما رأيك فيها؟".

جاءت إجابة جين سريعة، أسرع من اللازم؛ حيث قالت:

"إنها رائعة للغاية، وبديعة كذلك!".

هبَّ آلان واقفًا على حين غرة، وارتعشت يده التي تحمل السيجارة، وقال:

"ويحك يا جين، لا تكذبي عليَّ!".

"لكن يا آلان، أنا متأكدة، *إنها* رائعة للغاية".

"ألم تدركي حتى الآن يا جين أنني أعرف كل نبرات صوتك؟ إنك تكذبين عليَّ بجنون حتى لا تجرحي مشاعري، أليس كذلك؟ لماذا لا تصدقيني القول؟ هل تظنين أنني أريدك أن تصفي شيئًا بأنه رائع بينما أعرف أنه ليس كذلك؟ إن هذه اللوحة بغيضة وليس بها أي روح، لا حياة بها ولا شيء يقع في خلفيتها سوى سطح، سطح أملس غبي. لقد خدعت نفسي فترة طويلة، حتى هذا المساء، حينما جئت إليك لأعرف. إن إيسوبيل لا تفهم هذا، لكن أنت تفهمين، أنت تفهمين دائمًا. كنت أعرف أنك ستقولين إنها جيدة، ليس لديك أي حس أخلاقي بخصوص هذا النوع من الأشياء. لكنني أستطيع أن أعرف الحقيقة من نبرة صوتك؛ فعندما جعلتك تشاهدين لوحة *رومانسية*، فإنك لم تقولي شيئًا على الإطلاق، حبست أنفاسك وشهقت فقط".

"آلان ...".

لم يعطها إيفرارد فرصة للحديث، كان يشعر بتأثير جين عليه، ذلك التأثير الذي يعرفه. من الغريب أن يكون لهذه المخلوقة الرقيقة هذه القدرة على إثارة ذلك الغضب الشديد بداخله.

أردف آلان بغضب: "ربما ظننت أنني فقدت موهبتي، لكنني لم أفقدها. أستطيع أن أرسم لوحة في جودة لوحة *رومانسية*، وربما أفضل، وسوف أريك هذا يا جين هاوورث".

اندفع آلان خارج الشقة. سار سريعًا وعبر الحديقة إلى جسر ألبرت. كان لا يزال يرتعش من الضيق والحنق. جين بالطبع! ما الذي تعرفه عن الرسم على كل حال؟ ما قيمة رأيها؟ لمَ عليه أن يهتم به أصلًا؟ لكنه كان يهتم بها. كان يريد أن يرسم شيئًا يجعل جين تشهق من فرط الإعجاب؛ حيث تفتح فمها قليلًا وتتورد وجنتاها، وتنظر إلى اللوحة ثم إليه، ومن المحتمل ألا تقول حينها شيئًا على الإطلاق.

في وسط الجسر، خطرت بباله فكرة اللوحة التي سيرسمها. جاءته هكذا من حيث لا يدري. لقد رآها، هناك في الفراغ، أو ربما كانت في رأسه؟

ستكون عبارة عن متجر تحف صغير وحقير، مظلم وعتيق بعض الشيء. وراء المنضدة يقف بائع أجنبي ضئيل الحجم ذو عينين ماكرتين. يقف أمامه الزبون، وهو رجل ضخم الجثة، ذو شعر أملس، وجسم متناسق وفك عريض، يبدو أنه ثري، مغرور. فوق الرجلين يظهر تمثال نصفي مصنوع من الرخام الأبيض. يتم تركيز الضوء على وجه التمثال الرخامي، الذي يمثل الجمال الخالد لليونان القدماء، ويبدو عليه ملامح الاحتقار وعدم الاكتراث لعملية البيع والمقايضة. لقد تمثل في رأس إيفرارد جميع الموجودين: صاحب المتجر، وجامع التحف الثري، ورأس التمثال اليوناني.

تمتم آلان محدثًا نفسه وهو يخطو قبالة الرصيف، ولم يلحظ سباب سائق الأتوبيس الذي كان يمر في اللحظة نفسها:

"سوف أسمي هذه اللوحة *الخبير*، نعم *الخبير*. سوف *أري جين*".

حينما وصل إلى البيت، اتجه إلى الاستوديو مباشرة، ووجدته إيسوبيل هناك يقوم بفرز بعض اللوحات.

"آلان، لا تنسَ أننا سنتناول العشاء مع عائلة مارش اليوم".

هزَّ إيفرارد رأسه بنفاد صبر، وقال:

"اللعنة على عائلة مارش، سوف أعمل. لقد خطر ببالي شيء ما وعليَّ أن أسجله، أسجله في الحال على اللوحة قبل أن أفقده، اتصلي بهم وأخبريهم أنني قد متُّ".

تأملته إيسوبيل دقيقة أو اثنتين ثم غادرت الغرفة. كانت إيسوبيل تجيد فن العيش مع فنان إلى حد كبير. اتجهت نحو الهاتف وقدمت بعض الاعتذارات المقبولة.

نظرت إيسوبيل حولها وتثاءبت قليلًا، ثم جلست أمام مكتبها وبدأت تكتب:

"عزيزتي جين،

إنني أتوجه لك بجزيل الشكر على ذلك الشيك الذي استلمته منك اليوم، إنك أم روحانية مثالية لابنتك، سوف تفعل المائة جنيه الكثير لنا. إن الأطفال يكلفون الكثير. أنا أعرف أنك تحبين ويني للغاية؛ لذلك لم أتردد في طلب المساعدة منك. إن آلان - مثل جميع العباقرة - لن يفعل إلا ما يريد، لكن هذا ليس كافيًا لتغطية نفقاتنا، أتمنى أن أراك قريبًا.

صديقتك

إيسوبيل".

عندما أنهى آلان لوحة *الخبير*، بعد عدة شهور، دعا جين إلى الحضور لرؤيتها. لم تخرج اللوحة كما تخيلها آلان بالضبط لكنها كانت قريبة من تصوره للغاية. لقد شعر بفخر الصانع. لقد صنع هذا الشيء وكان جيدًا.

لم تقل جين إنها رائعة هذه المرة، وإنما احمرت وجنتاها وفغرت فاها فحسب. نظرت إلى آلان، ورأى في عينيها ما تمنى أن يراه. لقد كانت جين تعرف.

كان يشعر بالبهجة، لقد أظهر لجين ما أراد أن يريها إياه!

بعدما انتهى من اللوحة، بدأ آلان في ملاحظة ما يحدث حوله مرة أخرى.

كانت ويني قد استفادت كثيرًا من الأسبوعين اللذين قضتهما على شاطئ البحر، لكنَّ آلان كان مصدومًا من ملابسها الرثة، وأخبر إيسوبيل بهذا.

"آلان! ألست أنت الذي لا تلاحظ شيئًا أبدًا! لكنني أحب أن يرتدي الأطفال ملابسًا بسيطة، لا أحب أن يدلل الأطفال كثيرًا".

"هناك فرق بين البساطة والملابس المرقعة".

لم ترد إيسوبيل، لكنها اشترت فستانًا جديدًا لويني.

بعدها بيومين كان آلان يجاهد لحساب عائدات ضريبة الدخل الخاصة به، كان دفتر شيكاته أمامه، وكان يبحث عن الدفتر الخاص بإيسوبيل في مكتبها، عندما دخلت ويني الغرفة وفي يدها دمية قذرة، وقالت:

"أبي، لديَّ لغز، هل تستطيع تخمين الحل؟ تفاحة ذهبية تسبح في بحر شفاف، يغلفها ستار حريري وراءه جدار أبيض كالحليب، فما هي؟".

قال لها آلان بينما كان شارد الذهن، وما زال يبحث عن دفتر الشيكات: "أمك".

انفجرت ويني ضاحكة وقالت: "أبي! إنها *البيضة*، لماذا ظننت أنها أمي؟".

ردَّ آلان: "لم أركز، وبدت الكلمات كأنها تصف أمك بشكل ما".

جدار أبيض كالحليب، ستار، بحر شفاف، تفاحة ذهبية. نعم هذا يشبه إيسوبيل، إن الكلمات شيء غريب.

أخيرًا وجد دفتر شيكات إيسوبيل، وأمر ويني بحسم أن تغادر الغرفة. بعد عشر دقائق رفع آلان وجهه وبدا على وجهه التعجب.

"آلان".

"أهلا يا إيسوبيل، لم أشعر بكِ وأنت تدخلين هنا. انظري هنا، لا أفهم بعض الأشياء في دفتر شيكاتك".

"وما شأنك بدفتر شيكاتي؟".

حدق إليها آلان في ذهول، لقد كانت غاضبة، لم يرَها آلان بهذا الغضب من قبل.

"لم أكن أعرف أنك ستمانعين".

"بل أمانع، أمانع للغاية. ليس لك أن تلمس أشيائي".

غضب آلان فجأة هو الآخر، وقال:

"أنا آسف، لكن بما أنني قد لمست أشياءك بالفعل، أريدك أن تشرحي لي شيئًا أو شيئين لا أفهمهما. كما أرى، هناك حوالي خمسمائة جنيه أضيفت إلى حسابك هذا العام لا أستطيع تذكرها. من أين أتى هذا المال؟".

كانت إيسوبيل قد عادت لهدوئها وجلست على كرسي.

قالت إيسوبيل بهدوء: "ليس عليك أن تقلق هكذا يا آلان، لم أجنها من الخطيئة أو أي شيء من هذا القبيل".

"من أين أتى هذا المال؟".

"من امرأة، إحدى صديقاتك. إنه ليس لي، إنه من أجل ويني".

"ويني؟ هل تقصدين أن هذه الأموال دفعتها جين؟".

أومأت إيسوبيل برأسها مؤكدة على كلامه، وقالت:

"إنها تحب ويني كثيرًا، إنها تفعل كل ما بوسعها من أجلها".

"نعم، لكنَّ هذا المال كان يجب أن يستثمر من أجل ويني".

"يا إلهي! ليس الأمر هكذا إطلاقًا، إنها للنفقات الحالية، الملابس ومثل هذه الأشياء".

لم ينبس آلان ببنت شفة، كان يفكر في فساتين ويني المرقعة.

"إن حسابك مبالغ فيه كذلك يا إيسوبيل؟".

"حقًّا؟ هذا يحدث لي دائمًا".

"نعم، لكن الخمسمائة جنيه تلك ...".

"عزيزي آلان، لقد أنفقتها على ويني بالطريقة المثلى في رأيي، أطمئنك أن جين راضية".

لم يكن آلان راضيًا، لكنه لم ينطق بكلمة واحدة، وكان هذا نابعًا من قوة هدوء إيسوبيل. كانت إيسوبيل مهملة في الشئون المالية على كل حال، لم تكن إيسوبيل تقصد أن تنفق أموال ابنتها على نفسها. في ذلك اليوم، وصلت فاتورة استلام للسيد إيفرارد بالخطأ، كانت الفاتورة مرسلة من خياطة في ميدان هانوفر بقيمة مائتي جنيه. أعطاها آلان لإيسوبيل بدون أن

يتبادل معها كلمة. ألقت إيسوبيل عليها نظرة سريعة وابتسمت وقالت:

"يا صغيري، أعرف أن هذا يبدو سيئًا للغاية بالنسبة لك، لكنَّ المرء يجب أن يرتدي ملابس جيدة على كل حال".

في اليوم التالي ذهب آلان ليرى جين.

كانت جين مزعجة ومراوغة كالعادة، لم يكن لديه شك في هذا، إن ويني ابنتها الروحية، النساء يفهمن هذه الأشياء، لكنَّ الرجال لا يفهمونها. بالطبع هي لم ترد أن ترتدي ويني فساتين بقيمة خمسمائة جنيه. لمَ لا يترك الأمر لجين وإيسوبيل؟ إنهما يفهمان بعضهما جيدًا.

غادر آلان في حالة استياء متزايدة، كان يعرف جيدًا أنه تجنب السؤال الوحيد الذي أراد أن يسأله حقًّا. أراد أن يقول: "هل طلبت منك إيسوبيل هذا المال من أجل ويني؟"، لكنه لم يسأل لأنه خاف من ألا تنجح جين في الكذب بصورة كافية لخداعه.

كان قلقًا؛ لأن جين كانت فقيرة، كان يعرف هذا جيدًا. لا يمكنها، لا يمكنها أن تجرد نفسها من كل ما تملك، لقد قرر أن يتحدث إلى إيسوبيل. كانت إيسوبيل هادئة ومطمئنة. بالطبع، لم تكن لتدع جين تنفق أكثر مما تتحمل إنفاقه.

٤

بعد ذلك بشهر توفت جين.

أصيبت بالإنفلونزا ثم بالالتهاب الرئوي، وكانت جين قد جعلت آلان إيفرارد المسئول عن تنفيذ وصيتها، وتركت كل ما كانت تملك لويني، لكنها لم تترك الكثير على كل حال.

كانت مهمة آلان أن يفحص الأوراق، وكانت قد تركت سجلًا واضحًا يمكن تعقبه، والعديد من الأدلة على أعمال الخير التي كانت تفعلها وخطابات استجداء وخطابات شكر وامتنان كذلك.

في النهاية، وجد مذكراتها ووجد معها قصاصة ورقية كُتِبَ فيها:

"يقرأ آلان إيفرارد هذا بعد وفاتي، لقد كان دائمًا يتهمني بعدم قول الحقيقة، إن الحقيقة الكاملة هنا".

لقد بدأ آلان يفهم الأمر أخيرًا، ووجد المكان الوحيد الذي تجرأت جين أن تقول فيه الحقيقة. كان دليلًا بسيطًا وتلقائيًا على حبها له.

لم تذكر جين الكثير من المشاعر، ولم تكن اللغة منمقة، لكنَّ الحقائق كانت واضحة كالشمس.

كتبت جين: "أنا أعرف أنك كنت تنزعج مني كثيرًا. يبدو أن كل ما أقوله أو أفعله يغضبك أحيانًا. لا أفهم سبب هذا؛ لهذا أحاول دائمًا أن أرضيك، لكنني أؤمن، على الرغم من كل هذا، أنني أعني لك شيئًا. إن المرء لا يغضب ممن لا قيمة لهم عنده".

لم يكن ذنب جين أن آلان وجد أشياء أخرى غير التي كانت تريد أن تطلعه عليها. كانت جين مخلصة، لكنها لم تكن منظمة؛ فقد ملأت الأدراج عن آخرها، وكانت قد أحرقت جميع خطابات إيسوبيل بعناية قبل وقت قصير من موتها. لكن آلان وجد أحدها محشورًا وراء الدرج. حينما قرأه، فهم جيدًا الإشارات السرية التي حملها دفتر شيكات جين. في هذا الخطاب بالذات،

لم تبذل إيسوبيل جهدًا في الاستمرار في التظاهر بطلب المال من أجل ويني.

جلس آلان أمام المكتب محدقًا من خلال النافذة بعينين شاخصتين لوقت طويل. في النهاية، وضع دفتر الشيكات في جيبه وترك الشقة، ومشى عائدًا إلى تشيلسي، مستشعرًا الغضب الذي يتزايد على نحو سريع بداخله.

كانت إيسوبيل بالخارج حينما عاد، وكان يشعر بالأسى. كان لديه فكرة واضحة عن كل ما يريد قوله، لكنه صعد إلى الاستديو وسحب اللوحة غير المكتملة لجين، ثم وضعها على حامل مسند اللوح بالقرب من لوحة إيسوبيل التي كانت ترتدي فيها ذلك الرداء المصنوع من الساتان الوردي.

لقد كانت السيدة لامبرير على حق؛ إنَّ لوحة جين تضج بالحياة. أخذ آلان يتأملها ويتأمل عينيها المتوقدتين والجمال الذي فشل في تجريدها منه. كانت هذه هي جين، كانت الحياة أكثر ما يميزها عن أي شيء آخر. فكر آلان في قرارة نفسه معترفًا بأنها كانت أكثر من قابلهم حيوية على الإطلاق، لدرجة أنه لا يستطيع أن يتخيل أنها ميتة الآن.

ثم أخذ يفكر في لوحاته الأخرى، لوحة *ألوان*، ولوحة *رومانسية*، ولوحة *السيد روفوس هيرشمان*. كانت كل هذه اللوحات انعكاسًا لجين بشكل ما. كانت هي التي أشعلت شرارة كل منها، كانت هي التي تزعجه وتضايقه لدرجه تجعله يريد أن *يريها* ما يستطيع فعله. وأين هي الآن؟ إنها ميتة. هل يستطيع أن يرسم لوحة أخرى؟ لوحة حقيقية؟ نظر إلى الوجه المتوقد على اللوحة. ربما لا تكون جين بعيدة على كل حال.

صدر صوت ما جعله يلتفت. كانت إيسوبيل قد وصلت إلى الاستديو. كانت مستعدة للعشاء وترتدي ثوبًا أبيض أظهر شعرها الذهبي الخالص.

توقفت ساكنة، ولم تنبس ببنت شفة ناظرة إلى آلان في حذر، ثم اتجهت إلى الأريكة وجلست. بدا عليها الهدوء التام.

أخرج آلان دفتر الشيكات من جيبه، وقال:

"كنت أفحص أوراق جين".

"ماذا تقول؟".

حاول أن يقلد هدوءها حتى لا يرتعش صوته.

"في آخر أربع سنوات كانت جين تمدك بالأموال".

"نعم، كان ذلك من أجل ويني".

صرخ فيها إيفرارد قائلًا: "لا، لم تكن هذه الأموال من أجل ويني. كنت تتظاهرين بذلك؛ فقد تظاهر كلاكما أن هذه الأموال كانت من أجل ويني، لكنكما كنتما تدركان الحقيقة. هل تعلمين أن جين كانت تبيع سنداتها المالية وتعيش عيش الكفاف كي تمدك بالملابس، تلك الملابس التي لم تكوني بحاجة إليها حقًا؟".

لم تحول إيسوبيل عينيها عن وجهه، بل عدلت من جلستها لتستريح أكثر على الوسائد كما تفعل أي قطة فارسية.

قالت: "ليس ذنبي أن جين كلفت نفسها فوق طاقتها. كنت أظن أنها تستطيع أن تتحمل هذه المصاريف. لقد كانت مجنونة بك بالطبع، إنني أعرف هذا. إن بعض الزوجات كن ليثرن ضجة جراء اندفاعك إليها لقضاء ساعات معها. لكنني لم أفعل".

قال آلان وقد شحب وجهه: "لا، بل جعلتِها تدفع ثمن ذلك".

"أنت تتفوه بأشياء مهينة يا آلان، كن حذرًا".

"أليس ما أقوله صحيحًا؟ ما الأسباب التي كانت تجعل جين تعطينني الأموال بهذه السهولة؟".

"لم يكن لأنها تحبني بالطبع، لابد أن ذلك كان مدفوعًا بحبها لك".

قال آلان بوضوح: "نعم، هو كذلك، كانت تدفع من أجل حريتي، الحرية لأعمل بطريقتي. كانت تعرف أنك مادمت تمتلكين المال الكافي، فسوف تدعينني وشأني، ولن تُلحّي عليَّ لأرسم مجموعة من النساء القبيحات".

لم تقل إيسوبيل شيئًا.

هتف فيها آلان بغضب: "حسنًا؟".

أشعل هدوؤها غضبه.

كانت إيسوبيل تنظر إلى الأرض، لكنها رفعت رأسها، وقالت بهدوء وهي تشير إلى موضع على الأريكة بالقرب منها:

"فلتأت إلى هنا يا آلان".

اتجه إليها آلان بصعوبة، وجلس هناك كارهًا. لم يكن ينظر إليها لكنها كانت تعرف أنه خائف.

قالت إيسوبيل: "آلان".

"نعم؟".

كان منزعجًا ومتوترًا.

"من الممكن أن يكون كل ما تقوله صحيحًا، لكن لا يهم. هذه أنا، إنني أريد أشياء كثيرة، أريد ملابس ومالًا *وأريدك*. إن *جين قد ماتت* يا آلان".

"ماذا تقصدين؟".

"إن جين ماتت، أنت ملكي الآن تمامًا. لم تكن كذلك من قبل، لم تكن لي تمامًا".

نظر إليها، فرأى التوقد في عينيها يدل على حبها للتملك والاستحواذ على الأشياء، لقد كان غاضبًا لكنه كان واقعًا تحت تأثير سحرها، وقالت:

"الآن ستكون لي وحدي".

لقد فهم إيسوبيل الآن كما لم يفهمها من قبل، قال لها:

"تريدين أن أكون عبدًا لك؟ أن أرسم من تأمرينني أن أرسمه، وأعيش كما تأمرينني أن أعيش؟ تريدين أن أسحب عربتك مثل الخيل؟".

"سمِّها كما تحب، ما قيمة الكلمات؟".

شعر بذراعيها الثابتتين كجدار يحيط برقبته، كانت الأفكار تتراقص في عقله، وكان يحدث نفسه قائلًا: "إن ذراعيها تبدوان كأنهما جدار أبيض"، لقد كان محاطًا بالجدار بالفعل. هل ما زال بإمكانه أن يهرب؟ هل يريد الهرب؟

سمع صوتها بالقرب من أذنه، كان صوتها يشبه المخدرات.

"ما الذي تريده أكثر من هذا؟ أليس هذا كافيًا؟ حب وسعادة ونجاح وحب ...".

كان الجدار قد أحاط به تمامًا الآن، لقد كانت "الستائر ناعمة مصنوعة من الحرير"، كانت الستائر تدثره وتعتصره قليلًا، لكنها كانت ناعمة وفاتنة للغاية! لقد كانت الرياح تدفع تلك الستائر معًا في هدوء باتجاه البحر الشفاف، صار الجدار عاليًا الآن، يمنع عنه رؤية كل تلك الأشياء الأخرى، يمنع عنه تلك الأشياء الخطيرة المزعجة التي تجرحه، التي تجرحه

دائمًا، وفي هذا البحر الشفاف، كانا يمسكان بتلك التفاحة الذهبية بين أيديهما.

وهكذا تلاشى الوهج من لوحة جين.

نبذة عن القصة

تعد قصة "ما وراء الجدار" - التي نشرت في مجلة *رويال ماجازين* في أكتوبر عام ١٩٢٥ - من أوائل ما كتبته كريستي، وتشبه تلك القصص الأولى في الغموض كذلك؛ فالإشارات الأخيرة عن إحاطة الجدران البيضاء بآلان يمكن أن تفهم على ظاهرها، أنها وصف لإحاطة ذراعي إيسوبيل لورينج بآلان إيفرارد، لكن كيف يمكننا أن نفهم هذه الجملة بصورة أخرى؟ هناك إشارة غامضة في جملة "كانت التفاحة الذهبية بين أيديهما"، أيدي من؟ وما الذي تشير إليه كلمة "التفاحة الذهبية"؟ هل هناك مغزى من فهم آلان للغز ويني بطريقة خطأ؟ هل خنق زوجته في نهاية القصة؟ أو هل يجب أن يفهم القارئ أن تلاشي "الوهج" من لوحة جين يعني أن آلان قد نسي جين وسامح إيسوبيل؟ وماذا عن موته؟ لم تشرح كريستي ملابسات موته، فقط أشارت إلى أن موته قد أدى إلى انتشار شائعات سيئة تحاول الراوية أن تكذبها.

إن القصة مبنية على إحدى أكثر الأفكار انتشارًا في أعمال أجاثا كريستي، وهي مثلث الحب الأبدي. تناولت كريستي هذه الفكرة أيضًا في أعمال أخرى مثل تلك الروايات التي يظهر فيها

بوارو، وهي *الموت على ضفاف النيل** ١٩٣٧، و*شر تحت الشمس** عام ١٩٤١، وفي قصص قصيرة أخرى مثل-The Blood« stained Pavement" التي نشرت ضمن المجموعة القصصية *لغز المشكلات الثلاث عشر** عام ١٩٣٢، كما ظهرت هذه الفكرة أيضًا في كتاب *A Talent to Deceive* عام ١٩٨٠ الذي كتبه روبرت برنارد أفضل نقاد كتابات كريستي على الإطلاق. وصف برنارد تناول كريستي هذا الموضوع وغيره من الموضوعات المألوفة كإحدى "إستراتيجيات الخداع"، بحيث تخدع القارئ وتجعله يوجه تعاطفه (أو شكوكه) في اتجاه معين عن طريق اللعب على توقعاته. وقد تبنت كريستي أساليب مشابهة في أعمالها المسرحية وخصوصًا مسرحية *The Mousetrap* عام ١٩٥٢**.

* متوافر لدى مكتبة جرير

لغز صندوق بغداد

كان العنوان جذابًا، وهذا ما اكتفيت بقوله لصديقي هركيول بوارو؛ فلم أكن أعرف أيًا من الأطراف، ولم تكن هوايتي الاهتمام بشئون الناس، وقد وافقني بوارو في هذا.

فقال: "نعم هناك نكهة شرقية هنا، نكهة الغموض. ربما يكون هذا الصندوق نسخة مزيفة لصندوق ينتمي لعصر جيمس الأول يباع في طريق توتنهام كورت، ولكن على أية حال، كان الصحفي موفقًا في تسمية الصندوق بـ "صندوق بغداد"، كما أن كلمة "لغز" كانت اختيارًا سديدًا لتوضع في العنوان، على الرغم من أنني لا أعتقد أن هناك لغزًا كبيرًا في هذه القضية".

قلت له: "بالضبط. إن هذه الجريمة بشعة ومروعة، لكنها ليست غامضة".

كرر بوارو متأملاً: "بشعة ومروعة".

أردفت وأنا أرفع قدميَّ وأذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا: "إن الفكرة كلها مقززة. القاتل يقتل هذا الرجل الذي هو صديقه ويحشره في هذا الصندوق، وبعدها بنصف ساعة يرقص مع زوجة ضحيته في الغرفة نفسها. تخيل! تخيل لو أنها تخيلت للحظة أنه ...".

قال بوارو بتأمل: "صحيح. يبدو أن الصفة التي تفتخر بها النساء - الحدس - لم تكن حاضرة لدى تلك الزوجة".

قلت وأنا أرتعد قليلًا: "يبدو أن متعة الحفل استمرت حتى النهاية، لقد رقصوا ولعبوا الورق كل هذا الوقت ولم يدركوا أن معهم رجلًا ميتًا في الغرفة نفسها. من الممكن أن يكتب أحدهم مسرحية عن هذه الفكرة!".

قال بوارو: "لقد كتبت مسرحية كهذه بالفعل، لكن لا تقلق يا هاستينجز، لا بأس من تناول الموضوع نفسه في مسرحية أخرى. تفضل بتأليف مسرحيتك".

التقطت الصحيفة، وبدأت في فحص تلك النسخة الضبابية المأخوذة من صورة فوتوغرافية.

قلت ببطء: "لابد أنها امرأة جميلة. يبدو هذا الأمر واضحًا، وفي صورة غير واضحة كهذه أيضًا".

كتب تحت الصورة:

صورة حديثة للسيدة كلايتون،

زوجة القتيل

أخذ بوارو الجريدة من يدي ثم قال: "نعم، إنها جميلة. لا شك أنها إحدى أولئك النساء اللاتي يسحرن قلوب الرجال".

ثم أعاد إلي الورقة وهو يرسل تنهيدة، وقال:

"*الحمد لله* أنني لست من الرجال الغيورين المندفعين؛ فلقد أنقذني هذا من مشكلات كثيرة. أنا ممتن لهذا حقًا".

لا أذكر أننا ناقشنا القضية بعد ذلك؛ فبوارو لم يبدُ مهتمًا بها في ذلك الوقت. كانت الحقائق واضحة للغاية ولم يكن هناك غموض بشأنها، فلم يكن هناك جدوى من مناقشتها.

كان السيد كلايتون وزوجته صديقين قديمين للرائد ريتش. في اليوم الموعود، العاشر من مارس، قبل آل كلايتون دعوة لقضاء أمسية مع الرائد ريتش، لكن في حوالي السابعة والنصف، أخبر كلايتون صديقًا آخر - وهو الرائد كيرتس الذي كان كلايتون يتناول معه مشروبًا - أنه تم استدعاؤه فجأة إلى أسكتلندا، وأنه سيغادر في قطار الساعة الثامنة.

قال السيد كلايتون: "سوف أمر بجاك وأشرح له الأمر. سوف تذهب مارجريتا بالطبع. أنا حزين لأنني لن أحضر الحفل، لكن جاك سوف يتفهم موقفي".

بالفعل نفذ السيد كلايتون كلامه ووصل إلى بيت الرائد ريتش في حوالي الثامنة إلا الثلث، لكنه لم يكن موجودًا. اقترح خادم ريتش - الذي كان يعرف السيد كلايتون جيدًا - أن يدخل وينتظره. أخبره السيد كلايتون أنه ليس لديه وقت، لكنه قال إنه سيدخل ويترك له رسالة، وأضاف أنه في طريقه للحاق بالقطار.

قاده الخادم إلى غرفة الجلوس.

وصل الرائد ريتش بعد ذلك بخمس دقائق، ويبدو أنه دخل بدون أن يسمعه الخادم، فتح باب غرفة الجلوس ونادى خادمه وأمره أن يذهب ويشتري له بعض السجائر، وعندما عاد الخادم وكان معه السجائر التي طلبها منه سيده وجده يجلس بمفرده في غرفة الجلوس؛ فعرف الرجل - بطبيعة الأمر - أن السيد كلايتون قد غادر.

بعد هذا بقليل وصل الضيوف وفيهم السيدة كلايتون والرائد كيرتس والسيد سبنس وزوجته. قضى الضيوف ليلتهم يمرحون ويستمعون للموسيقى عبر الجرامافون ويلعبون الورق، وغادروا بعد منتصف الليل بقليل.

في صباح اليوم التالي، دخل الخادم لينظف حجرة الجلوس، لكنه تفاجأ بوجود بقعة كبيرة على السجادة أمام قطعة أثاث كان الرائد ريتش قد أحضرها من الشرق، وكان يطلق عليها "صندوق بغداد".

رفع الخادم غطاء الصندوق بصورة غريزية وارتعب؛ حيث وجد جثة مكومة لرجل يبدو أنه تلقى طعنة مباشرة في القلب.

ركض الخادم في رعب خارج الشقة وأحضر أول رجل شرطة وجده، وقد ثبت أن الجثة هي جثة السيد كلايتون وتم القبض على الرائد ريتش بعد ذلك بوقت قصير. كما هو متوقع، أصر الرائد على إنكار كل شيء، قائلاً إنه لم ير السيد كلايتون في الليلة السابقة، وأنه سمع عن ذهابه لأول مرة من السيدة كلايتون.

تلك هي الحقائق المجردة للقضية. كثرت التلميحات والأقاويل بالطبع؛ فالصداقة والمودة بين الرائد ريتش والسيدة كلايتون كانت واضحة للعيان، لدرجة أنه لا يفشل في رؤية هذه الصداقة ومعرفة خباياها إلا شخص غبي. كان الدافع وراء الجريمة واضحًا للجميع.

علمتني خبرتي الطويلة أن أضع الافتراءات التي لا أساس لها في الحسبان. قد لا يكون هذا هو الدافع الحقيقي وراء الجريمة، برغم كل تلك الأدلة. قد يكون هناك دافع آخر، لكن الأمر الوحيد الواضح أن ريتش هو القاتل.

كما قلت، لقد توقف الأمر عند هذا الحد إلى أن التقيت ببوارو في حفلة أقامتها السيدة تشاترتون في تلك الليلة.

بالرغم من أن بوارو كان يعلن عدم ارتياحه للارتباطات الاجتماعية وحبه للعزلة، فإنه كان يستمتع بهذه الأشياء للغاية. كان يستمتع بأن تثار حوله الضجة وكان يناسبه تمامًا معاملة الناس له على أنه أسد.

كان يشعر بالرضا عن نفسه في تلك المناسبات. لقد رأيته يتلقى مجاملات مبالغًا فيها كأنها حقه، وكان يتفوه بأكثر الملاحظات غرورًا، مثل أنه بالكاد يتحمل الجلوس.

كان يجادلني في هذا الموضوع أحيانًا.

كان يقول لي: "لكن يا صديقي، أنا لست إنجليزيًا في الأصل، فلماذا أنافق؟ نعم، نعم، أنتم تفعلون هذا. جميعكم يفعل هذا. فلتنظر إلى الطيار الذي خاض رحلة صعبة، أو إلى بطل كرة التنس؛ فجميعهم يتظاهرون بالتواضع محاولين التقليل من شأن ما فعلوه، ويتمتمون بصوت منخفض قائلين: "نحن لم نفعل شيئًا"، لكن هل هذا ما يعتقدونه حقًا؟ كلا، إنهم لا يعتقدون ذلك ولو لدقيقة واحدة، بل كانوا يعجبون بتلك الأعمال البطولية إذا قام بها شخص آخر؛ فمن المنطقي أنهم يعجبون بتحقيقها بأنفسهم، لكنهم مُدربون على ادعاء العكس. أما أنا، فلست من هذا النوع من الأشخاص. إنني كنت أحتفي بالمواهب التي أملكها إذا امتلكها شخص آخر. والواقع أنه لا أحد يستطيع الوصول إلى مستواي، *وهذا أمر مؤسف*. هكذا أعترف أنا بكامل الحرية وبدون أدنى نفاق أنني رجل عظيم. إنني أمتلك النظام والمنهج، وإنني مُلمٌ كذلك بعلوم النفس بصورة استثنائية. أنا

هيركيول بوارو! لماذا تحمر وجنتاي أو أتلعثم وأخفض رأسي وأدعي أنني غبي؟ لن يكون هذا حقيقيًا".

وافقته ببعض الحقد الذي لم يلتفت إليه لحسن الحظ، وقلت: "بالطبع ليس هناك إلا هيركيول بوارو واحد".

كانت السيدة تشاترتون من أكبر المعجبين ببوارو، منذ القضية الغامضة لذلك الكلب البيكنواه، التي حل فيها بوارو خيوط اللغز الذي أدى إلى اكتشاف سارق منازل معروف، وصارت السيدة تشاترتون لا تنفك عن مدح بوارو في كل مناسبة.

كان من العظيم رؤية بوارو في حفلة بملابسه المسائية الكاملة، ورابطة عنقه البيضاء الرائعة المربوطة بعناية، وشعره المتناسق المفروق ولمعان الكريم على شعره، وشاربه الفخم المشهور، لقد كان كل هذا يرسم صورة مثالية للرجل المتأنق النبيل. كان من الصعب في هذه اللحظات أن تأخذ هذا الرجل الصغير على محمل الجد.

في حوالي الحادية عشرة والنصف، اتجهت إلينا السيدة تشاترتون، وأخذت بوارو بشكل أنيق من بين مجموعة من معجبيه واصطحبتني معهما.

قالت السيدة تشاترتون وهي تلهث حينما وصلنا إلى نقطة لا يسمعنا فيها باقي الضيوف: "أريدك أن تذهب إلى غرفتي الصغيرة في الطابق العلوي. إنك تعرف مكانها يا سيد بوارو. سوف تجد هناك امرأة تحتاج إلى مساعدتك بشدة، وأنا أعرف أنك ستساعدها، إنها إحدى صديقاتي المقربات؛ فلا ترفض مساعدتها".

قادتنا السيدة تشاترتون بحماس إلى الغرفة وهي تتكلم، ثم فتحت بابًا، وهتفت قائلة: "لقد أحضرته يا عزيزتي مارجريتا.

وسوف يفعل ما تريدين، سوف تساعد السيدة كلايتون، أليس كذلك يا سيد بوارو؟".

وبدون أن تنتظر الإجابة، انسحبت من الغرفة بالحماس نفسه الذي تتسم به كل تحركاتها.

كانت السيدة كلايتون تجلس على كرسي بجانب النافذة. حينما دخلنا الغرفة، نهضت من مكانها واتجهت إلينا. كانت ترتدي ثياب الحداد، لكن اللون الأسود القاتم أظهر بشرتها البيضاء. كانت امرأة جميلة بشكل استثنائي، وكانت تمتلك براءة طفولية جعلت جمالها لا يقاوم.

قالت: "إن أليس تشاترتون لطيفة للغاية، لقد رتبت هذا كله وأخبرتني أنك ستساعدني يا سيد بوارو. بالطبع أنا لا أعرف إن كنت ستساعدني أم لا، لكنني أتمنى أن تفعل".

كانت قد مدت يدها لتصافح بوارو فأمسك بوارو بيدها، وأخذ يتفحص المرأة لدقيقة أو دقيقتين. لم يكن هذا الأسلوب وقحًا، كان يتفحصها بطريقة أقرب لما يفعله الطبيب المختص مع مريض جديد يراه أول مرة.

في النهاية قال: "هل أنت متأكدة أنني أستطيع مساعدتك يا سيدتي؟".

"لقد قالت أليس لي ذلك".

"نعم، لكنني أسألك أنت يا سيدتي".

احمرت وجنتاها قليلًا، وقالت:

"لا أفهم ما تقصد".

"ماذا تريدين أن أفعل يا سيدتي؟".

سألته: "هل، هل تعرف من أنا؟"

"بالتأكيد".

"إذن تستطيع أن تخمن ما أريد منكما أن تفعلاه يا سيد بوارو، ويا سيادة النقيب هاستنجز". لقد شعرت بالامتنان لأنها عرفت هويتي. أردفت قائلة: "إن الرائد ريتش لم يقتل زوجي".

"ولماذا تعتقدين أنه ليس القاتل؟"

"معذرةً؟"

ابتسم بوارو لعدم الارتياح الذي كان يبدو عليها.

كرر ما قاله: "قلت ولمَ لا؟"

"لست متأكدة أنني أفهم مقصدك".

"لكن الأمر بسيط. سوف تسأل الشرطة المحامين السؤال نفسه: لِمَ قتل الرائد ريتش السيد كلايتون؟ لكنني أسأل العكس. إنني أسألك يا سيدتي لماذا لم يقتل الرائد ريتش السيد كلايتون".

"هل تعني لماذا أنا متأكدة من ذلك؟ حسنًا، أنا أعرف. أنا أعرف الرائد ريتش جيدًا".

كرر بوارو بصوت رتيب: "تعرفين الرائد ريتش جيدًا".

اشتد احمرار وجنتيها في هذه اللحظة.

"نعم، هذا ما سيقولونه، هذا ما سيظنونه! يا إلهي، أعرف هذا!".

"هذا صحيح. سوف يسألونك عن مدى معرفتك بالرائد ريتش. ربما ستقولين الحقيقة، وربما ستكذبين. إن من الضروري لأي امرأة أن تكذب، إنه سلاح جيد. لكن يا سيدتي، هناك ثلاثة أشخاص يجب على المرأة أن تخبرهم بالحقيقة: رجل الدين، ومصفف الشعر الخاص بها، والمحقق الخاص، إذا كانت تثق به. هل تثقين بي يا سيدتي؟".

أخذت مارجريتا كلايتون نفسًا عميقًا وقالت: "نعم"، ثم أضافت بطريقة طفولية: "أنا أثق بك، لابد لي أن أفعل".

"إذن، إلى أيّ مدى تعرفين الرائد ريتش؟"

نظرت إليه في صمت دقيقة ثم رفعت رأسها بحدة.

"سوف أجيب عن سؤالك. لقد أحببت جاك منذ اللحظة الأولى التي رأيته بها، منذ سنتين. ويمكنني القول إنه قد بدأ يحبني مؤخرًا هو الآخر، لكنه لم يقل هذا أبدًا".

قال بوارو: "ممتاز! لقد وفرت عليَّ ربع ساعة كنت سأقضيها لكي أصل إلى هذا الإجابة، إنك امرأة عاقلة. والآن بالنسبة لزوجك، هل كان يشك في مشاعرك تجاه ريتش؟"

ردت مارجريتا ببطء: "لا أعرف. أعتقد أنه بدأ يشك مؤخرًا. كانت تصرفاته مختلفة ... لكن ربما يكون هذا من نسج خيالي فقط".

"هل هناك شخص آخر يعرف هذا؟"

"لا أظن".

"اسمحي لي أن أسألك يا سيدتي، هل كنت تحبين زوجك؟"

أعتقد أن هناك قليلاً من النساء يستطعن الإجابة عن هذا السؤال بهذه البساطة التي أجابت بها هذه السيدة. كن ليحاولن شرح مشاعرهن.

قالت مارجريتا كلايتون ببساطة: "لا".

"حسنًا. نحن نعرف موقفنا الآن. وفقًا لكلامك يا سيدتي، لم يقتل الرائد ريتش زوجك. لكن تعلمين أن جميع الأدلة تشير إلى ذلك. هل لديك علم بأي ثغرة في الأدلة؟"

"لا، لا أعرف شيئًا من هذا".

"متى أخبرك زوجك أول مرة عن زيارته لأسكتلندا؟"

"بعد الغداء مباشرة. كان منزعجًا لكنه قال إنه يجب عليه الذهاب. أتذكر أنه قال إن الأمر متعلق بمتابعة الأراضي الزراعية وتحديد قيمتها المالية".

" ثم ماذا حدث بعد ذلك؟".

"أعتقد أنه ذهب إلى النادي. ولم، لم أره ثانيةً".

"والآن بالنسبة للرائد ريتش، كيف كان سلوكه في تلك الليلة؟ هل كان سلوكه مثل المعتاد؟".

"نعم، أعتقد هذا".

"هل أنت لست متأكدة؟"

قطبت مارجريتا جبينها وهي تفكر، ثم قالت:

"كان متحفظًا بعض الشيء. معي بالذات، وليس مع الآخرين. لكنني ظننت أنني أعرف السبب. هل تفهم؟ أعتقد أن التحفظ، أو شرود الذهن - إن شئت أن نصف ذلك بدقة - لم يكن له علاقة بإدوارد. لقد تفاجأ حينما سمع أن إدوارد ذاهب إلى أسكتلندا، لكن ليس على نحو مبالغ فيه".

"ولم يحدث أي شيء غريب لكِ في تلك الليلة؟".

فكرت مارجريتا، وقالت:

"لا، لا شيء".

"هل لاحظت وجود الصندوق؟"

هزت رأسها نافية وهي ترتعد قليلًا.

"لا أذكره، ولا أذكر شكله؛ فلقد لعبنا الورق معظم تلك الليلة".

"من الذي فاز؟"

"الرائد ريتش. لقد كان حظي سيئًا للغاية وكذلك الرائد كيرتس. لقد فاز السيد سبنس وزوجته مرات قليلة، لكن الرائد ريتش كان الرابح الأكبر".

"ومتى انتهت الحفلة؟"

"أعتقد في حوالي الحادية عشرة والنصف. لقد غادرنا جميعًا معًا".

"حسنًا!"

صمت بوارو مستغرقًا في التفكير.

أردفت السيدة كلايتون: "أتمنى لو كنت أستطيع أن أفيدك. يبدو أنني لا أعرف سوى القليل".

"أتفق معكِ في أنك تعرفين القليل من المعلومات عما حدث مؤخرًا. لكن ماذا عن الماضي يا سيدتي؟".

"الماضي؟".

"نعم. ألم يكن هناك حوادث أخرى؟".

احمرت وجنتاها.

"أنت تقصد ذلك الرجل الصغير المخيف الذي أطلق النار على نفسه. لم يكن هذا خطئي يا سيد بوارو. لم يكن خطئي على الإطلاق".

"لم أكن أفكر في هذه الحادثة بالذات".

"تقصد تلك المبارزة السخيفة؟ لكن الإيطاليون يتبارزون ... لقد كنت ممتنة كثيرًا لأن ذلك الرجل لم يمت".

وافقها بوارو بصوت منخفض وقال: "لابد أنك شعرتِ بالراحة لهذا".

كانت مارجريتا تنظر إليه في ريبة. نهض بوارو وصافحها.

قال: "لن أخوض مبارزة من أجلك يا سيدتي، لكنني سأفعل ما طلبته مني، سوف أكتشف الحقيقة. دعينا نتمنَّ أن يكون حدسك صحيحًا. إن الحقيقة سوف تساعدك ولن تؤذيك."

قابلنا الرائد كيرتس أول مرة. كان رجلًا في الأربعين من عمره تقريبًا، ذا بنية عسكرية وشعر أسود فاحم وبشرة برونزية. كان يعرف عائلة كلايتون لسنوات كما كان يعرف الرائد ريتش كذلك. كانت روايته مطابقة للتقارير الصحفية.

كان الرائد كيرتس قد تناول مشروبًا مع كلايتون في النادي قبل السابعة والنصف، وحينها أخبره كلايتون عن نيته المرور على الرائد ريتش في طريقه إلى محطة يوستن.

"كيف كان سلوك السيد كلايتون؟ هل كان مكتئبًا أم مبتهجًا؟".

فكر الرائد قليلًا؛ حيث كان رجلًا بطيء الكلام، ثم قال أخيرًا:

"كان يبدو أن مزاجه جيد".

"هل قال شيئًا عن وجود مشكلات بينه وبين الرائد ريتش؟".

"لا، على الإطلاق. لقد كانا صديقين".

"ألم يعترض على الصداقة بين زوجته والرائد ريتش؟".

احمر وجه الرائد بشدة.

"لابد أنك قرأت تلك الصحف الملعونة وتلميحاتها وأكاذيبها. كلا، لم يعترض بالطبع. لقد قال لي: إن مارجريتا ستذهب إلى الحفل بالطبع".

"فهمت. هل كان سلوك الرائد ريتش طبيعيًا ذلك المساء؟".

"لم ألحظ أي اختلاف".

"والسيدة كلايتون؟ هل كانت طبيعية كذلك؟".

قال متأملًا: "حسنًا. الآن تذكرت شيئًا. كانت تبدو هادئة قليلًا. كانت تبدو شاردة ومستغرقة في التفكير".

"من الذي وصل أولًا؟".

"عائلة السيد سبنس. لقد كانوا هناك حينما وصلت. في الحقيقة، كنت سأمر بالسيدة كلايتون، لكنني وجدت أنها ذهبت بالفعل؛ لذلك وصلت متأخرًا قليلا".

"وكيف استمتعتم بالوقت؟ هل رقصتم؟ هل لعبتم الورق؟".

"رقصنا قليلًا ثم لعبنا الورق بعض الوقت، لكننا بدأنا بالرقص".

"لقد كنتم خمسة، أليس كذلك؟".

"بلى، لكن لم يكن هناك مشكلة في ذلك؛ لأنني لا أحب الرقص؛ لذلك اكتفيت بوضع الأسطوانات في الجرامافون".

"من رقص مع من معظم الوقت؟"

"حسنًا، في حقيقة الأمر، إن السيد سبنس وزوجته كانا يستمتعان بالرقص معًا. إنهما مجنونان بهذا، إن لهما حركاتهما الخاصة".

"إذن فالسيدة كلايتون كانت ترقص مع الرائد ريتش معظم الوقت؟"

"بالضبط".

"هل لعبتم الورق بعد ذلك؟".

"نعم".

"ومتى غادرتم؟".

"غادرنا مبكرًا بعد منتصف الليل بقليل".

"هل غادرتم معًا؟".

"نعم. في الحقيقة، ركبنا سيارة أجرة واحدة. أوصلنا السيدة كلايتون أولًا، ثم نزلت أنا ثم أكمل السيد سبنس وزوجته الطريق إلى كنسينجتون".

كانت زيارتنا التالية للسيد سبنس وزوجته. لم نجد إلا السيدة سبنس في البيت لكن روايتها كانت مطابقة لرواية الرائد كيرتس باستثناء أنها كانت حانقة بعض الشيء بخصوص الحظ السعيد للرائد ريتش في لعب الورق.

في الصباح الباكر، أجرى بوارو بعض المحادثات الهاتفية مع المحقق جاب من الشرطة البريطانية، وعلى إثرها اتجهنا إلى منزل الرائد ريتش ووجدنا الخادم بورجن في انتظارنا.

كانت شهادة الخادم دقيقة وواضحة.

وصل السيد كلايتون في الثامنة إلا الثلث، لكن لسوء الحظ كان الرائد ريتش قد خرج للتو. قال السيد كلايتون إنه لا يستطيع الانتظار لأن عليه أن يلحق بالقطار، لكنه قال إنه سيدون له ملاحظة سريعة؛ فاتجه إلى غرفة الجلوس ليدون ملاحظته. لم يسمع بورجن سيده حينما عاد للمنزل؛ لأنه كان يجهز الحمام وقد فتح الرائد ريتش الباب بمفاتيحه الخاصة بالطبع. قال الخادم إن الرائد ريتش ناداه بعد ذلك بعشر دقائق وأرسله ليشتري بعض السجائر. وذكر الخادم أنه لم يدخل حجرة الجلوس وظل واقفًا في المدخل. بعدها بعشر دقائق، عاد الخادم ومعه السجائر وحينها دخل حجرة الجلوس فلم يجد إلا سيده واقفًا بجوار النافذة وهو يدخن. سأله سيده إن كان الحمام جاهزًا فأخبره أنه جاهز، فاتجه ليأخذ حمامه. ولم يذكر بورجن شيئًا عن السيد كلايتون؛ حيث إنه خمن أن سيده

قد وجده هناك بالفعل وأوصله إلى الخارج بنفسه. كان سلوك سيده طبيعيًا تمامًا. بعدها أخذ حمامه وغيَّر ملابسه، ثم لم يمر وقت طويل حتى وصل السيد سبنس وزوجته ثم تبعهما الرائد كيرتس والسيدة كلايتون.

أضاف بورجن أنه لم يخطر بباله أن يكون السيد كلايتون قد غادر قبل وصول الرائد ريتش؛ لأنه كان يغلق الباب الأمامي خلفه وكان بورجن متأكدًا أنه كان سيسمع صوت الباب في هذه الحالة.

أكمل بورجن حديثه - بالأسلوب نفسه الذي بدأ به - حتى وصل إلى نقطة اكتشاف الجثة. هكذا لفت نظري الصندوق الكارثي أول مرة. كان ذلك الصندوق عبارة عن قطعة أثاث متوسطة الحجم. كان موضوعًا بمحاذاة الجدار بجانب خزانة الجرامافون. كان الصندوق مصنوعًا من خشب قاتم ومرصع بالكثير من المسامير المعدنية البراقة. كان الغطاء مفتوحًا قليلًا. نظرت هناك وارتعدت؛ فبالرغم من أنه قد تم مسحه بعناية، كانت بعض بقع الدم المشئومة لا تزال هناك.

فجأة سأل بوارو بنبرة تعجب: "إن هذه الثقوب تبدو غريبة. يبدو أنها قد صُنعت مؤخرًا".

كانت الثقوب محل السؤال موجودة في ظهر الصندوق في مواجهة الجدار. كانوا ثلاثة أو أربعة وكان قطر كل منها حوالي سنتيمتر وربع، وبدا أنها قد حُفرت حديثًا.

انحنى بوارو ليفحصها، ونظر إلى الخادم متسائلًا.

قال الخادم: "نعم هذا غريب يا سيدي. لا أذكر أنني رأيت أي ثقوب هنا من قبل، وربما لم ألاحظها في الأصل".

قال بوارو: "لا يهم".

THE GHOST 02

أغلق بوارو الصندوق وتراجع في الغرفة حتى وقف وأدار ظهره للنافذة، وسأل فجأة:

"أخبرني، حينما أحضرت السجائر لسيدك، هل كان هناك شيء في غير موضعه في الغرفة؟".

تردد بورجن دقيقة ثم رد ببعض التردد: "من الغريب أن تسأل هذا السؤال يا سيدي. بما أنك قد ذكرت هذا، دعني أخبرك أنه كان هناك شيء مختلف بالفعل. ذلك الستار الذي يحجب تيار الهواء القادم من غرفة النوم كان قد تحرك قليلاً إلى ناحية اليسار".

"هكذا؟".

كان بوارو قد قام بوثبة رشيقة إلى الأمام وسحب الستار. كان ستارًا جيدًا مصنوعًا من الجلد المزين بالرسومات المطبوعة. هكذا أخفى الستار الصندوق بعض الشيء، وحينما عدله بوارو أخفى الصندوق تمامًا.

قال الخادم: "هذا صحيح يا سيدي. كان في هذا الوضع".

"وفي الصباح التالي؟".

"كان لا يزال في هذا الوضع. أتذكر أنني حركته وحينها رأيت البقعة. إن السجادة قد أرسلت للتنظيف يا سيدي؛ لذلك ترى الأرضية عارية".

أومأ بوارو وقال:

"فهمت، أشكرك".

أعطى بوارو الخادم إكرامية.

شكره الخادم قائلًا: "شكرًا لك يا سيدي".

حينما خرجنا للشارع، قلت: "بوارو، هل نقطة الستار تلك تصب في مصلحة ريتش؟".

رد بوارو بحزن: "بل هي نقطة أخرى ضده. إن الستار أخفى الصندوق من الغرفة، كما أنه أخفى البقعة على السجادة. آجلًا أم عاجلًا كان الدم سيتسرب من الخشب ويلوث السجادة، لكن الستار منع اكتشاف ذلك حينها. نعم، لكنَّ هناك شيئًا لا أفهمه. الخادم يا هاستنجز، الخادم".

"ماذا عنه؟ يبدو أنه ذكي للغاية".

"إنه ذكي للغاية كما قلت. هل من المعقول إذن أن الرائد ريتش لم يدرك أن خادمه سوف يكتشف الجثة في الصباح؟ نعم، أفهم أنه لم يكن لديه وقت ليفعل شيئًا بعد الجريمة مباشرة؛ لذلك حشر الجثة في الصندوق، وسحب الستار أمامها وأكمل أمسيته متمنيًا أن يحالفه الحظ. لكن ماذا بعد أن غادر الضيوف؟ بالطبع، هذا وقت مناسب للتخلص من الجثة".

"هل كان يتمنى ألا يلاحظ الخادم البقعة؟".

"هذا سخيف *يا صديقي*. إن أول شيء يلاحظه الخادم الجيد هو وجود بقعة على السجادة. لكن الرائد ريتش ذهب للنوم وغط في سبات عميق بكل أريحية ولم يفعل شيئًا بخصوص الجثة. هذا يثير التأمل".

وجهت إليه السؤال قائلًا: "هل من الممكن أن يكون كيرتس قد رأى البقع عندما كان يغير الأسطوانات في الليلة السابقة؟".

"إن هذا الاحتمال غير مرجح؛ حيث إن الستار يرمي بظل ثقيل هناك. لا، لكنني بدأت أفهم شيئًا. نعم بدأت أفهم شيئًا إلى حد ما."

سألته بلهفة: "ماذا فهمت؟"

"دعنا نقل إن هناك احتمالًا لوجود تفسيرات أخرى. إن زيارتنا التالية قد توضح لنا مدى صحة هذا الاحتمال".

كانت زيارتنا التالية للطبيب الذي فحص الجثة. كانت شهادته ملخصًا لمثل ما قاله في التحقيق. وهي أن القتيل تلقى طعنة في القلب بسكين طويل ورفيع، مثل الخنجر. وقد ترك القاتل السكين في مكان الطعنة، وتُوفي القتيل على الفور. كان السكين يخص الرائد ريتش وكان دائمًا يتركه على مكتبه. لم يكن هناك بصمات على السكين كما فهم الطبيب. لابد أنها تم مسحها أو أن القاتل أمسك السكين بمنديل. وبالنسبة للوقت، فقد أشير إلى أن الجريمة قد حدثت في وقت ما بين السابعة والتاسعة.

سأل بوارو: "أليس من الممكن مثلًا أنه قد قتل بعد منتصف الليل؟".

"لا. لا أظن. قد تكون جريمة القتل قد تمت في الساعة العاشرة على أقصى تقدير، لكن من الواضح أن الجريمة قد تمت في وقت ما بين السابعة والنصف إلى الثامنة".

حينما عدنا إلى البيت قال بوارو: "*هناك* افتراض آخر محتمل. أتساءل إن كنت تراه يا هاستنجز. إنه واضح للغاية بالنسبة لي، لكنني أحتاج إلى أن أستوضح نقطة معينة حتى أتأكد تمامًا منه".

قلت: "هذا ليس جيدًا. أنا لا أفهم".

"فلتحاول يا هاستنجز. فلتحاول".

قلت: "حسنًا. في السابعة وأربعين دقيقة كان كلايتون لا يزال على قيد الحياة، وكان آخر شخص قد رآه حيًا هو ريتش ...".

"هذا ما نفترضه".

"حسنًا، أليس هذا صحيحًا؟".

"لقد نسيت *يا صديقي* أن الرائد ريتش ينكر هذا. لقد أعلن بوضوح أن كلايتون كان قد رحل حينما عاد هو".

"لكن الخادم قال إنه كان سيسمع صوت الباب إذا كان كلايتون قد رحل وأغلقه وراءه. كما أنه لو كان كلايتون قد غادر، فمتى عاد؟ ليس من الممكن أن يكون قد عاد بعد منتصف الليل؛ لأن الطبيب يؤكد أنه قد مات قبل هذا بساعتين على الأقل. هذا يترك لنا بديلًا واحدًا".

قال بوارو: "نعم *يا صديقي*؟"

"أنه في خلال الخمس دقائق حينما كان كلايتون وحده في غرفة الجلوس، دخل شخص آخر وقتله. لكن حينها سنواجه المشكلة نفسها. لا يمكن لأحد أن يدخل بدون علم الخادم إلا إذا كان معه مفتاح، وبالمنطق نفسه كان الخادم سيسمع القاتل وهو يغلق الباب وراءه".

قال بوارو: "بالضبط، وبالتالي ...".

قلتُ: "وبالتالي، لا شيء. إنني لا أستطيع أن أرى حلًا آخر".

تمتم بوارو قائلًا: "يا للأسف. إن الحل واضح للغاية، مثل عيني السيدة كلايتون الزرقاوين الصافيتين".

"هل تعتقد حقًا أن ...".

"لا أعتقد شيئًا، حتى أجد الدليل. دليل واحد صغير سوف يقنعني".

التقط بوارو سماعة الهاتف واتصل بجاب من الشرطة البريطانية.

بعدها بعشرين دقيقة كنا نقف أمام كومة صغيرة من أشياء متنوعة موضوعة على المنضدة. كانت تلك الأشياء هي محتويات جيوب القتيل.

كان هناك منديل، وبعض الفكة، ومحفظة تحتوي على ثلاثة جنيهات وعشرة شلنات، وعدة فواتير وصورة فوتوغرافية مهترئة لمارجريتا كلايتون. كان هناك أيضًا مطواة جيب، وقلم رصاص ذو لون ذهبي وأداة خشبية ثقيلة.

التقط بوارو تلك الأداة وفككها فخرج منها عدة شفرات حادة صغيرة.

"هل ترى يا هاستنجز؟ هناك مثقاب وأشياء أخرى. حسنًا! لن يستغرق الأمر سوى عدة دقائق لصنع عدة ثقوب في الصندوق بهذه الأداة".

"تلك الثقوب التي رأيناها؟".

"بالضبط".

"هل تقصد أن كلايتون صنعها بنفسه؟".

"*هذا صحيح، هذا صحيح!* ما الذي تفهمه من تلك الثقوب؟" بالطبع لم تكن محفورة حتى ينظر من خلالها لأنها كانت في ظهر الصندوق. ما وظيفتها إذن؟ من أجل الهواء كما هو واضح؟ لكنك لا تصنع ثقوبًا للهواء لجثة، إذن من الواضح أن القاتل *ليس* هو من صنعها. هذا يعني شيئًا واحدًا، واحدًا فقط، أن الرجل كان *سيختبئ* في الصندوق. وفور افتراض هذه الفرضية، يتضح كل شيء. يشعر كلايتون بالغيرة، ويشك في وجود شيء ما بين زوجته وريتش، فيقوم بالخدعة القديمة وهي التظاهر بالمغادرة إلى مكان ما. يرى ريتش وهو يغادر المنزل فيتمكن من الدخول، يُترك وحده ليكتب ملاحظة، يحفر الثقوب

بسرعة ويختبئ داخل الصندوق. إن زوجته ستذهب إلى منزل ريتش الليلة. ربما يجعل الآخرين يرحلون، وغالبًا ستبقى هي بعد ذلك أو سوف تتظاهر بالرحيل ثم تعود. أيًا كان ما سيحدث، فسيعرفه كلايتون. إن أي شيء أفضل من عذاب الشك المروع الذي يعانيه.

"إذن أنت تعني أن ريتش قتله بعد أن رحل الآخرون؟ لكن الطبيب أكد أن هذا مستحيل".

"بالضبط كما تقول يا هاستنجز. لابد أنه قُتل *خلال* تلك الأمسية".

"لكن الجميع كانوا في الغرفة!".

قال بوارو بجدية: "بالضبط. هل ترى جمال هذا؟ الجميع كانوا في الغرفة، يا له من *عذر مثالي*! يا *للثبات*، يا لقوة الأعصاب، يا للجرأة!".

"لم أفهم بعد".

"من الذي ذهب وراء الستار ليشغل الجرامافون ويغير الأسطوانات؟ إن الجرامافون كان بجانب الصندوق، هل تذكر هذا؟ كان الآخرون يمرحون، وكان الجرامافون يصدر موسيقى. هكذا رفع الرجل الذي لم يكن يشاركهم غطاء الصندوق وغرس السكين - الذي خبأه للتوّ في كمه - في صدر الرجل الذي كان مختبئًا هناك".

"هذا مستحيل! كان الرجل سيصرخ".

"وماذا إذا تم تخديره مسبقًا؟"

"تخديره؟"

"نعم. من الذي تناول مشروبًا مع كلايتون في السابعة والنصف؟ حسنًا! فلتفكر. إنه كيرتس! لقد أشعل كيرتس نار

الشك في كلايتون بخصوص ما بين ريتش وزوجته. إن كيرتس هو من اقترح الخطة، زيارة أسكتلندا، والاختباء في الصندوق، واللمسة الأخيرة وهي تحريك الستار. ليس لكي يتمكن كلايتون من رفع الغطاء قليلاً ويتنفس، لا بل لكي يستطيع كيرتس رفع الغطاء بدون أن يلاحظه أحد. إن كيرتس هو صاحب الخطة، انظر إلى جمال تلك الخطة يا هاستنجز. إذا كان ريتش قد لاحظ أن الستار ليس في مكانه المعتاد وأعاده لموضعه، لم يكن ليحدث شيئًا، لكنه كان سيجد خطة أخرى. يختبئ كلايتون في الصندوق، يبدأ تأثير المخدر الخفيف الذي وضعه كيرتس له في المشروب، ثم يغيب كلايتون عن الوعي، ثم يرفع كيرتس الغطاء ويضرب ضربته، ثم يبدأ الجرامافون في لعب أغنية ما.

استطعت أن أنطق أخيرًا فقلت: "لكن لماذا؟ لماذا؟"

هز بوارو كتفيه.

"لماذا يطلق شخص النار على نفسه؟ لماذا يتبارز رجلان إيطاليان؟ إن كيرتس يمتلك مزاجًا عاطفيًا مظلمًا. كان يحب مارجريتا كلايتون، وكان يريد التخلص من زوجها ومن ريتش، ظنًا منه أنها سوف تلجأ إليه".

ثم أضاف مُتأملًا:

"إن هؤلاء النساء البسيطات اللائي يتعاملن مثل الأطفال ... كبيرات الخطورة. لكن *يا إلهي*! يا لها من تحفة فنية! إنه ليؤلمني أن يُشنق رجل هكذا. ربما أكون عبقريًا لكنني أستطيع رؤية العبقرية في الآخرين. إنها جريمة كاملة *يا صديقي*. أنا، هيركيول بوارو، أقول إنها جريمة كاملة. شيء مدهش!".

نبذة عن القصة

إن قصة "لغز صندوق بغداد" - التي نُشرت لأول مرة في مجلة *ستراند ماجازين* في يناير عام ١٩٣٢ - هي النسخة الأصلة للرواية القصيرة *The Mystery of the Spanish Chest* التي صدرت ضمن المجموعة القصصية *The Adventure of the Christmas Pudding* عام ١٩٦٠، وكانت الرواية القصيرة تُحكى بضمير الغائب ولم يظهر فيها هاستنجز.

ظهر هيركيول بوارو أول مرة في قصة *القضية الغامضة في مدينة ستايلز** عام ١٩٢٠، التي كتبتها كريستي ردًا على تحدي شقيقتها لها حينما كانت تعمل في مستوصف لعلاج السموم في توركوي. حينما تُوفي بوارو بعدها بخمسة وخمسين عامًا في قصة *الستارة** ١٩٧٥ التي نُشرت قبل وفاة كريستي بقليل، بقي لغز واحد لم يحل وهو كم كان عمر بوارو؟ بالرغم من أن النص الأصلي لقصة *الستارة* قد كُتب قبل ذلك بثلاثين عامًا، لكن بعض الأحداث اللاحقة ترجح أن أحداث القصة المنشورة قد حدثت في أوائل السبعينات، بعد فترة وجيزة من نشر قضيته قبل الأخيرة *الأفيال تستطيع أن تتذكر* عام ١٩٧٢. في قصة *الستارة*، بدا أن بوارو كان قد بلغ من العمر منتصف أو أواخر

الثمانينات على الأقل، مما يعني أنه كان في بداية الثلاثينات في رواية *القضية الغامضة في مدينة ستايلز* تقع أحداث هذه الرواية في عام ١٩١٧، وقد وُصف فيها بوارو أنه "رجل أنيق المظهر غريب، صغير الحجم يعرج .... كانت موهبته كمحقق استثنائية، وقد حقق انتصارات كبيرة عن طريق اكتشاف أكثر القضايا إثارة للحيرة اليوم". بالإضافة إلى ذلك، وُصف بوارو في القصة القصيرة "قضية *حفلة النصر*" التي نُشرت في المجموعة القصصية *قضايا بوارو المبكرة* * عام ١٩٧٤ بأنه "قد عمل في السابق كقائد للقوات البلجايكية". وإذا نظرنا إلى أنه كان "يعرج بشكل سيئ"، فمن الممكن أن يكون قد تقاعد بسبب سوء حالته الصحية بالرغم من أن ذلك لم يمثل له إعاقة في القضايا الكثيرة التالية. في قصة *القضية الغامضة في مدينة ستايلز*، تذكر المحقق جيمس جاب - الذي ظهر في عدة روايات أخرى - كيف عمل مع بوارو عام ١٩٠٤ في "قضية تزوير أبركرومبي" التي كان بواور في سن المراهقة حينها، إذا ما افترضنا أنه كان في الثمانينات من عمره في قصة *الستارة*!

في شهر سبتمبر عام ١٩٧٥، اقترح الكاتب والناقد إتش. أر. إف. كيتنج حلًا في مقال كتبه عقب نشر قصة *الستارة*، قال كيتنج إن بوارو قد توفي في عامه السابع عشر بعد المائة، وأشار كيتنج كذلك إلى أن هناك العديد من الأسرار في جعبة المحقق بوارو!

وربما تعود الكلمة الأخيرة في هذا الأمر إلى مؤلفة الشخصية نفسها، والتي علقت في مقابلة قديمة في عام ١٩٤٨ قائلة: "إن بوارو قد عاش لوقت طويل. كان يجب أن أتخلص منه لكن الفرصة لم تسنح. لم يكن للمعجبين أن يسامحوني إن

فعلت". كان هذا قبل سنوات قليلة بعد كتابة رواية *الستارة*، لكنها نُشرت بعد هذا بثلاثين عامًا*.

* متوافر لدى مكتبة جرير

ما بقي النهار

١

ارتجت سيارة الفورد بينما كانت تنتقل من حفرة إلى أخرى، وكانت الشمس الأفريقية القاسية تصب حرارتها بلا رحمة. على جانبي ما يسمونه طريقًا، امتد خط لا ينقطع من الأشجار الكبيرة والصغيرة التي تتمايل برقة في خطوط مموجة تمتد على مرمى البصر. كان تأثير المشهد بألوانه الخضراء والصفراء الناعمة يبعث على هدوء غريب. في ذلك الصمت الناعس شقشقت بعض الطيور. تلوى ثعبان فجأة على الطريق أمام السيارة، ونجح في الهروب من محاولات السائق لدهسة بسهولة. ظهر أحد السكان الأصليين من بين الأشجار، وكان يمشي بشموخ رافع الرأس، ومن خلفه تمشي سيدة تحمل طفلًا رضيعًا على ظهرها العريض، وتحمل أدوات منزلية كاملة على رأسها، وكان من بين هذه الأشياء مقلاة متوازنة على رأسها بصورة مدهشة.

لفت جورج كروزير انتباه زوجته إلى كل تلك الأشياء، لكنها كانت تجيبه بكلمات بسيطة تعكس عدم اهتمامها؛ وذلك جعله يشعر بالضيق.

استنتج غاضبًا، وقال في قرارة نفسه: "لابد أنها تفكر في ذلك الرجل". كان معتادًا على التفكير في أن زوجته ديردري كروزير تفكر في زوجها السابق الذي قُتل في أولى سنوات الحرب، في الحملة العسكرية على غرب أفريقيا الألماني. ربما يبدو من الطبيعي أن تفكر فيه. اختلس جورج نظرة إلى زوجته، إلى جمالها وخدها الأبيض الوردي الناعم، وإلى قوامها، ربما أصبحت أكثر جمالاً مما كانت عليه في تلك الأيام البعيدة عندما وافقت بعدم اهتمام على خطبتها منه، ثم في أول شعور بالفزع انتابها نتيجة قدوم الحرب، هجرته فجأة، وتزوجت - بدلًا منه - ذلك الفتى الهزيل الأسمر الذي أحبها، تيم نوجنت.

حسنًا، حسنًا، إن الرجل قد مات الآن، مات بشجاعة، وتزوج هو - جوروج كروزير - الفتاة التي كان مقدرًا له أن يتزوجها منذ الأزل. كانت تحبه كذلك، ولم لا وهو مستعد أن يحقق لها كل ما تتمنى ويمتلك المال ليفعل ذلك أيضًا! تذكر - وهو يشعر بالرضا عن نفسه - هديته الأخيرة لها حينما كانا في كيمبرلي؛ حيث استفاد من صداقته ببعض المديرين في شركة دي بيرز وتمكن من شراء جوهرة لا تباع في السوق، ليس من أجل حجمها الذي لم يكن مُميزًا، بل بسبب لونها النادر والرائع والمميز؛ حيث كان لونها كهرمانيًّا داكنًا، يشبه لون الذهب القديم، إن جوهرة مثل هذه قد لا تراها في مائة عام. تذكر نظرة عينيها حينما أعطاها لها! إن جميع النساء يحببن المجوهرات!

أعاده إلى الواقع ضرورة أن يتشبث جيدًا حتى لا يقع خارج السيارة بفعل الارتجاج. صرخ أربع عشرة مرة على الأقل وكان هذا الانزعاج مفهومًا؛ فهو رجل يمتلك سيارتين من نوع رولز رويس، وكان قد تعود على القيادة على الطرق السريعة في البلاد المتحضرة، وقال:

"يا إلهي! يا لهذه السيارة! يا لهذا الطريق!" ثم أردف بغضب: "بحقكم، أين مزرعة التبغ هذه؟ لقد مرت ساعة منذ أن غادرنا بولاوايو".

قالت ديردري بصوت متقطع بفعل ارتجاج السيارة: "إننا تائهون في روديسيا".

لكن السائق الذي تشبه بشرته لون القهوة قال معلنًا بفرح إن المكان الذي يريدون الذهاب إليه يقع في المنعطف القادم على الطريق.

٢

كان مدير المزرعة، السيد والترز، ينتظر في الرواق ليستقبلهم مظهرًا الاحترام لجورج كروزير؛ بسبب مكانته البارزة في اتحاد إنتاج التبغ. قدم السيد والترز زوجة ابنه للضيوف والتي قادت ديردري عبر القاعة الداخلية الباردة المظلمة ثم إلى غرفة نوم؛ حيث تمكنت من خلع البرقع الذي كانت تحرص على ارتدائه دائمًا لتحمي بشرتها حينما تركب سيارة بالخارج. فكت الدبابيس على مهل وبرشاقة كالمعتاد، ثم مسحت بعينيها الغرفة العارية البيضاء القبيحة. لم يكن هناك أية مظاهر

للترف بالغرفة، وارتجفت ديردري - التي كانت تحب الراحة مثلما تحب القطط اللبن - قليلًا. كان على الجدار المقابل لها نص يقول: "ما الفائدة إذا فاز المرء بكل شيء في العالم وخسر روحه؟". كان الكلام مكتوبًا بصورة نثرية ولم تشعر ديردري أن لذلك الكلام أية علاقة بها؛ فالتفتت لتصطحب مرشدتها الخجولة الصامتة. لاحظت، لكن بدون أدنى سوء نية، أرداف المرأة الكبيرة والثوب القطني الرخيص غير المتناسق الذي ترتديه. شعرت ببعض الاعتزاز عندما وقعت عيناها على ثوبها الفرنسي الرائع النفيس المصنوع من الكتان الأبيض. شعرت ببهجة تشبه بهجة الفنانين حينما نظرت إلى ملابسها الجميلة التي تزداد جمالًا عندما ترتديها هي.

كان الرجلان في انتظارها.

"هل أنت متأكدة أنك لن تشعري بالملل إن أتيتِ معنا يا سيدة كروزير؟"

"على الإطلاق؛ فأنا لم أذهب إلى مصنع تبغ من قبل".

اتجهوا إلى الخارج تحت شمس الظهيرة بمدينة روديسيا.

"هذه هي البذور. نحن نزرعها هنا بحسب الحاجة، كما ترى"

أكمل المدير كلامه بالطريقة الروتينية، لكن جورج قاطعه بأسئلته المتقطعة الذكية حول الإنتاج وضريبة الدمغات ومشكلات العمال ذوي البشرة السمراء. توقفت ديردري عن الاستماع.

كانت هذه هي روديسيا، الأرض التي أحبها تيم، الأرض التي كان سيأتي إليها معها بعد أن تنتهي الحرب، إذا لم يُقتل! شعرت بغصة في حلقها حينما فكرت في ذلك.

لقد كان كل ما قضياه هما شهرين قصيرين. شهرين من السعادة، إذا كانت هذه البهجة المختلطة بالألم هي السعادة، فهل الحب هو السعادة؟ ماذا عن آلاف الآلام التي تهاجم قلب المحب؟ لقد استمتعت بتلك الفترة كما يجب لكن هل كانت حقًا تشعر بالسلام الداخلي والراحة والرضا الذي تشعر به في حياتها الحالية؟ ولأول مرة اعترفت لنفسها - رغمًا عنها - أن ما حدث ربما كان هو الأفضل لها؛ حيث فكرت في قرارة نفسها قائلة:

"لم أكن لأحب أن أعيش هنا. ربما لم أكن أستطيع أن أجعل تيم سعيدًا. ربما كنت سأخيب آماله. إن جورج يحبني، وأنا متعلقة به كثيرًا، إنه يعاملني بشكل جيد، جيد للغاية. ولمَ لا؟ وقد اشترى لي هذه الجوهرة منذ يومين". وحينما تذكرت كل هذا أغمضت عينيها في رضا تام.

قادهم والترز إلى عنبر طويل منخفض السقف، وقال: "هنا نربط أوراق التبغ مع بعضها باستخدام الخيط". كانت هناك أكوام ضخمة من الأوراق الخضراء ملقاة على الأرض، وعمال ذوو بشرة سمراء يرتدون زيًا أبيض اللون يجلسون القرفصاء حول تلك الأوراق ويلتقطون الجيد منها ويرمون السيئ بمهارة، ثم يفرزونها بحسب الحجم ويخيطونها بإبر بدائية على خيط طويل. كانوا يعملون بروية ومرح وهم يمزحون فيما بينهم وتظهر أسنانهم البيضاء الساطعة حينما يضحكون.

"والآن هيا نخرج".

خرجوا من العنبر إلى ضوء النهار مرة أخرى، حيث كان يوجد المكان الذي عُلقت فيه الأوراق لتجف في الشمس، أخذت

www.books.com/ab3

ديردري تستنشق برقة تلك الرائحة الخفيفة غير المحسوسة تقريبًا التي ملأت الهواء.

قادهم والترز إلى العنابر الأخرى؛ حيث يتم معالجة التبغ الذي تغير لونه بفعل الشمس. كان المكان مظلمًا وكانت هناك كتل بنية معلقة في الأعلى جاهزة ليتم إسقاطها وتفتيتها بلمسة عنيفة. كانت الرائحة أقوى، كانت طاغية كما شعرت بها ديردري. وفجأة اجتاحها شعور بالرعب لا تعرف سببه، لكنه دفعها أن تخرج من ذلك المكان المظلم المخيف ذي الرائحة النفاذة إلى ضوء الشمس. لاحظ كروزير وجهها الشاحب، وقال:

"ما الأمر يا عزيزتي، ألست على ما يرام؟ ربما الشمس هي السبب. ربما الأفضل لكِ ألا تأتي معنا في جولتنا حول المزارع؟ أليس كذلك؟".

كان والترز قلقًا، وقال إنه من الأفضل أن تعود السيدة كروزير إلى المنزل لتستريح. نادى على رجل ضئيل الحجم كان يقف على مقربة منهم.

"سيد أردن، هذه هي السيدة كروزير. إنها متعبة قليلًا بفعل الحرارة. هل يمكنك أن تعيدها إلى البيت؟".

كان شعور الدوار اللحظي يتلاشى. هكذا سارت ديردري جنبًا إلى جنب مع أردن بدون أن تنظر إليه.

"ديردري!".

خفق قلبها بشدة ثم توقفت لحظة. ليس هناك سوى شخص واحد ينطق اسمها بهذه الطريقة، بهذا الضغط الضعيف على المقطع الأول منه كأنه يربت عليها بلطف.

التفتت إلى ذلك الرجل الذي كان يقف بجانبها وحدقت إليه. كانت الشمس قد أحرقت وجهه بشدة، وكان يعرج، وكان

على خده المقابل لها ندبة طويلة غيرت ملامحه لكنها عرفته. قالت:

"تيم!".

حدقا إلى بعضهما لحظة - مرت عليها كالدهر - وكانا يقفان في صمت يشعران بارتجاف أوصالهما، ثم بدون أن يدركا كيف أو لماذا، صافح كل منهما الآخر. لقد عاد بهما الزمن. وقف كل منهما ثانية في مكانه ثم سألته ديردري، وهي تدرك مدى حماقة السؤال:

"إذن أنت لم تمت؟".

"لا، لقد خلطوا بيني وبين شخص آخر. لقد صدم رأسي بشدة لكنني نجحت في الزحف خارج الدغل. لم أعرف ما حدث بعد ذلك لشهور عدة لكن هناك قبيلة ودودة اعتنت بي وبعدها استعدت وعيي مرة أخرى، واستطعت أن أعود إلى المدينة". توقف ثم أردف قائلًا: "حينها عرفت أنه قد مر على زواجك ستة أشهر".

"يا إلهي! تيم، أرجوك افهمني، أرجوك! لقد كان الأمر قاسيًا عليَّ، الوحدة، والفقر. لم أمانع الفقر وأنا معك، لكنني لم أستطع تحمل هذا البؤس وحدي".

"لا بأس يا ديردري. أنا أتفهم موقفك. أعرف أنك كنت تتوقين إلى الرفاهية دائمًا. لقد حرمتك منها مرة، لكن المرة الثانية، لم أستطع فعل ذلك. لقد كنت مصابًا بكسور بالغة، كما ترين، بالكاد أستطيع أن أمشي بدون عكاز، بالإضافة إلى هذه الندبة".

قاطعته بحنان قائلة:

"هل تعتقد أنني كنت آبه بذلك؟".

"كلا، أعرف أنك لم تكوني لتأبهي بذلك. كنت غبيًا. بعض النساء يفعلن، كما تعلمين. قررت أن أحاول أن ألقي نظرة عليك، إذا كنت تبدين سعيدة، وإذا كنت تشعرين أنك راضية عن زواجك من كروزير، وكنت حينها سأقرر أن أظل ميتًا. لقد رأيتك. لقد كنت تستقلين سيارة كبيرة، وكنت ترتدين رداءً جميلًا من الفرو الأسود، أشياء لم أكن أستطيع أن أشتريها لك ولو عملت ليل نهار، وقد وجدت أنك تبدين سعيدة. لم أعد أمتلك القوة والشجاعة والثقة بالنفس التي كنت أمتلكها قبل الحرب. كل ما استطعت أن أراه هو نفسي، لقد كنت محطمًا وعديم النفع، لم أكن أستطيع أن أجني ما يكفيك. وقد بدوت جميلة يا ديردري، ملكة بين بقية النساء. تستحقين الأموال والترف الذي يوفره لك كروزير. هذا بالإضافة إلى الألم الذي شعرت به حينما رأيتكما معًا فجعلني أقرر أن أبقى ميتًا. لقد ظن الجميع أنني قد مت، وقد قررت أن أظل كذلك".

كررت ديردري بصوت منخفض، وقالت: "الألم!".

"نعم، اللعنة! إن الأمر مؤلم للغاية يا ديردري. أنا لا ألومك، لا ألومك. لكن الأمر مؤلم".

لاذ كلاهما بالصمت، ثم رفع تيم وجهها بمقابلة وجهه وقال لها:

"لكن الألم انتهى الآن يا حبيبتي، بقي أن نقرر فقط متى سنخبر كروزير".

تراجعت فجأة وقالت: "يا إلهي! أنا لم أفكر في ..."، لكنها سكتت حينما ظهر كروزير والمدير في زاوية قريبة على الممر. التفتت بسرعة إليه وهمست:

"لا تفعل شيئًا الآن. دع هذا لي. لابد أن أعد كروزير أولًا لتقبل هذا الأمر. هل من الممكن أن أقابلك غدًا؟".

فكر نوجنت ثم قال:

"أستطيع أن آتي إلى بولاوايو. ماذا لو تقابلنا في المقهى المجاور لبنك ستاندرد؟ فلنذهب إلى هناك في تمام الساعة الثالثة، سيكون المقهى فارغًا حينها".

وافقت ديردري بإيماءة بسيطة قبل أن تعطيه ظهرها وتنضم للرجلين الآخرين. نظر إليها نوجنت وهي ترحل وقطب جبينه قليلًا. لقد أثارت بعض تصرفاتها حيرته.

٣

ظلت ديردري صامتة في الطريق إلى البيت؛ حيث كانت تتخذ من فكرة "تأثرها بحرارة الشمس" ستارًا لها. أخذت تفكر فيما يجب أن تفعله. كيف ستخبر جورج؟ ماذا سيكون رد فعله؟ شعرت بإرهاق شديد ونمت بداخلها رغبة في تأجيل إخباره بالحقيقة بقدر الإمكان. من الأفضل أن تنتظر للغد. سيكون لديها وقت طويل قبل الساعة الثالثة.

كان الفندق غير مريح، وكانت غرفتهما في الطابق الأرضي تطل على الفناء الداخلي. وقفت ديردري في ذلك المساء تستنشق الهواء ذا الرائحة السيئة، وتنظر باشمئزاز إلى الأثاث عديم الذوق. تذكرت الرفاهية التي وجدتها بفندق مونكتون كورت الموجود بين غابات الصنوبر الرائعة. حينما غادرت الخادمة أخيرًا، اتجهت ديردري ببطء ناحية صندوق

مجوهراتها. بدت الجوهرة الذهبية التي كانت تمسك بها بين يديها كأنها هي أيضًا تحدق إليها.

أعادت ديردري الجوهرة إلى الصندوق ببعض العنف وأغلقته بشدة. سوف تخبر جورج في صباح الغد.

لم تنم ديردري جيدًا. كان الجو خانقًا تحت ثنايا قماش الناموسية الثقيل. وكان يقطع ذلك الظلام الحالك صوت الأزيز الذي كان يملأ كل أركان المكان الذي صارت تكرهه. استيقظت شاحبة ومرهقة. من المستحيل أن ترمي بالمفاجأة في وجه جورج في هذا الصباح الباكر!

استلقت ديردري في الغرفة الصغيرة الضيقة طوال الصباح لتستريح. تفاجأت حينما علمت أن وقت الغداء قد حان. عرض عليها جورج كروزير أن يذهبا إلى حديقة ماتوبوس.

"سنتمكن من قضاء وقت طويل هناك إذا ذهبنا فورًا".

هزت ديردري رأسها نافية، متعللة بالصداع، وقالت في قرارة نفسها: "هذا مناسب. لا يجب أن أستعجل الأمر. لا بأس في الانتظار ليوم آخر. سوف أشرح الأمر لتيم".

لوحت لكروزير مودعة إياه وهو يركب السيارة الفورد البالية التي بدأت في الارتجاج، ثم نظرت إلى ساعتها واتجهت ببطء نحو المكان الذي حدده تيم ليتقابلا فيه.

كان المقهى خاليًا تمامًا في ذلك الوقت. جلس تيم وديردري على طاولة صغيرة وطلبا الشاي المشهور الذي لا يتوقف أهل جنوب أفريقيا عن شربه صباحًا ولا مساءً. لم يتبادلا كلمة واحدة حتى جاءت النادلة بالشاي ثم انسحبت

واختفت وراء ستارة وردية. رفعت ديردري رأسها وحدقت إلى تيم ورأت نظرة الترقب الشديد في عينيه.

"هل أخبرته يا ديردري؟"

هزت رأسها نافية، وبللت شفتيها محاولة إيجاد الكلمات المناسبة، لكنها لم تستطيع أن تتكلم.

"لمَ لا؟".

"لم تسنح لي الفرصة؛ حيث لم يكن هناك وقت".

بدا وقع الكلمات عليها هي شخصيًا مختلًا وغير مقنع.

"ليس هذا هو الأمر. هناك شيء آخر. لقد شككت في الأمر منذ البارحة، والآن تأكدت منه. ما الأمر يا ديردري؟".

هزت رأسها ولم تتفوه بكلمة.

"هناك سبب ما لا تريدين أن تتركي جورج كروزير وتعودي لي من أجله. ما هو؟".

كان هذا صحيحًا. حينما قال هذه الكلمات أدركت ديردري مدى صحتها، أدركت ذلك واعتراها شعور عميق بالخزي. لكنها كانت متأكدة أن كلامه صحيح بلا أدنى شك. كانت عيناه لا تزالان تتفحصانها.

"ليس الأمر أنك تحبينه! إنك لا تحبينه، لكن هناك شيئًا ما!".

فكرت في قرارة نفسها قائلة: "سوف يفهم الأمر في لحظة! يا إلهي، لا تدعه يفهم ذلك!".

شحب وجه تيم فجأة وقال:

"ديردري هل أنت، هل أنت حامل؟".

في لحظة أدركت الفرصة التي يقدمها لها. يا لها من طريقة رائعة! أحنت رأسها ببطء وبطريقة لا إرادية.

سمعت ديردري تسارع أنفاس تيم ثم سمعت صوته عاليًا به نبرة قاسية، وقال لها:

"إن هذا، إن هذا سيغير كل شيء. لم أكن أعرف. لابد أن نجد طريقة أخرى للخروج من هذا المأزق". ربت بيده على كتفها، واسترسل قائلاً: "حبيبتي ديردري، لا تظني أبدًا أنني ألومك. مهما حدث، تذكري هذا جيدًا. كان عليَّ أن آتي إليك حينما عدت إلى إنجلترا. لقد كنت جبانًا. إن عليَّ أن أصحح الأمور الآن. هل تفهمين؟ لا تبكي مهما حدث يا عزيزتي. ليس الذنب ذنبك".

شد من أزرها، وفي غضون ثوانٍ وجدت نفسها وحيدة في المقهى تحملق في كوب الشاي الذي لم تذقه. من العجيب أن كل ما استطاعت رؤيته أمام بصرها كان نصًا مزخرفًا معلقًا على جدار أبيض. بدا أن الكلمات تندفع منه وتتجه إليها. "ما الفائدة إذا فاز المرء بكل شيء ..." نهضت مسرعة ودفعت ثمن الشاي ثم غادرت.

حينما عاد جورج كروزير أخبروه أن زوجته طلبت ألا يزعجها أحد. أخبرته الخادمة أن الصداع الذي تشعر به كان شديدًا للغاية.

كانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة من صباح اليوم التالي، دخل جورج غرفة زوجته شاحب الوجه. كانت ديردري جالسة على الفراش شاحبة ومنهكة لكن عينيها كانتا مشرقتين.

قالت: "جورج، لابد أن أخبرك بشيء، شيء رهيب".

قاطعها بحدة قائلاً:

"إذن قد سمعت بما حدث. كنت أخشى أن يضايقك ذلك".

"يضايقني؟".

"نعم، لقد تحدثت إلى الفتى المسكين بالأمس".

رآها تضع يدها على قلبها ورمش جفناها مرارًا ثم قالت بسرعة وبصوت خفيض أثار خوفه:

"لم أسمع شيئًا، أخبرني بسرعة".

"لقد ظننت ...".

"أخبرني".

"هناك في مزرعة التبغ، أطلق شاب النار على نفسه. كان محطمًا تمامًا بسبب الحرب. أعتقد أن أعصابه قد تحطمت. لا يمكن أن يكون هناك سبب آخر".

قالت بثقة بينما كانت عيناها تشبهان عيني ذلك الشخص الذي يسير وهو نائم: "أطلق النار على نفسه في العنبر المظلم؛ حيث يعلقون التبغ" لقد تداعى إلى ذهنها في هذه اللحظة ذلك العنبر المظلم ذو الرائحة النفاذة، وذلك الجسد المسجى على الأرض وبيده مسدس.

"أنا متأكد أن ذلك هو المكان الذي شعرت فيه بالدوار بالأمس. هذا عجيب!".

لم تجب ديردري. لقد تداعى إلى ذهنها كذلك صورة أخرى لطاولة عليها كوبان من الشاي وامرأة تهز رأسها وتوافق على كذبه.

قال كروزير بينما كان يخرج عود ثقاب ليشعل سيجارة نافثًا الدخان بعناية: "نعم، نعم، إن للحرب دورًا كبيرًا في كل ما يدور حولنا".

تفاجأ من صرخة زوجته؛ حيث قالت:

"لا، لا، لا تفعل! لا أتحمل الرائحة".

حدق إليها في دهشة.

"عزيزتي، لا تغضبي. لا يمكنك الهروب من رائحة التبغ على كل حال. سوف تجدينها في كل مكان".

"نعم، سأجدها في كل مكان!" ابتسمت ببطء ومرارة وتمتمت بكلمات لم يسمعها، كلمات قد اختارتها لتنعى بها تيم نوجنت، وهي: "سوف أتذكرك ما بقي النهار، حتى بعد مماتي لن أنساك".

اتسعت عيناها وهما يتابعان دوائر الدخان، ثم كررت بصوت رتيب بطيء: "سوف أتذكرك في كل مكان، في كل مكان".

نبذة عن القصة

نشرت هذه القصة لأول مرة في مجلة *نوفل ماجازين* في إبريل عام ١٩٢٤. إن من يعرفون أعمال السيد ألفريد لورد تنيسون لن يتفاجئوا عندما يعرفون هوية أردن الحقيقية.

كان تنيسون من الشعراء المفضلين لكريستي، وكذلك ييتس، وتي. إس إليوت، وقد ألهمتها شخصية إينوك أردن الخاصة بتنيسون في رواية بوارو *Taken at the Flood* عام ١٩٤٨، وقد استخدمت الحبكة الدرامية لهذه القصة بصورة كبيرة في رواية *Giant's Bread* عام ١٩٣٠ التي كانت أول رواية من بين الروايات الست التي كتبتها كريستي تحت الاسم المستعار ماري ويستماكوت. وعلى رغم من أن تلك الروايات ليست على القدر نفسه من الأهمية بالنسبة لروايات كريستي البوليسية، فإنها تُعَدُّ تفسيرًا لعدة أحداث في حياة كريستي نفسها كأنها سيرة ذاتية موازية. كانت تلك الروايات - على أية حال - تُعَدُّ بمثابة سبيل لكريستي للهرب من عالم الروايات البوليسية، وكذلك من إزعاج ناشريها الذين لم يريدوا لأي شيء أن يصرف انتباهها عن كتابة الروايات البوليسية، والسبب في ذلك مفهوم. إن أكثر تلك الروايات الست إثارة هي رواية *Unfinished Portrait* عام ١٩٣٤

التي وصفها عالم الآثار ماكس مالوان، الزوج الثاني لكريستي، بأنها عبارة عن "مزيج بين أشخاص حقيقيين وأحداث حقيقية وأخرى خيالية .... وهي تُعَدُّ بمثابة لوحة شخصية لكريستي أكثر من أي شيء آخر".

كانت الرواية المفضلة لكريستي هي الرواية الثالثة التي كتبتها تحت اسمها المستعار ويستماكوت *Absent in the Spring* عام ١٩٤٤، وقد وصفتها كريستي في سيرتها الذاتية قائلة إنها "الرواية الوحيدة التي أشعر بالرضا التام عنها .... لقد كتبت الرواية في ثلاثة أيام متتالية"، وأضافت: "لقد كتبت الرواية بصدق وإخلاص. لقد كتبتها كما أردت بالضبط، وهذا هو أكثر ما يثير سعادة أي كاتب وفخره".

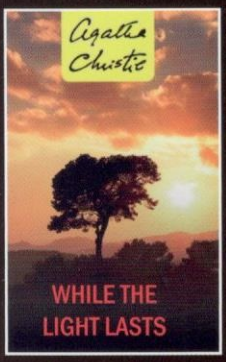

طالما استمر الضوء

حلم مروع متكرر... وانتقام من مبتز... وغيرة، وخيانة، وضمير مُعذب... وجوهرة مسروقة... والانجذاب الدائم لأثر قديم... ومثلث حب مأساوي... وجسم في صندوق... وزائر غير متوقع مما وراء القبر...

تسعة نماذج مثالية لذكاء كريستي مدرجة في هذه المجموعة من القصص القصيرة الأولى - والتي تتضمن أول قصة كتبتها كريستي على الإطلاق - وتقدم لمحة متفردة لملكة الجريمة في بداياتها.

"دائمًا ما تأسر اهتمام قرائها وتجعلهم يخمنون النهاية".

الملحق الأدبي لجريدة تايمز

طالما استمر الضوء

إعلان عن جريمة
أوراق لعب على الطاولة
القتل السهل
خداع المرايا
الجواد الأشهب
لغز القطار الأزرق
الأفيال تستطيع أن تتذكر
الشاهد الصامت
الستار
بعد الجنازة

أجاثا كريستي هي المؤلفة التي حققت كتبها أعلى مبيعات على مر التاريخ، ولم يتفوق عليها في حجم المبيعات سوى ويليام شكسبير. بيع من كتبها أكثر من مليار نسخة باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة مختلفة. توفيت في عام 1976.

ISBN 628-1072-08-808-8
6 281072 088088
282206457

النسخة الإلكترونية
قارئ جرير
JARIR READER

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore